تقريظ فضيلة الشيخ العلامة المحدث/ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فقد اطلعت على رسالة أخينا الفاضل/ محمد بن عبد الله باموسى، فوجدتها مفيدة أرجو الله أن ينفع بها، ويدخر له أجرها إلى يوم لقائه، والرسالة على ما فيها من الخير فإني أرجو الله أن يوفق أخانا محمداً أن يبحث عن صحة بعض القصص[1] فإن كانت صحيحة وإلا حذفها، وفي كتاب الله وسنة رسوله من المواعظ ما يكفي، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[العنكبوت: ٥١].

وقال سبحانه وتعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦].

أما كاتب الرسالة فهو الأخ/ محمد باموسى من الدعاة إلى الله على بصيرة، وهو قائم بمركز علمي بالحديدة، وقد نفع الله به فالحمد لله رب العالمين.

مقبل بن هادي الوادعي

رحمه الله

(١) البحث بحمد الله قائم على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وأغلب القصص من القرآن الكريم والسُنة الصحيحة، وما كان خارجاً عنهما فما كان صحيحاً أثبته، وما كان ضعيفاً حذفته، والقليل جداً الذي لم أقف على سنده فعزوته إلى مرجعه واكتفيت.

تقريظ فضيلة الشيخ العلامة المحدث/ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله مفتي جنوب المملكة العربية السعودية

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فقد أرسل إليَّ أخونا في الله محمد بن عبد الله باموسى، إمام وخطيب جامع السلام في حارة الربصة بالحديدة، كتابه الذي سماه: «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**» وقد قرأت الكتاب المذكور فألفيته كتاباً جيداً في باب الترهيب من المعاصي، وأسأل الله أن ينفع به كل من قرأه، وأن لا يحرمنا وإياه الأجر فيما قصدناه من ترهيب الناس وإبعادهم عن المعاصي أيّاً كان إثمها وجرمها، وأن يهدينا لطاعته في كل ما نأتي ونذر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد بن يحيى النجمي

رحمه الله

تقريظ فضيلة الشيخ العلامة القاضي/ محمد بن إسماعيل العمراني حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهذا كتاب «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**» تأليف الشيخ العلامة[(١)] محمد بن عبد الله باموسى -حفظه الله- ونفع بعلومه، كتاب جيد جداً لكونه قد طرق باباً في التأليف لم يطرقه أحد ممن ألَّف في هذه الأيام، وهو موضوع في غاية من الجودة، لأن فيه نصراً لعلوم الكتاب والسنة، بسرد الحكايات التي فيها عظة وعبرة لذوي الألباب، وهو لعمري مفيد لكل عالم وطالب علم، ولكل إنسان يطلب الفائدة، فرضي الله عنه وأرضاه، وكتب أجره وضاعف حسناته، وزاد في العلماء من أمثاله، آمين وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم.

محمد بن إسماعيل العمراني

حفظه الله

(١) قلت: جزى الله شيخنا العمراني خيراً على حسن ظنه بي، ويكفينا شرفاً والله أننا طلاب علم وكفى، ونسأل الله أن يعفو عن ضعفنا وتقصيرنا.

تقريظ فضيلة الشيخ/ محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد :

فقد أرسل إليَّ الأخ الفاضل/ محمد بن عبد الله باموسى -حفظه الله-، بنسخة من تأليفه عنوانها: «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**» لأطلع عليها، فقد اطلعت عليها فوجدتها نافعة جداً في هذا الباب، وكيف لا تكون نافعة وهي تدفع المسلم نحو تعظيم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمبادرة إلى اتباع سُنَّته، وهذا ما يحتاجه جميع المسلمين، ويفتقر إليه أكثرهم لبعدهم عن إدراك هذا الخطر، بسبب التأخر عن التمسك بسنته، فالله المسؤول أن يبارك في المؤلف، ويزيده علماً وتقى وورعاً، وأن ينفع بها القارئ ...آمين.

محمد بن عبد الله الإمام

حفظه الله

تقريظ فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

وبعد:

فقد اطلعت على الكتاب الذي ألفه أخونا محمد باموسى -حفظه الله- والذي هو بعنوان: «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**» فوجدتها لفتة نظر للمتقين، وقبساً من نور على طريق السائرين، وتذكرة وتحذيراً لمن غفل عن الله وأسرف على نفسه من المعاصي، فعسى أنَّ العاصي إذا علم أن قوماً عصوا مثل معصيته، وقد عُجلت لهم العقوبة عسى أن ينزجر ويرعوي ويرجع عن غيه، ولو علمنا قرب الله منا، واطلاعه علينا، وقدرته علينا لقدرناه حق قدره، ولعظم في نفوسنا أن نعصيه، ولكن حجاب الغفلة كثيف، حتى جعل نظر الله عند بعض الناس أحقر الأنظار، فهين عليه أن يراه الله عاصياً، ولكنه لا يحب أن يراه الناس زانياً، أو شارباً للخمر، أو سارقاً، حتى إنه ليتحيل بشتى الحيل، كي يراه الناس بريئاً، فسمَّى دعاء غير الله حباً للصالحين، وسمَّى الربا فوائد، وسمَّى الغيبة قولاً بالحق، وسمَّى النميمة نصيحة، بل حتى الكفار لا يسمون الخمر خمراً بل يسمونها مشروبات روحية، أو بيرة، أو غير ذلك، مع أن الله قد اطلع على أصحاب هذه التسميات المغلوطة، وعرف المعاصي على حقيقتها، فيالها من فضيحة يوم العرض على الله عز وجل، فلإن كان قد تستر أمام آحاد أو عشرات من الناس، فكيف حين يفضحه الله أمام الجن والإنس والملائكة، قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وإنَّا لنشكر أخانا محمداً باموسى على هذه التنبيهات الهامة، والتحذيرات للأمة، وإنا لنرجو الله، أن يكون أخونا من العاملين بحديث

أبي رقية تميم ابن أوس الداري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» رواه مسلم.

ومما لا شك فيه أن الموضوع واسع، فإن الله عز وجل إنما أهلك الأمم السابقة[١] لمخالفتهم أوامره التي أوحاها إلى أنبيائه في كتبه التي على لسان رسله، ومن خالف رسولاً فقد خالف كل الرسل، قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥] مع أنه أول رسول، والرسل إنما هم من بعده، وهكذا قال الله في سورة العنكبوت بعد أن ذكر بعض الأمم الذين خالفوا أنبياءهم ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

ختاماً: نسأل الله عز وجل أن يتقبل من أخينا محمد ما كتبه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

عبد العزيز بن يحيى البرعي

حفظه الله

(١) قد أضفت فصلاً في هلاك بعض الأمم السابقة، والحمد لله.

تقريظ فضيلة الشيخ/ نعمان بن عبد الكريم الوتر حفظه اللّه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد دفع إليَّ أخي الحبيب، الشيخ محمد بن عبد الله باموسى -حفظه الله- ونفع بكتابه، كتاب: «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**» لإبداء رأيي فيه، فرأيته -جزاه الله خيراً-، قد بذل مجهوداً كبيراً، يعرفه من قرأ الكتاب، وقد طرق موضوعاً جديراً بالطرق، فكتابه هذا يردع عن مخالفة أمر الله، وأمر رسوله ﷺ، لأن المخالفة قد تكون سبباً لذهاب الإيمان أو نقصانه، كما فيه الحث على اتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وبهما يحصل الخير والنفع، والهداية والنجاة، لا سيما ونحن في زمن يشعر فيه المرء بغربة الدين، وغربة أهله، كثرت فيه المعاصي، وكثر أهلها، والمعينون عليها مادياً ومعنوياً، وقلَّت الطاعات، والمعينون عليها، وحصل من التشبه بأعداء الإسلام، والإعجاب بما هم عليه شيء كثير، أضعف عند كثير من الناس متابعة النبي ﷺ، وتعظيم هديه، فجر ذلك على أمتنا شراً عظيماً، وذلاً كبيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل وقع بسببه أناس في الكفر عياذاً بالله، فجزى الله خيراً كثيراً الشيخ أبا عمار على ما قدم، وهو رجلٌ آتاه الله علماً وحلماً، وعقلاً وحكمة، فهو كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة، جمع الله به في تهامة بين ما تناثر، وألَّف به بين ما تفرق، فأسأل الله أن يبارك فيه، وينفع بجهوده وأن يجزل له الأجر والثواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

نعمان بن عبد الكريم الوتر حفظه الله

تقريظ فضيلة الشيخ/ عمر بن علي سُقيِّم الأهدل حفظه الله إمام وخطيب جامع الخير بالحديدة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وبعد: فقد اطلعت على الرسالة المساة: «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**»، للأخ الفاضل الداعية الشيخ، أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى، إمام وخطيب مسجد السلام، الكائن في حارة الربصة بالحديدة، وإمام الدعوة في المركز المذكور، فوجدته قد طرق موضوعاً هاماً، يعالج أمراضاً فتاكة، مثل التكبر، والاستهزاء، والسخرية، والمعاصي، والشهوات، وقد أورد فيها الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، وهي رسالة مفيدة لكل طبقات الناس، وجدير بها أن تقرأ دروساً في المساجد، لما فيها من العبر والعظات، وينبغي أن يطلع عليها الأكثرية من الناس، لأن كل بني آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون.

نسأل الله تعالى التوفيق لنا وللمؤلف لما يحبه ويرضاه ، آمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم، ورضي الله عن أصحابه أجمعين.

حرر بقلم/ عمر بن علي سقيم
حفظه الله

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فهذه هي الطبعة الثالثة لكتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» أقدمها للقراء الكرام بحلتها الجديدة، وقد أعدت النظر فيها، وأضفت فيها فصولاً جديدة، ودمجت بعض الفصول بفصول أخرى للتشابه بينها، وغيرت عناوين بعض الفصول، وعناوين بعض المواضيع، وذكرت جملة من الفوائد، والفرائد، والنفائس، في مواطن عدة، تجدها إن شاء الله تعالى في ثنايا هذا الكتاب، فأصبح الكتاب بحلته الجديدة المتميزة ضعف أصله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والكتاب بحمد الله تعالى لقي قبولاً واسعاً في أوساط الناس، بجميع طبقاتهم في داخل اليمن وخارجه، وقد قام كثير من العلماء وطلاب العلم الأفاضل بتدريسه في المساجد، وقد قال بعضهم:

كتاب قد تدبَّره الأماجد ودرَّسه الأفاضل في المساجد

وفي ختام هذه التقدمة، أود التنبيه إلى أنه ما من عمل إلا وللمتعقب فيه نظرة، فلا يخلو عمل من هفوة أو عثرة، وكلنا خطاؤون، نسأل الله أن يغفر لنا ما مضى وما كان، ويوفقنا للصواب فيما بقي من العمر، في كل وقت وزمان، فإنه حسبنا وعليه التكلان. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه/ الفقير إلى رحمة ربه ومولاه

أبو عمار محمد بن عبد الله باموسى

عفر الله له ولوالديه ومشائخه والمسلمين آمين

اليمن – الحديدة

مركز السلام العلمي للعلوم الشرعية ١٠/ ٥/ ١٤٣٣هـ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله، وآله وصحبه، ومن اتبع سُنَّته ووالاه.

أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابي: «**سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب**»، أعدت النظر فيها، فهذبتها ونقحتها، وتداركت فيها بعض الأخطاء الإملائية والمطبعية وغيرها، وحصل فيها بعض التعديل، والترتيب، وألحقت بها فوائد جديدة، تسر الناظرين، سيجدها القارئ الكريم في صفحات وحواشي هذا الكتاب، إن شاء الله، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل الصواب حليفي، وأن يغفر ما نبا عن الصواب فهمي، وند عنه قلمي، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه غفور رحيم.

وكتبه/ أبو عمار محمد بن عبد الله باموسى

اليمن - الحديدة - مركز السلام العلمي

١٣/ شعبان/ ١٤٢٦هـ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن الله أعلى للسنة مكانها، وأوجب على العباد حبها واتباعها، وقيض لها على مر العصور والدهور رجالها وأنصارها، الذين تعلموها، وعملوا بها، ودعوا إليها، فكانوا أحق بها وأهلها، بذلوا لمن تمسك بها صادق حبهم، ولمن عاداها أشد بغضهم، وظاهر عداوتهم، فهم أهل السنة شعاراً ودثاراً، وحماة عرينها ليلاً ونهاراً، فنسأل الله أن يحشرنا معهم وفي زمرتهم، آمين.

فهذه رسالة مختصرة، جمعتها من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، وشذا من عبير سلف هذه الأمة، دعوة إلى تعظيم الشريعة والملة، ومشاركة مني في الدفاع عن السنة وأهلها، بذكر بعض أخبار من خالفوا أمر الله، وأمر رسوله ﷺ، من

الأمم السابقة إلى أمة محمد ﷺ، ويشمل البر والفاجر، والمسلم والكافر، وإنما أهلك الله الأمم السابقة، لمخالفتهم أوامره التي أوحاها إلى أنبيائه في كتبه على ألسنة رسله، ومن خالف رسولاً واحداً فقد خالف كل الرسل، قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] مع أنه أول رسول، والرسل إنما هم من بعده.

وهكذا قال الله في سورة العنكبوت، بعد أن ذكر بعض الأمم الذين خالفوا أنبياءهم ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠]، فكانت عقوبتهم شنيعة، ومصارعهم فظيعة، والله عز وجل لما خلق الإنسان، كرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

ومنحه العقل، وميزه به، وزينه، فقال تعالى ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفجر:٥] أي: لذي عقل، وقال سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، أي: في أحسن هيئة، وخلقة وفطرة وعقل، ثم بين له طريق الرشاد وطريق الفساد، فقال سبحانه وتعالى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، أي: أوضحنا له طريق الخير وطريق الشر، كما قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

وأرسل لذلك الإنسان الرسل، وأنزل الكتب، وأقام عليه الحجة، وبين له المحجة، لئلا يكون للناس على الله حجة، فمن سار على الهدى، وجانب سبيل

الردى فقد اهتدى، وفاز في الدارين ونجا، ومن خالف سبيل الرشاد، وسلك طريق الغي والفساد، فقد خسر في الدارين وخاب، وهان على الله سبحانه غاية الهوان، وإذا هان العبد على الله فما له من مكرم، قال تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، والأفراد إنما يشقون بالمخالفة لشرع الله، والمجتمعات تصير أشقى المجتمعات إذا لم تخضع لشرع الله.

وانظر أخي إلى أمتنا الحبيبة، كيف كانت عزيزة، شامخة، سعيدة، حين كانت تخضع لكتاب الله والسنة الرشيدة، وتحمل الدين، وتعتز بالعقيدة، كانوا حكام الدنيا، وسادات العالم، وكيف هانت هذه الأمة على الله وعلى عباده من الكافرين، فهم يسومونهم سوء العذاب عندما خالفت كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢].

وقال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وقال ﷺ: «**وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**» صحيح، رواه أحمد(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هذا كله في الدنيا قبل الآخرة، ومعلوم أن الله قد يعجل العقوبة للمذنب في الدنيا على ما يدخره له في الآخرة، لعله يرجع ويتوب، ويتنصل من المعاصي والذنوب، قال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١].

---

(١) «المسند» (٥١١٤، ٥١١٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣١).

وقد يقول قائل: إننا نرى من يقع في المخالفات ولم تحل به عقوبة، ولم ينزل به بلاء، بل هم في نعمة فاكهون، وفي غيهم يعمهون؟

فالجواب على ذلك: ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ الله ﷺ**»: ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤** ﴾ [الأنعام: ٤٤] **صحيح**، رواه أحمد والطبراني والبيهقي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه[(١)].

قال ابن القيم -**رحمه الله**-: الذنب لا يخلو من عقوبة البتة، ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبات، لأنه بمنزلة السكران والمخدر والنائم، الذي لا يشعر بالألم، لكنه إذا استيقظ وصحا من سكره، وتخديره ونومه، أحس بالألم، وشعر بالوجع.

فتَرَتُّب العقوبات على الذنب، كترتب الإحراق على النار، والكسر على الانكسار، والغرق على الماء، وفساد البدن على السموم، والأمراض على الأسباب الجالبة لها، وقد تُقارِن العقوبة الذنب، فتحصل العقوبة عند حصول الذنب مباشرة.

وقد تتأخر العقوبة عن الذنب إما يسيراً، وإما مدة طويلة، كما يتأخر المرض عن سببه أو يقارنه، وكثيراً ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام، ويذنب الذنب فلا يرى أثره عقبيه، ولا يدري المسكين أن الذنب يعمل عمله على التدريج شيئاً

---

(١) «المسند» (١٧٣١١) و«المعجم الأوسط» (٩٢٦٨) و«شعب الإيمان» (٤٥٤٠) وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٤١٤) و«صحيح الجامع» (٥٦١).

فشيئاً، كما تعمل السموم في الجسد حذو القذة بالقذة، فإن تدارك العبد نفسه بالأدوية، والاستفراغ والحمية، وإلا فهو صائر إلى الهلاك، هذا إذا كان ذنباً واحداً لم يتداركه بما يزيل أثره، فكيف بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة، والله المستعان[١].

وقال صاحب الزواجر[٢]: ولا يغرنك أنك ترى من يعصي، ثم ينظر ولا يعاجل بالعقوبة، لأن العاقل لا ينبغي له أن يغرر بنفسه، وليس المغر لنفسه بمحمود وإن سلم، وربما عجل الله لك العقوبة دون غيرك، فإنه لا حجر عليه تعالى، على أن تعجيل العقوبة قد يكون بما هو أشنع وأقبح، وهو مسخ القلب، وبعده عن حضرة الحق، وغوايته بعد هدايته، وإعراضه بعد إقباله.

---

(١) «الداء والدواء» (ص:١٨٠-١٨١) بتصرف. **ولقد لفت نظري لهذا التنبيه، شيخنا الهمام العلامة أحمد بن يحي النجمي، سلمه الله وعافاه من جميع الأسقام، في رسالة مرفقة مع التقريظ هذا نصها:** بسم الله الرحمن الرحيم، فضيلة الشيخ محمد باموسى المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد سؤالي عنكم: أسأل الله لكم دوام الصحة، أنتم ومن يلوذ بكم، ثم اسمحوا لي يا فضيلة الشيخ أن أبدي لكم رأيي في اسم كتابكم هذا «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب»، إن هذا الاسم ينبئ عن أن كل من خالف السنة والكتاب يصيبه العقاب، فيرتسم في تصور الجهال أن كل من خالف السنة يصيبه عقاب سريع، وإن لم يصبه العقاب السريع فإن عمله ليس فيه مخالفة، فيتصور خطأً أن هذه سنة الله في خلقه، مع العلم أن القرآن قد بين أن الجزاء مؤخر إلى يوم القيامة، كقوله جل من قائل ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:١٤]،وغيرها لذا فإني أرى لزاماً أن تغيروا هذا الاسم، أو تجعلوا مقدمة تبينوا فيها أن الأصل في الجزاء أنه في سنة الله في الخليقة وهم المكلفون من عباده، أن الجزاء العام في حقهم مؤخر إلى يوم القيامة، وما يقع في الدنيا لمكذبي الرسل من الاستئصال، وما يقع من عقوبات للمسلمين عامة وخاصة، فإنما هي نذر من الله عاجلة لينبه بها على العقوبات العامة التي ستأتي يوم القيامة، ليتذكر بها من شاء الله من عباده ويتعظ بها ويتوب وينيب، وأسأل الله أن يفقهني وإياكم في دينه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للهيتمي (٢/ ٣٩٥).

وقد وقع لبعض من نعرفه، وكان على هيئة جميلة، وفضل تام وتصون بالغ، أنه زلَّ فقبَّل امرأة عند الحجر على ما حكي، لكن ظهرت آثار صدق تلك الحكاية، فمسخ مسخاً كلياً، وصار بأرث هيئة، وأقبح منظر، وأفظع حالة بدناً ودنيا، وعقلاً وكلاماً؛ فنعوذ بالله سبحانه وتعالى من الزلات، ونسأله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الفتن إلى المهات، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم.اهـ.

وأخيراً: فإنني قد بذلت غاية ما عندي من جهد، ودونت ما لدي في هذا الموضوع، والله وحده المسؤول أن ينفعني بها في الدارين، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها المسلمين، وأن يتقبلها بقبول حسن، ويجعلها للمتمسكين بالحق إماماً، تهدي بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، وما كان فيها من حق وصواب فمن الله العزيز الوهاب، وما كان من خطأ ونقصان، فمني ومن الشيطان، والله ورسوله ﷺ من ذلك بريئان .

وما ذاك مني بل من الله وحده ... بعفو وإمداد وفضل وأنعمِ
فإن أكُ فيها مخطئاً أو مُغالطاً ... فمن ذات نفسي كل خطئي وغِلطتي
أتوبُ إلى الرحمنِ من كلِ خطئةٍ ... وأستغفرُ الرحمنَ لي ولإخوتي
وأسألُه جلَّ اسمُهُ بصفاتِهِ ... وأسمائِهِ الحسنى قَبولَ رِسالتي

وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وأنا مدين لكل من يهدي إلى أي ملاحظة على هذه الرسالة، لنتلافاها في طبعة أخرى، إن شاء الله.

كتبه / أبو عمار محمد بن عبد الله باموسى

(١٥/ ١١/ ١٤٢٤هـ)

مركز السلام العلمي – الحديدة – الربصة

كلمة شكر

قال ﷺ: «**لاَ يَشْكُرُ اللهَّ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ**» **صحيح**، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه[١].

وقال ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهَّ خَيْراً، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**» **صحيح**، رواه الترمذي وابن السني وابن حبان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما[٢].

ولهذا فإنني أتقدم بالشكر الجزيل، بعد شكر الله تعالى، لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب على صورته هذه، وفي مقدمتهم مشايخنا الكرام، عليهم من الله سحائب الرحمة والغفران، فقد قاموا بمراجعة هذا البحث، ونبهوني على بعض الملاحظات الطيبة، والتي عملت بها في مواطنها، والحمد لله، فجزاهم الله خير الجزاء، وأحسن إليهم في الدارين، وكذلك لا أنسى إخواني طلبة العلم، الذين قاموا بطبع هذه الرسالة على جهاز الكمبيوتر، وقاموا بصفها وترتيبها، وصحبوا هذا البحث من مهده حتى بلغ أشده، ولله الحمد والمنة، فجزاهم الله خير الجزاء، وجزى الله كل من أعان وشارك ونبه ووجه، فالله المسؤول أن لا يحرمهم أجرها وثوابها، إن ربي جواد كريم، وواسع العطاء والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «مسند أحمد» (٧٩٣٩)، «سنن أبي داود» (٤٨١١)، «سنن الترمذي» (١٩٥٥)، «صحيح ابن حبان» (٣٤٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١٩) .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٠٣٥)، ابن السني في «عمل اليوم الليلة» (٢٧٥)، «صحيح ابن حبان» (٣٤١٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٨) .

الفصـــل الأول

الفصل الأول

خطر مخالفة الكتاب والسنة

قال تعالى﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

وقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦].

وقال تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف:٥٥]

وقال تعالى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى :٣٠].

وقال تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[البقرة:٥٩].

وقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

وقال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق:٨-١٠] .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة:٢٠-٢١].

وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥]

وقال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ

بِكِتَابِ الله، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله، إِلَّا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»**صحيح**، رواه ابن ماجه والحاكم(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سَمِعَتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الْأَرْضِ، أَنْزَلَ اللهُ بَأْسَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ**»، **قُلْتُ**: **يَا رَسُولَ الله، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ**؟ **قَالَ**: «**يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسُ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَحْمَةِ الله ومغْفِرتِهِ**» **صحيح**، رواه أحمد والحاكم وأبو نعيم والطبراني والبيهقي(١). وجاء عن عائشة رضي الله عنها.

وعن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**» متفقٌ عليه(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**...وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي...**» **صحيح**، رواه أحمد(٣).

وعن ابن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال:«**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثًا.رواه مسلم(٤).

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠١٩) «المستدرك» (٨٦٨٨)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٦٢) و«الصحيحة» (١٠٦) و«صحيح الجامع» (٧٩٧٨).

(١) «مسند أحمد» (٢٤١٣٣) و(٢٦٥٩٦)، «المستدرك» (٨٦٥٩)، «الحلية» (١٥٠٦٥) «المعجم الكبير» (٧٤٧) و(٨٩١)، «شعب الإيمان» (٧٥٩٩) وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٣٧٢) و«صحيح الجامع» (٦٨٠).

(٢) «البخاري» (٧٠٥٩)، «مسلم» (٢٨٨٠).

(٣) «مسند أحمد» (٥١١٤، ٥١١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣١).

(٤) «مسلم» (٢٦٧٠).

وعن بريدة الأسلميﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُغَالِبْ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ**» **صحيح**، رواه أحمد والطحاوي وابن أبي عاصم[٥].

وعن العرباض بن سارية ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**» **صحيح**، رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابن أبي عاصم[١].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» متفق عليه[٢].

وفي لفظٍ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**».

وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**» **صحيح**، رواه الطبراني وابن أبي عاصم وغيرهما[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**» **صحيح**، رواه أحمد وابن حبان وابن أبي عاصم والطحاوي[٤].

---

(٥) «مسند أحمد» (١٩٧٨٦) و(٢٢٩٦٣) و(٢٣٠٥٣)، «مشكل الآثار» (١٢٣٥)، «السنة لابن أبي عاصم» (٩٥،٩٧) بتحقيق الألباني وقد توسع في تخريجه.

(١) «مسند أحمد» (١٧١٤٢)، «سنن ابن ماجه» (٤٣، ٤٤)، «مستدرك الحاكم» (٣٣١)، «السنة لان أبي عاصم» (٤٨)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٠، ٤١، ٤٢)، و«ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم» (٤٨).

(٢) «البخاري» (٢٦٩٧)، «مسلم» (١٧١٨).

(٣) «المعجم الأوسط» (٤٢١٤)، «السنة لابن أبي عاصم» (٣٧)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٠)، و«صحيح الجامع» (١٦٩٩)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤).

(٤) «مسند أحمد» (٦٩٥٨)، «صحيح ابن حبان» (١١)، «السنة لابن أبي عاصم» (٥١)، «مشكل الآثار» (١٢٣٦، ١٢٣٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦، ٥٧)، و«صحيح الجامع» (٢١٥٢).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «**لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، وَإِنِّي لَأَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ**» رواه البخاري ومسلم(٥).

قلت: واقرأ أيها الأخ الكريم، هذا التعليق العظيم للإمام ابن بطة -رحمه الله- في كتابه «الإبانة»(١)، على هذه المقولة العظيمة، لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث قال: هذا يا إخواني الصديق الأكبر، يتخوف على نفسه الزيغ، إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم، وبأوامره ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته، فنسأل الله عصمةً من الزلل، ونجاةً من سوء العمل.

وعن أبي قلابة -رحمه الله- قال: «**إِذَا حَدَّثْتَ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ، فَقَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا، وَهَاتِ كِتَابَ اللَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌّ**»(٢).

قلت: انظر هداني الله وإياك، وسدد على طريق الحق خطايَ وخطاك، إلى هذا الكلام الذهبي، الذي علق به الإمام الذهبي على هذا الأثر، فقال -رحمه الله-: «**وإذا رأيت المتكلم المبتدع، يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات العقل، فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي(٣)، يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس، قد ظهر بصورة بشر، أو قد**

(٥) «البخاري» (٣٠٩٣)، «مسلم» (١٧٥٩).

(١) «الإبانة» (١/ ٢٤٦) رقم (٧٧).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ١٣٧).

(٣) اسم من أسماء الصوفية.

حل فيه، فإن جَبُنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه»(٤).

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: «وَمَنْ رَدَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ»(٥).

وقال الحسن البصري(١) -رحمه الله- في العصاة: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ(٢) بِهِمُ الْبَرَاذِينُ(٣)، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ».

وقال بعض السلف(٤): «إِنِّي لَأَعْصِي اللهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ امْرَأَتِي وَدَابَّتِي».

قلت: اعلم رحمني الله وإياك: أنّ في هذه الآيات والأحاديث والآثار، إنذاراً وتهديداً، لمن كان له قلبٌ، أو ألقى السمع وهو شهيد، فهي تبين الخطر البالغ العظيم، لكل من خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنه على شفا جرفٍ هار، وعلى باب هلكة، قال الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

---

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٧٢) ترجمة أبي قلابة.

(٥) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥) «الإبانة» (١/ ٢٦٠) رقم (٩٧).

(١) «الداء والدواء» (ص:٩٥)، «تفسير ابن كثير» تحت قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢].

(٢) (هملجت الدابة): إذا سارت سيراً حسناً. كما في المعجم الوسيط.

(٣) (البرذون): يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية، وهوعظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر. كما في المعجم الوسيط.

(٤) «الداء والدواء» (ص:١٣٩).

ولله در ابن القيم-رحمه الله- **حيث ذكر في كتابه الماتع الداء والدواء**: أنّ من خالف الكتاب والسنة، عاش في ذلٍ وصغار، وهوان وشقاء في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [طه:١٢٤].

قال(٥) -رحمه الله-: **من الآثار المضرة المترتبة على المعاصي في الدنيا والآخرة:**

- حرمان العلم، فإنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.
- وحشةٌ يجدها العاصي في قلبه.
- ظلمةٌ يجدها العاصي في قلبه حقيقةً، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم.
- حرمان الطاعة.
- أنّ المعصية تقصر العمر وتمحق بركته.
- أنّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً؛ **قال بعض السلف**: إنّ عقوبة السيئة بعدها، وإنّ من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.
- أنّ العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه ...وذلك من علامات الهلاك.
- أنّ المعصية تورث الذل، فإنّ العز كل العز في طاعة الله تعالى.
- أنّ المعصية تفسد العقل، فإن للعقل نوراً، والمعصية تطفئ نور العقل.

(٥) «الداء والدواء» (ص:٨٥-٩٥) بتصرف .

- أنّ الذنوب إذا تكاثرت طُبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، كما قال ذلك بعض السلف في قوله تعالى﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤].
- حرمان الدعوة، دعوة رسول الله ﷺ، ودعوة الملائكة، فإن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات،... كما قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر:٧].
- أنها تضعف القلب عن إرادته.. فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية.
- أنها سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، كما قال تعالى﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[الحج: ١٨].
- ومنها: أنّ الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ، فإنّه لعن على معاصٍ وغيرها أكبر منها، فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة.
- ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة، حتى يفتخر أحدهم بالمعصية أنه عملها، وكما قال النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه(١).

(١) «البخاري» (٦٠٦٩)، «مسلم» (٢٩٩٠) .

قلت: اللهم أحي قلوبنا بالإيمان، واعمرها بطاعتك ومرضاتك، وجنبنا الفواحش والآثام، ما ظهر منها وما بطن، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وقال أيضاً(٢): فمما ينبغي أن يُعلم، أن الذنوب والمعاصي تضر ولا بد، وأنّ ضررها في القلوب كضرر السموم على الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرٌ وداءٌ إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم، والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطَرَدَهُ ولعَنَه، ومسخ ظاهره وباطنه؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم، حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عادٍ، حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية،ودمرت ما مرت عليه من ديارهم، وحرثهم، وزرعهم، ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصحية، حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية، حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعها على أمةٍ غيرهم، ولإخوانهم أمثالها وما هي من الظالمين ببعيد؟

---

(٢) «الداء والدواء» (ص:٦٥-٨٥) بتصرف .

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقل أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون، وداره، وماله، وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميراً؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيراً؟

وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الأعراف:١٦٧].

وجاء عند الإمام أحمد[١]، من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه، قال: «**لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ، فَفُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، رَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ إِذَا هُمْ تَرَكُوا أَمْرَهُ، بَيْنَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى**».

(١) «الزهد» (ص: ١٧٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٧) رقم (٧٠٩) بسند صحيح.

وفي مسند الإمام أحمد(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي عَمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا فِيهِمْ يومئذٍ أناسٌ صالحون؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أُولَئِكَ؟ قَالَ: يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ».

وفيه أيضاً(٣): عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ»، قَالُوا: وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

وفي سنن ابن ماجه(١) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال: كنت عاشر عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ، إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا، إِلَّا ابْتُلُوا بِالطَّوَاعِينِ، وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَا خَفَرَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ

---

(٢) «المسند» (٢٦٥٩٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٧٢)، و«صحيح الجامع» (٦٨٠).

(٣) «المسند» (٢٢٣٩٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٨)، و«صحيح الجامع» (٨١٨٣).

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠١٩)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٦٢)، و «الصحيحة» (١٠٦)، و«صحيح الجامع» (٧٩٧٨).

عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَئِمَّتُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِه إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

وفي المسند(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ بَلَاءً، لَا يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ**».

وفي معجم الطبراني(٣) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا طَفَّفَ قَوْمٌ كَيْلاً، وَلَا بَخَسُوا مِيزَاناً، إِلَّا مَنَعَهُمُ اللهُ الْقَطْرَ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجُنُونَ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الْقَتْلُ، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ إِلَّا وَظَهَرَ فِيهِمُ الْخَسْفُ، وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لَمْ تُرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُمْ**».

وذكر الإمام أحمد في مسنده(١) من حديث جرير رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**».

---

(٢) «المسند» (٤٨٢٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٥).

(٣) لم أرَ الحديث بهذا اللفظ في معاجم الطبراني الثلاثة، نعم رواه الطبراني في «الكبير» بنحوه رقم (١٠٩٩٢)، وذكره المنذري في «الترغيب» (٢/ ٥٦٩)، والهيثمي في «المجمع» (٣/ ٦٥)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (١٠٧).

(١) «المسند» (١٩٢٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٤٩) و«المشكاة» (٥١٤٣).

وفي المسند وجامع الترمذي[٢] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكُمُ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] ».

وفي المسند[٣] من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ هَذَا الْأَمْرِ، مَا لَمْ تَعْصُوا اللهَ، فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ -لِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ-، ثُمَّ لَحَا قَضِيبَهُ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ يَصْلِدُ**».ا.هـ.

وقال -رحمه الله- في موضع آخر[٤] مبيناً بعض عقوبات المعاصي:

- **فمنها: الختم على القلوب والأسماع**، والغشاوة على الأبصار، والأقفال على القلوب، وجعل الأكنة عليها، والرين عليها، والطبع، وتقليب الأفئدة والأبصار، والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الرب، وإنساء الإنسان نفسه، وترك إرادة الله تطهير القلب، وجعل الصدر ضيِّقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، وصرف القلوب عن الحق، وزيادتها مرضاً على مرضها، وإركاسها، وإنكاسها بحيث تبقى منكوسة، كما ذكر الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال: «**الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ، فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ، فَذلِكَ قَلْبُ الكَافِرِ،**

(٢) «المسند» (٧٩٥٢)، «سنن الترمذي» (٣٣٣٤)، «سنن ابن ماجه» (٤٢٤٤)، «المستدرك» (٣٩٦٦) وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٤١).

(٣) «المسند» (٤٣٨٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٥٢) و«صحيح الجامع» (١٣٥٩).

(٤) «الداء والدواء» (ص:١٨١-١٨٥).

وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، فَذلِكَ قَلْبُ الْمُنافِقِ، عَرَفَ ثمَّ أَنْكَرَ، وَأَبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ، وَقَلْبٌ تَمُدُّهُ مَادَّتَانِ: مَادَّةُ إِيمَانٍ، وَمَادَّةُ نِفَاقٍ، وَهُوَ لما غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا».

- ومنها: **التثبيط عن الطاعة**، والإقعاد عنها.
- ومنها: **جعل القلب أصم لا يسمع الحق**، أبكم لا ينطق به، أعمى لا يراه، فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره، كالنسبة بين أذن الأصم والأصوات، وعين الأعمى والألوان، ولسان الأخرس والكلام، وبهذا يعلم أن العمى والصمم والبكم للقلب بالذات والحقيقة، وللجوارح بالعرض والتبعية ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ**﴾ [الحج:٤٦]، وليس المراد نفي العمى الحسي عن البصر، كيف وقد قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ**﴾[النور:٦١]؛وقال : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾[عبس:١-٢]. وإنما المراد أن العمى التام في الحقيقة عمى القلب، حتى إن عمى البصر بالنسبة إليه كالعمى، حتى إنه يصح نفيه بالنسبة إلى كماله وقوته، كما قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**». وقوله ﷺ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالطَّوَّافِ، الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ**». ونظائره كثيرة.

والمقصود أن من عقوبات المعاصي جعل القلب أعمى أصم أبكم

- ومنها: **الخسف بالقلب** كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به إلى أسفل السافلين وصاحبه لا يشعر، وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالاً حول

السفليات، والقاذورات، والرذائل، كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالاً حول العرش.

- ومنها: **البعد عن البر والخير**، ومعالي الأمور، والأعمال والأقوال والأخلاق.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ جَوَّالَةٌ، فَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ»(١).

- ومنها: **مسخ القلب**، فيمسخ كما تمسخ الصورة، فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته، فمن القلوب ما يُمسخ على قلب خنزير، لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يُمسخ على قلب كلبٍ، أو حمارٍ، أو حيةٍ، أو عقرب وغير ذلك، وهذا تأويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال -رحمه الله-: **منهم**: من يكون على أخلاق السباع العادية.

ومنهم: من يكون على أخلاق الكلاب، وأخلاق الخنازير، وأخلاق الحمير.

ومنهم: من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه.

ومنهم: من يكون بليداً كالحمار.

ومنهم: من يؤثر على نفسه كالديك.

ومنهم: من يألف ويؤلف كالحمام.

---

(١) الحش: هو مكان قضاء الحاجة، لقوله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**» رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وابن حبان، وغيرهم عن زيد بن أرقم، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٠).

ومنهم: الحقود كالجمل.

ومنهم: الذي هو خير كله كالغنم.

ومنهم: أشباه الثعالب التي تروغ كروغانها، وقد شبه الله تعالى أهل الجحيم والغي بالحُمر تارة، وبالكلب تارة، وبالأنعام تارة، وتقوى هذه المشابهة باطناً حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهوراً خفياً، يراه المتفرسون وتظهر في الأعمال ظهوراً يراه كل أحد، ولا يزال يقوى حتى تستشنع الصورة، فتنقلب له الصورة بإذن الله، وهو المسخ التام، فيقلب الله سبحانه وتعالى الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان، كما فعل باليهود وأشباههم، ويفعل بقوم من هذه الأمة يمسخهم قردة وخنازير.

فسبحان الله! كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر؟

وقلب ممسوخ، وقلب مخسوف به؟

وكم من مفتون بثناء الناس عليه، ومغرور بستر الله عليه، ومستدرج بنعم الله عليه.

وكل هذه عقوبات وإهانات، ويظن الجاهل أنها كرامة.

- **ومنها: مكر الله بالماكر**، ومخادعته للمخادع، واستهزاؤه بالمستهزئ، وإزاغته للقلب الزائغ عن الحق.
- **ومنها: نكس القلب** حتى يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويفسد ويرى أنه يصلح، ويصد عن سبيل الله، وهو يرى أنه يدعو إليها، ويشتري الضلالة بالهدى، وهو يرى أنه على الهدى، ويتبع هواه وهو يزعم أنه مطيع لمولاه؟ **وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلب.**

- **ومنها: حجاب القلب عن الرب في الدنيا**، والحجاب الأكبر يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[المطففين:١٤-١٥].

فمنعتهم الذنوب أن يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم، فيصلوا إليها فيروا ما يصلحها ويزكيها، وما يفسدها ويشقيها، وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم، فتصل القلوب إليه فتفوز بقربه وكرامته، وتقر به عيناً وتطيب به نفساً، بل كانت الذنوب حجاباً بينهم وبين ربهم وخالقهم.

- **ومنها: المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ**، والعذاب في الآخرة، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه:١٢٤].

وفُسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب، والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما يواريه عنه سكرات الشهوات، والعشق وحب الدنيا والرياسة، وإن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه، إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات، فالمعيشة الضنك لازمة لمن

أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه، وفي البرزخ ويوم معاده، ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحاً، كما قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل: ٩٧] .

الفصـــل الثاني

الفصل الثاني

أقسام العقوبات قدرية كونية وشرعية دينية

قال ابن القيم[1] -رحمه الله-: **وعقوبات الذنوب نوعان:**

شرعية وقدرية، فإذا أقيمت الشرعية، رفعت العقوبات القدرية، أو خففتها، ولا يكاد الرب تعالى يجمع على عبده بين العقوبتين، إلا إذا لم يفِ أحدهما برفع موجب الذنب، ولم يكفِ في زوال دائه.

وإذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية! وربما كانت أشد من الشرعية، وربما كانت دونها، ولكنها تعم، والشرعية تخص، فإن الرب تبارك وتعالى لا يعاقب شرعاً إلا من باشر الجناية أو تسبب إليها.

وأما العقوبة القدرية: فإنها تقع عامة وخاصة، فإن المعصية إذا خفيت لم تضر إلاصاحبها، وإذا أعلنت ضرت الخاصة والعامة، وإذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك إنكاره أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه.

قلت: العقوبة القدرية إذا نزلت تعم ولا تخص، فتصيب الناس أجمعين الصالح والطالح، و لهذا أدلة وشواهد كثيرة من القرآن والسنة.

قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) «الداء والدواء» (ص:١٧٢).

وقال تعالى﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى
ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ
مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ
أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾
فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

وقال تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦].

وقال ﷺ: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعاً**» رواه البخاري عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه[1].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنّها قالت: **اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» قِيلَ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»**.رواه البخاري ومسلم[2].

(١) «البخاري» (٢٤٩٣).

(٢) «البخاري» (٣٣٤٦)، «مسلم» (٢٨٨٠).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**» قَالَتْ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟**[١] **قَالَ:** «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**» رواه البخاري ومسلم[٢]، واللفظ للبخاري.

وقال ﷺ : «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**» **صحيح**، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي بكر ﷺ[٣].

قلت: إن انتشار المعاصي بين الناس مؤذن بخطر عظيم، فهو مقتض لحصول مقت الله سبحانه وتعالى، وسخطه وغضبه، وإذا حل المقت والغضب فإن العقوبة ستكون شاملة، ثم بعد ذلك يُبعث الناس على نياتهم، كما صح عن عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ...**».

فإذا جاءت العقوبة وحلت فستشمل الجميع، وتأكل الأخضر واليابس، وتقضي على الصالح والطالح، لكنهم يُبعثون يوم القيامة على نياتهم، فمن كان منكراً معرضا عن الإجرام والمعاصي، فإنه سينجو من العقاب يوم القيامة، لكن يشمله شؤمه في هذه الدنيا؛ ولهذا يجب على الناس أن يتعاونوا على مكافحة هذه

---

(١) قال شيخنا العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٣): «وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم»: أسواقهم، -يعني: أهل الأسواق- الذين جاءوا للبيع والشراء، ليس لهم قصد سيئ في غزو الكعبة، وفيهم أناس ليسوا منهم، تبعوهم من غير أن يعلموا بخطتهم، فقال الرسول ﷺ: «يخسف بأولهم، وآخرهم، وأسواقهم، ومن ليس منهم، ثم يبعثون يوم القيامة على نياتهم» كل له ما نوى.

(٢) «البخاري» (٢١١٨)، «مسلم» (٢٨٨٢).

(٣) «مسند أحمد» (٣٠)، «سنن أبي داود» (٤٣٣٨)، «سنن الترمذي» (٢٢٥٧)، «سنن ابن ماجه» (٤٠٠٥)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٥٦٤)، و«صحيح الجامع» (١٩٧٣).

المعاصي والجرائم، وأن يعلموا أن خطرها وضررها عليهم أجمعين، وأنها لا تختص بالمتضررين المباشرين لها، بل يتعدى ضررها إلى من سواهم، ويهلك الحرث والنسل، وينقطع بها القطر من السماء.

فهذه العقوبات القدرية لهم بالمرصاد في الدنيا، إذا لم يعاقبوا بالعقوبات الشرعية، فإن العقوبات القدرية الكونية السماوية إذا نزلت تعم الجميع.

أما العقوبات الشرعية، كقطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وجلد القاذف، وغيرها من العقوبات الشرعية، فإنها تصيب فقط من يستحقها.

الفصـــل الثـــالث

الفصل الثالث

الفرق بين العقوبة والابتلاء

أولاً: العقوبة:

العقوبة تكون على فعل محرم، أو ترك واجب[1].

ثانياً: الابتلاء:

وهو الاختبار والامتحان[2].

وينقسم الابتلاء إلى قسمين كما في قوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فالأول: الابتلاء بالشّرّ، وهو مناط[3] الصّبر .

والثّاني: الابتلاء بالخير، وهو مناط الشّكر.

الفرق بين العقوبة والابتلاء:

(١) وهذا هو تعريف الحنابلة للعقوبة، وقد عُرِفت العقوبة في الاصطلاح بتعاريف كثيرة:

١- عرَّفها الحنفية فقالوا: العقوبة تكون على فعل محرم، أو ترك واجب، أو سنة، أو فعل مكروه.

٢- وعرّفها المالكية فقالوا: العقوبة هي زواجر، إما على حدود مقدرة، وإما تعزيرات غير مقدرة.

٣- وعرَّفها الشافعية فقالوا: العقوبة جزاء على الإصرار على ذنب حاضر، أو مفسدة ملابسة، لا إثم على فاعلها، أو جزاء على ذنب ماضٍ منصرم، أو عن مفسدة منصرمة.

هذه جملة من التعريفات للعقوبة في المذاهب الأربعة، والتعريف المختار هو تعريف الحنابلة، فهو أسلم التعاريف. وانظر «مجلة البحوث الإسلامية» (٦٦/ ٢٦٥).

(٢) «تفسير البغوي»، و«فتح القدير» للشوكاني، تحت قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤].

(٣) المناط: بالتحريك، موضع التعليق والعلة، ومنه: مناط الحكم، أي: علته وسببه.

العقوبة لا تكون إلا بسبب الذنوب والمعاصي، من فعل محرم، أو ترك واجب بغير عذر شرعي.

وأما الابتلاء: فليس سببه الذنوب والمعاصي، وإنما هو لرفع الدرجات، ومضاعفة الحسنات، كابتلاء الأنبياء، وأتباعهم، ومن سار على طريقتهم، واقتفى أثرهم بإحسان.

قال العلامة ابن القيم[١]-رحمه الله-: فمن آمن بالرسل وأطاعهم، عاداه أعداؤهم وآذوه، **فابتلي بما يؤلمه**، وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم **عوقب في الدنيا والآخرة**.اهـ.

وسئل الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- **عن هذه المسألة**[٢]:

س: إذا ابتلي أحد بمرض، أو بلاء سيئ في النفس أو المال، فكيف يعرف أن ذلك الابتلاء امتحان، أو غضب من عند الله؟

فأجاب-رحمه الله-:الله عز وجل يبتلي عباده بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء، وقد يبتليهم بها لرفع درجاتهم، وإعلاء ذكرهم، ومضاعفة حسناتهم، كما يفعل بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والصلحاء من عباد الله، كما قال النبي ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**»[٣]، وتارة يفعل ذلك سبحانه بسبب المعاصي والذنوب، فتكون العقوبة معجلة كما قال سبحانه ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

فالغالب على الإنسان التقصير، وعدم القيام بالواجب، فما أصابه فهو بسبب ذنوبه وتقصيره بأمر الله، فإذا ابتلي أحد من عباد الله الصالحين بشيء من الأمراض،

---

(١) «الضوء المنير على التفسير» (٤/ ٤٩٠)؛ وللفائدة: انظر كلاماً نفيساً في هذا الموضوع: (فيما يصيب المؤمن الخالص والعاصي المخالف) في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٠٠-٢٠٨).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٣٧٠-٣٧١) بتصرف.

(٣) سبق تخريجه.

أو نحوها، فإن هذا يكون من جنس ابتلاء الأنبياء والرسل، رفعاً في الدرجات، وتعظيماً للأجور، وليكون قدوة لغيره في الصبر والاحتساب.

فالحاصل أن البلاء يكون لرفع الدرجات، وإعظام الأجور، كما يفعل الله بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وبعض الأخيار، ويكون لتكفير السيئات، قال تعالى ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

وهذه السيئات منها ما يكون قد وقع فيها قديماً، ومنها ما يكون حديثاً، فالعقوبة تكون على هذا وهذا، قال ﷺ: **«مَا أَصَابَ الْمُسْلِمَ مِنْ هَمٍّ ، وَلاَ غَمٍّ ، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذىً، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهِ مِنْ خَطَايَاهُ، حَتى الشوْكَةِ يُشَاكُهَا»**[1].

وقال ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»**[2].

وقال ﷺ : **«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[3].اهـ.

وسئل الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله-: نعلم حكمة ما يصيب الإنسان المسلم من مصائب، فقد تكون امتحاناً وابتلاءً، وقد تكون عقوبة لما حصل منه من أخطاء، **هنا يأتي سؤال:**

ما الحكمة من المصائب التي تقع على الإنسان الكافر؟

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤١) و (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣) عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٠٧)، والحاكم (١٢٩٢)، عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٠) و«صحيح الجامع» (٣٠٨).

وما الحكمة من وقوع المصائب والأوجاع على الأطفال الصغار؟ حيث تقع على بعض الأطفال دون البعض الآخر؟

وماذا يُقال عن المصائب: من مرض، أو كسر، أو جرح، التي تقع على بعض الحيوانات والطيور؟

فأجاب -حفظه الله-: حكمة الله تعالى في خلقه لا يمكن الإحاطة بها، فمنها ما ندركه، ومنها ما لا ندركه، لكننا نقطع ونؤمن أن الله سبحانه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة بالغة، لأنه سبحانه منزه عن العبث، **وما يصيب الكافر من المصائب فإنه عقوبة على كفره ومعاصيه.**

قال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١].

وقال تعالى ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور:٤٧].

وأما ما يصيب الصغار، فإنه قد يكون عقوبة لآبائهم أو ابتلاء لآبائهم، ليظهر صبرهم واحتسابهم إلى غير ذلك، وكذا ما يصيب البهائم فإنه عقوبة لملاكها، أو ابتلاء لهم، قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة:١٥-١٥٦][1] .

وقال الألباني -رحمه الله- **في الصحيحة**[2] **تحت عنوان (من أشد الناس بلاءً):**

وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيماناً، ازداد ابتلاءً وامتحاناً، والعكس بالعكس، ففيها رد على ضعفاء العقول والأحلام،

---

(١) «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان» (٢/ ١٠٤-١٠٥).

(٢) «الصحيحة» (١/ ٢٧٥-٢٧٦) تحت حديث رقم (١٤٣).

الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء، كالحبس، أو الطرد، أو الإقالة من الوظيفة ونحوها، أن ذلك دليل على أن المؤمن غير مرضي عند الله تعالى، وهو ظن باطل، فهذا رسول الله ﷺ وهو أفضل البشر، كان أشد الناس -حتى الأنبياء- بلاءً، فالبلاء غالباً دليل خير وليس نذير شر، كما يدل على ذلك أيضاً الحديث: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[١].

وهذا الحديث يدل على أمر زائد على ما سبق، وهو أن البلاء إنما يكون خيراً، وأن صاحبه يكون محبوباً عند الله تعالى إذا صبر على بلاء الله تعالى، ورضي بقضاء الله عز وجل.

ويشهد لذلك الحديث: «**عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَهُ مَا يُحِبُّ، حَمِدَ اللهَ وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يَكْرَهُ فَصَبَرَ، كَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ إِلَّا الْمُؤْمِنُ**»[٢].اهـ.

وقال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: **في سؤال قدم له**[٣]: **كيف يعرف الرجل البلاء إذا نزل به من المصيبة؟**

يعني إذا نزل بالعبد شيء هل يعتبره بلاء أم يعتبره مصيبة؟

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣١) عن أنس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٤٦)، و«صحيح الجامع» (٢١١٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢٣٩٣٠) بسند صحيح، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٤٧) عن صهيب رضي الله عنه.

(٣) شريط الأجوبة المفيدة على أسئلة الواسطية (وجه. ب).

قال -حفظه الله-: الأصل أنّ المسلم ما يصيبه ابتلاء لقول النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٤).

السراء والضراء صارت خيراً للمؤمن، فتكون إذن من الابتلاء، ابتلي بالسراء فشكر، فكانت خيراً له، وابتلي بالضراء فصبر، فكانت خيراً له، هذا الأصل بالمؤمن أنه يبتلى بذلك، ويقال: يُخشى أن تكون عقوبة، **فإن كان المسلم في نفسه يعلم أنه من أهل العصيان، فقد يترجّح له أنه من أهل العقوبة**، كما قال بعض السلف حينما أُصيب بمرض شديد في آخر عمره، قال: مما أصبتُ بهذا؟ فجعل يتذكر هل له ذنب يعاقب عليه، فتذكر، فقال: ربما كانت من نظرة نظرتُها وأنا شاب، هذا مما يخشاه العبد، يخشى أن يكون ما أصابه عقوبة، وهو ابتلاء يصبر عليه، فإذا كان ذلك يتذكر معصيته وذنبه فليبادر بالتوبة والإنابة؛ لأن هذه المصائب كفارات وتذكر العبد وتمحو الخطايا، «**وَلَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّى يَدَعَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١)، فقد جاء في البخاري وغيره «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»(٢).

وقال -حفظه الله- في موضع آخر(٣): من كان ذا نعمة فليشكر نعمة الله وليستقم على أمر الله، ومن كان ذا مصيبة فليتفكر في نفسه، إن كان مقيماً على الإيمان فليصبر وليحتسب، وليعلم أن ذلك زيادة في إيمانه، واختبار لتصديقه ويقينه،

---

(٤) رواه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٤٨١) والترمذي (٢٥١٠)، وابن ماجه (٤٠٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٠)، و«صحيح الجامع» (٥٨١٥).

(٢) البخاري (٥٦٤٥).

(٣) شريط «حقيقة الابتلاء» (وجه:ب).

ومن كان على ضد ذلك فليعلم أن تلك عقوبة يعاقب بها من خالف أمر الله، فهي إما ابتلاء وإما عقوبة.اهـ.

قلت: وختاماً ألخص لك بعض العلامات الفارقة بين العقوبة والابتلاء:

أولاً: الإيمان والاستقامة على المنهج النبوي سبب الابتلاء، واشتداده في هذا المجال دليل على شدَّة الإيمان، ولذلك كان الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل. **أما الجزاء والعقوبة، فمرجعه وسببه الانحراف عن الكتاب والسنة**، وكلما زاد الفسق، وكبر حجم الانحراف، اشتدَّت العقوبة.

وبمعنى أوضح تكون المصيبة عقوبة إذا كانت بسبب ذنب، لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠]، فأهل المعاصي والذنوب والإجرام ما يصيبهم من مصيبة فهي عقوبة، قال ﷺ: «**إذا أَرَادَ الله بِعَبْد خيرا عجل لَهُ الْعقُوبَة**»[١]، وتكون المصيبة ابتلاء واختباراً، ليرتفع بها قدر المؤمن وتعلو درجته، إذا كان مقيماً على الإيمان، كما ابتلي الأنبياء والشهداء والعلماء، قال تعالى ﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ ﴾[العنكبوت:١-٢].

وقال ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، -وفي رواية: قَدْرِ دِينِهِ-، فإِنْ كانَ فِي دِينِهِ صُلْباً، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وإِنْ كانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ على حَسَبِ دِينِهِ، فَما يَبْرَحُ البَلاءُ بالعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي على الأَرْضِ**

---

(١) سبق تخريجه.

وَمَا عليهِ خَطِيئَةٌ»صحيح، رواه الترمذي وابن ماجه والطحاوي وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم عن سعد ابن أبي وقاص(٢).

ثانياً: الابتلاء سبيل للإمامة والتمكين، بينما العقوبة حرمان منها، قال الله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤]. فإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- جُعل للناس إماماً، لأنه نجح في كل ما ابتُلي به وامتحن، بينما الذين يفشلون في ذلك يُحرمون هذه الإمامة ولا ينالون ذلك العهد ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

ثالثاً: الابتلاء قد يكون علامة على حب الله ورضاه عنه، لقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَّ إذا أحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُمْ**»(١)، **بينما العقوبة والجزاء إشارة إلى غضب الله وعدم رضاه عن العبد**، قال تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف: ٥٥].

رابعاً: الفرق بينهما من حيث العلاج، فالابتلاء يحتاج إلى الاستعانة بالله، والصبر والتقوى، والرضا وما إلى ذلك من أمور، **أما العقوبة فتحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى التوبة والاستغفار والاستقامة وتصحيح المسار.**

---

(٢) «سنن الترمذي» (٢٥٠٩)، «سنن ابن ماجه» (٤٠٢٣)، «مشكل الآثار» (٢٢٠٢)، «صحيح ابن حبان» (٢٩٠٩)، «مسند أحمد» (١٥٥٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣)، و«صحيح الجامع» (٩٩٢).

(١) رواه أحمد (٢٣٦٢٣)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣١)، عن أنس بن مالك ومحمود بن لبيد رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (١٤٦) و«صحيح الجامع» (١٧٠٦).

الفصـــل الرابـــع

الفصل الرابع

أقسام المخالفة لله عز وجل وللرسول ﷺ

أولاً: المخالفة لله سبحانه وتعالى:

تنقسم إلى قسمين كما قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله-(١):

(١) **قسم يوجب الردة**، ويُبطل الإسلام بالكلية، ويكون صاحبه كافراً كالنواقض التي أوضحتها سابقاً(٢).

(٢) **والقسم الثاني**: لا يُبطل الإسلام ولكن ينقصه ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم، من غضب الله وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف مرتكبها أنها معاصي، ولكن لا يستحلها، كالذي مات على الزنى، أو على الخمر، أو على عقوق الوالدين، أو على الربا ونحو ذلك؛ فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، لقول الله عز وجل

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز» (٤/ ٢٥-٢٦) بتصرف يسير.

(٢) يشير الشيخ -رحمه الله- إلى نواقض الإسلام العشرة وهي: ١- الشرك في عبادة الله تعالى كدعاء الأموات ، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم. ٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً. ٣- من لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر . ٤- من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر. ٥-من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر . ٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر . ٧- السحر ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر. ٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. ٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر.
١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. لأنه ليس بكافر، لكونه لم يستحل هذه الأمور، وإنما فعلها اتباعاً للهوى والشيطان، أما من استحل الزنى، أو الخمر، أو الربا فإنه يكفر، كما تقدم بيان ذلك، فينبغي التنبه لهذه الأمور، والحذر منها، وأن يكون المسلم على بصيرة من أمره. وهذا الذي ذكرناه هو قول أهل السنة والجماعة، وأصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم وأتباعهم بإحسان. أهـ.

ثانياً: المخالفة لرسول الله ﷺ:

تنقسم أيضاً إلى قسمين: كما قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-(١):

القسم الأول: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره، كمخالفة الكفار وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ﷺ، فهم تحت الذلة والصغار، ولهذا أمَرَ الله بقتال أهل الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وعلى اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول كفر عناد.

القسم الثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره.

وهذا نوعان:

أحدهما: من يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية، فله نصيب من الذلة والصغار.

قال الحسن-رحمه الله-: «**وإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ**».

وكان الإمام أحمد يدعو: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِالطَّاعَةِ، وَلاَ تُذِلَّنَا بِالْمَعْصِيَةِ**».

---

(١) «الحكم الجديرة بالإذاعة» من قول النبي ﷺ:«بعثت بالسيف بين يدي الساعة» وكتاب «قال ابن رجب» جمع وترتيب عمرو موسى الحافظ (ص:١٢٢-١٢٥).

وقال أبو العتاهية :

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

فأهل هذا النوع خالفوا الرسول ﷺ، من أجل داعي الشهوات.

والنوع الثاني: من خالف أمره من أجل الشبهات، وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم له نصيب من الذلة والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢].

وأهل الأهواء والبدع كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افترائهم عليه، وقد جعل الله من حرم ما أحله الله، وحلل ما حرمه الله مفترياً عليه الكذب، ومن قال على الله ما لا يعلم فقد افترى عليه الكذب، ومن نسب إلى الله ما لا يجوز نسبته إليه من تمثيل، أو تعطيل، أو كذَّب بأقداره، فقد افترى على الله الكذب، وقد قال الله عز وجل ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

وقال سفيان: «الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم».

فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي، لأن المبتدع مفترٍ على الله، مخالف لأمر رسوله لأجل هواه.

فأما مخالفة بعض أوامر الرسول ﷺ خطأً، من غير تعمد مع الاجتهاد على متابعته، فهذا يقع كثيراً من أعيان الأمة، من علمائها وصلحائها، ولا إثم فيه، بل صاحبه إذا اجتهد فله أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه موضوعٌ عنه، ومع هذا فلا يمنع

ذلك من عَلِمَ أمر الرسول ﷺ، والذي خالفه هذا أن يبين للأمة أن هذا مخالف لأمر الرسول ﷺ، نصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين، ولا يمنع ذلك من عظمة من خالف أمره خطأ، وهب أن هذا المخالف عظيمٌ له قدر وجلالة وهو محبوب للمؤمنين، إلا أن حق الرسول ﷺ مقدم على حقه، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يُعظم، ويُقتدى به من رأي مُعظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأً.

ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم من العلماء على كل من خالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا الرد -لا بغضاً له، بل هو محبوب عندهم، مُعظم في نفوسهم- لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق.

فإذا تعارض أمر الرسول ﷺ وأمر غيره، فأمر الرسول ﷺ أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر رسول الله ﷺ بخلافه، بل يرضى بمخالفة أمره ومتابعة أمر رسول الله ﷺ إذا ظهر أمره بخلافه، كما أوصى الشافعي: إذا صح الحديث في خلاف قوله أن يتبع الحديث ويترك قوله.

وكان يقول: «**ما ناظرت أحداً فأحببت أن يُخطئ، وما ناظرت أحداً فباليت أظهرَ الحق على لسانه أو على لساني**» لأن تناظرهم كان لظهور أمر الله ورسولهﷺ، لا لظهور نفوسهم والانتصار لها.

وكذلك المشايخ والعارفون، كانوا يوصون بقبول الحق، من كل من قال الحق، صغيراً كان أو كبيراً.

وقيل لحاتم الأصم: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرت أحداً إلا قطعته، فبأي شيء تغلب خصمك؟

قال: «**بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عن أن أقول له ما يسوؤه**»، فذُكر ذلك للإمام أحمد، فقال: «**ما كان أعقله من رجل**».

وقد روي عن الإمام أحمد أنه قيل له: إن عبد الوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فقال: «**لا نزال بخير ما دام فينا من ينكر**».

ومن هذا الباب قول عمر لمن قال له: اتق الله يا أمير المؤمنين، فقال: «**لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم**».اهـ.

الفصل الخامس

الفصل الخامس

الطرد والإبعاد لإبليس إلى يوم المعاد

وبعد أن انتهيت من الفصل الأول، والثاني والثالث والرابع، الذين هم بمثابة مقدمة، وتوطئة ومدخل لموضوع الكتاب، بدأت في هذا الفصل بأول المخالفين وإمامهم، وهو إبليس اللعين المطرود من رحمة رب العالمين إلى يوم الدين.

قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١١-١٢].

فانظر أخي الكريم: إلى العقوبة السريعة التي عاقب الله بها إبليس، عندما رفض أمر الله بالسجود لآدم وهي قوله تعالى ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣].

وقال تعالى ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر:٣٥-٣٦].

وقال تعالى ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٦ -٧٧].

وأكد سبحانه وتعالى اللعنة على إبليس، والطرد، والإبعاد، والنفي عن محل الملأ الأعلى، في قوله ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾[الأعراف:١٨].

والعقوبات التي عاقب الله بها إبليس هي:

- الطرد والإبعاد إلى يوم المعاد.
- مسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة، وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع.

- وبُدل بالقرب بعداً.
- وبُدل بالرحمة لعنة.
- وبُدل بالجنة ناراً تلظى.
- وبُدل بالإيمان كفراً.
- وبموالاة الولي الحميد، أعظم عداوة ومشاقة.
- وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل، زجل الشرك والكفر والكذب، والزور والفحش.
- وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قواداً لكل فاسق ومجرم، رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك(١).

قلت: كل هذه العقوبات التي عاقب الله بها إبليس، بسبب تكبره وعصيانه لأمر ربه بالسجود لآدم، سجود تكريم وتشريف.

فما بالك أخي المسلم، بمن ترك السجود لله سبحانه وتعالى، وتخلف عن الصلاة بالكلية، لا شك أن الأمر عظيم.

فبالسجود لله هو يفرق بين الإنسان والشيطان، إذ هو في الحقيقة مراغمة لهذا الشيطان، ودحرٌ له، لأن الشيطان أمر بالسجود فأبى، وكان ذلك سبب حلول لعنة الله عليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم يكون له العقاب في الآخرة.

وأما الذي ينأى بنفسه ويعصي الشيطان، ويسجد للرحمن سبحانه وتعالى، فإنه حينئذٍ يكون محققاً للعبودية، معلناً مراغمته وخصومته للشيطان الرجيم.

---

(١) «الداء والدواء» (ص:٦٥-٦٦) بتصرف.

ولما كان عقاب إبليس عند امتناعه من السجود الطرد والإبعاد من رحمه الله، يكون بالمقابل الساجد لله متعرّضاً ومقترباً من رحمة الله ومغفرته قال تعالى ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق:١٩].

ولاشك أن السجود لله أسمى مقامات العبد، وهذا فقه قول النبي ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**» رواه مسلم(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكيف إذا علمت أيها الإنسان أن الكون كله عابد لربه، وكل المخلوقات تسبح بحمده سبحانه، قال تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة:١].

وكل مخلوقاته تسجد لعظمته سبحانه وتعالى ، قال جل ثناؤه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج:١٨].

بل كل هذه الكائنات والمخلوقات تصلي لربها ، قال عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور:٤١].

وإذا كان جسمك يسير في نظام دقيقٍ وفق تقدير الله وتدبيره، فالقلب والرئتان والكبد، وسائر الأعضاء مستسلمة لربها، أفيكون قرارك الاختياري، الذي خُيِّرت فيه بين أن تؤمن بربك، وبين أن تكفر به، أفيكون هذا القرار هو النشاز، والشذوذ عن هذه المسيرة المباركة في الكون من حولك، بل وفي بدنك ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

(١) «مسلم» (٤٨٢).

إن الإنسان العاقل الكامل، يربأ بنفسه أن يكون هو الشاذ، في هذا الكون العظيم الفسيح الساجد المسبح لربه جل وعلا.

الفصـــل السادس

الفصل السادس

فيمن ورد ذكر هلاكهم في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من غير المسلمين

كثيرة هي الأمم التي أهلكها الله في القرون الماضية، قال تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:١٧] وكم هنا للتكثير، ويُفهم من هذه الآية، أن الهلاك بدأ بقوم نوح عليه الصلاة والسلام، وقد استمر إلى الفترة السابقة لمولد النبي ﷺ، حيث كان هلاك أصحاب الفيل، والله سبحانه وتعالى لم يقصص علينا قصص جميع الرسل، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[غافر:٧٨]، ولا ندري ماذا كانت عاقبة أمم الرسل الذين لم يقص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم، وما ورد في القرآن من قصص الأمم الهالكة يكفي للاتعاظ والاعتبار لذوي العقول والحجى.

وقد كان حديث القرآن عن بعض تلك الأمم مفصلاً، شاملاً لذكر مواطنها، والرسل التي أرسلت إليها، ووصفاً دقيقاً لمصارعها، بينما هناك أمم أخرى لم تذكر قصصها إلا مجملة، ومع ذلك لم تخل قصة من تلك القصص من مواطن العظة والعبرة، التي من أهمها ذكر الأسباب التي أدت إلى هلاك تلك الأمم، فالاعتبار بعاقبة أولئك إنما يتم بمعرفة الأسباب التي أدت بهم إلى تلك العاقبة، وهي كثيرة ومتنوعة.

وقد عاقبهم الله بعقوبات مختلفة، فمنهم من أهلكه الله بالغرق، ومنهم من أهلكه الله بالريح، ومنهم من أهلكه الله بالصيحة، ومنهم من أهلكه الله بالرجفة، ومنهم من أهلكه الله بالصاعقة، ومنهم من أهلكه الله بقلب الديار، ومنهم من أهلكه الله بالحجارة، ومنهم من أهلكه الله بالظلة، ومنهم من أهلكه الله بالخسف، ومنهم من أهلكه الله بالمسخ.

ولنبدأ بأولهم:

{١} هلاك قوم نوح عليه الصلاة والسلام (بالطوفان)

قضى نوح عليه الصلاة والسلام[1] في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهو يدعوهم إلى التوحيد قال الله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح:١-٣].

وقال تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت:١٤]

ولما يئس نوح عليه الصلاة السلام من استجابة قومه، وجاءه الوحي من ربه بأن قومه لن يؤمنوا، دعا عليهم بالهلاك، فاستجاب الله دعوته، وجاء الأمر الإلهي بهلاك قومه بالطوفان، فأغرقهم الله جميعاً، وطهَّر الأرض من دنسهم، قال تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر:١٠-١٢].

وقال تعالى ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت:١٤].

وبعد هلاك القوم عاد كل شيء كما كان بأمر الله سبحانه وتعالى.

وفي ذلك يقول جل وعلا ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:٤٤].

---

(١) يستحب الجمع بين الصلاة والسلام على الأنبياء، لقوله ﷺ: «صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني» رواه البيهقي في «الشعب» رقم (١٣١) عن أبي هريرة ﷺ عنه، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٨٢).

وهكذا طويت صفحة الظالمين، ليبدأ فصلٌ جديد من فصول التاريخ بنوح ومن معه من المؤمنين، قال تعالى ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:٤٨].

{٢} هلاك قوم هود عليه الصلاة والسلام (بالريح)

كانت عادٌ كما وصفهم القرآن الكريم، على قدرٍ كبيرٍ من طول الأجسام، وقوة البطش، والمهارة في العمران، ولكنهم كانوا على الشرك مع تكبر وعتو فأرسل الله إليهم هوداً عليه الصلاة السلام، يدعوهم إلى توحيد الله، ولم يلقَ منهم إلا العناد والتكذيب، فأهلكهم الله بالريح وقطع دابرهم، قال تعالى﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت:١٥-١٦]

وقال تعالى ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات:٤١-٤٢].

فأهلك الله الكافرين المستكبرين، والحمد لله رب العالمين.

{٣} هلاك قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بالصيحة)

بعد هلاك عاد بالريح، برزت من بين الأمم ثمود، وكانوا يسكنون الحِجْرِ في وادي القرى بين الشام والحجاز، كما ذكر ذلك صاحب معجم البلدان، وكانت مساكنهم مشهورة معلومة عند العرب قبل الإسلام وإلى وقتنا هذا، وتُعرف المنطقة حالياً (بمدائن صالح)، وقد مر بها النبي ﷺ مع أصحابه في طريقهم إلى تبوك.

روى البخاري[١] بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما مر بالحِجْرِ قال: «**لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ، وَهْوَ عَلَى الرَّحْلِ**».

وقد أعطيت ثمود مهارة في البناء والعمران، مع ما كانوا فيه من طيب العيش ورغده، قال تعالى ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤].

وقال تعالى ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء:١٤٦-١٤٨].

(١) «البخاري» (٣٣٨٠).

لكنهم لم يقابلوا هذه النعم بالشكر والعرفان كما يجب، بل قابلوها بالكفر والنكران، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحاً عليه الصلاة والسلام، فدعاهم إلى عبادة الملك العلام، ونبذ عبادة الأصنام، فكذبوه وطالبوه بآية دالة على صدقه، عناداً وتعنتاً، فآتاهم الله الناقة آية بينة، وحجة بالغة، فأصروا على عنادهم، ولم يقف أمرهم عند ذلك الحد، بل عتوا عن أمر ربهم، وتجرؤا على انتهاك حرمة الله، فعقروا الناقة فحق عليهم كلمة العذاب، ولما فعلوا فعلتهم الشنيعة، وعدهم صالح بالهلاك بعد أيام ثلاث، قال تعالى ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ﴾[هود:٦٥].

وقد ذاقوا مرارة الانتظار والترقب خلال تلك الأيام، فلما اكتملت الأيام الموعودة، أتاهم العذاب صبيحة يوم نحس، فأخذتهم رجفة شديدة، زلزلت بهم الأرض، وصاعقة محرقة من فوقهم، وصيحة واحدة مفزعة، قطعت نياط قلوبهم، وتركتهم أجساداً بلا أرواح، وبقيت مساكنهم وديارهم عبرة للمعتبرين، على مر الأيام والعصور.

قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ

رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾
[هود:٦١-٦٨].

{٤} هلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام (بقلب الديار والرمي بالحجارة)

ابتدع قوم لوط فاحشة لم يسبقوا إليها، واشتهروا بها من بين الأمم، ألا وهي فاحشة إتيان الرجال شهوة من دون النساء، يعلنون بذلك ولا يستترون، فأرسل الله إليهم لوطاً عليه الصلاة والسلام، فدعاهم إلى توحيد الله، وزجرهم عن فاحشة اللواط وأنذرهم، لكن القوم قد تأصلت فيهم هذه الفاحشة، واستولت عليهم الشهوة البهيمية، فلم يزدادوا إلا عناداً وإصراراً على فعلتهم الشنيعة، فكانوا بذلك يستنزلون عقاب الله، ويستعجلون عذاب الدنيا قبل الآخرة.

ولم يؤمن للوط من قومه سوى أهل بيته، باستثناء امرأته، فقد آثرت البقاء على دين قومها وموالاتهم على فواحشهم، فلما جاء الهلاك هلكت مع من هلك، وكان هلاكهم بألوان من أشد العذاب، إذ قلب الله قراهم وجعل عاليها سافلها، ورافق ذلك صيحة عظيمة، ومطر بحجارة من سجيل، فأبيدوا عن آخرهم، وبقيت قصتهم عبرة للمعتبرين.

قال الله تعالى حاكياً قصة لوط عليه الصلاة والسلام مع قومه ﴿ قَالَ فَمَا
خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا
لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ
﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ
مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا
تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ

إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر: ٥٧-٧٧].

{٥} عقوبة الملك الجبار الذي أراد سارة زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بسوء

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاَ تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ»، قَالَ الأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: «قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ارْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ (أي:هاجر) فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللهَ كَبَتَ الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً» رواه البخاري ومسلم[١].

(١) «البخاري» (٢٢١٧) و(٢٦٣٥) و(٣٣٥٧) و(٣٣٥٨) و(٥٠٨٤) و(٦٩٥٠)، و«مسلم» (٢٣٧١).

في هذه القصة: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام خرج من بلده هو وزوجته سارة، بعد أن ألقاه قومه في النار، فأنجاه الله منها.

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

سافر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ديار بعيدة، ليس له فيها من أهلها أنصار، وهي أرض مصر، وفي مثل هذه الأحوال يطمع أهل الظلم والطغيان والجبروت والفساد في أمثاله من الغرباء، وقد واجه إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا عندما حل ديار ملك جبار غاشم، ذُكِرَ له حلول إبراهيم في أرضه، ومعه امرأة من أجمل نساء الدنيا، وكان من طريقة هؤلاء الجبارين المفسدين إن أرادوا امرأة أن يبطشوا بزوجها أولاً إن كانت متزوجة، ولا يتعرضون لقرابتها بسوء إن كانت عزباء غير متزوجة، ولذا فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لرسول ذلك الملك إنها أخته عندما سأله عنها، لينجو من بطشه، وقد أرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بزوجته إلى ذلك الطاغية، كما طلب منه، ثقة منه عليه الصلاة والسلام برعاية الله سبحانه وتعالى وحفظه لها، بعد أن أوصاها بأن لا تخبر الملك بصلتها الحقيقية به، وقد بيَّن لها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجهة نظره في ذلك، فهي أخته في الإسلام، إذ لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيرهما، ومع أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أوَّلَ قوله إن سارة أخته، أي في الإيمان والإسلام، فإنه يعتذر في يوم القيامة عن الشفاعة عندما يطلب الناس منه أن يشفع لهم إلى ربهم ليقضي بين الناس، لأنه كذب في حياته ثلاث كذبات.

الأولى: هي قوله لقومه ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩] عندما دعوه لمشاركتهم في أعيادهم الشركية الباطلة.

والثانية : هي في قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣] عندما حطم الأصنام، وترك كبيرهم بعد أن علق الفأس في عنقه، وزعم أن الكبير هو الذي حطَّم الأصنام الصغيرة وبطش بها.

والثالثة: هي في قوله في هذه القصة للطاغية: أن سارة أخته ليحمي نفسه من جبروت الطاغية وبطشه.

أرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بزوجته إلى الطاغية وفزع إلى الصلاة يدعو ربه ويلتجأ إليه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة:١٥٣].

وقد حفظ الله خليله في زوجته سارة كما حفظ سارة في نفسها، وهذا مصداق لقوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ**»(١).

فما كاد الطاغية يقوم إلى سارة ليأخذها عندما دخلت عليه حتى أُخذ أخذاً شديداً، حتى فحص الأرض برجليه، بعد أن دعت سارة ربها، وناشدته أن يرد عنها كيده وشره، ولكنها خشيت على نفسها إن هو مات أن يتهموها بقتله «**اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ**»، ويُطْلِقَهُ الله بعد أن طلب هو من سارة أن تدعو له، ووعدها بعدم التعرض لها، فلما أُرسِل أخلف وعده وغلبته شهوته، فقام إلى سارة مرة أخرى، فأُخذ أخذة أشد من الأولى، وناشدها مرة أخرى أن تدعو الله ليفرج عنه، ووعد مرة أخرى بعدم التعرض لها، فقالت في دعائها لربها مقالتها السابقة: «**اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ**»، وبعد الثانية أو الثالثة دعا أعوانه وأمرهم بإرجاع سارة إلى إبراهيم سالمة غانمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج: ٣٨] فقد علم هذا الجبار المفسد أنها محفوظة، وأنه لا سبيل إليها، فرجعت وفي صحبتها

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٧٦٣) و(٢٨٠٣)، والترمذي في «السنن» (٢٦٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٣٨٣)،عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

هاجر، هدية من ذلك الجبار الطاغية، وهاجر هي أم إسماعيل، أهدتها سارة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام فدخل بها.

ولذلك ورد في «مستدرك الحاكم» و«مشكل الآثار» أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْراً، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً**»(١).

وجاء في «صحيح مسلم» عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً**» **أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وَصِهْراً»**(٢).

ومراد الرسول ﷺ بالذمة والرحم، أو الصهر التي لأهل مصر، كون أم إسماعيل منهم، والرسول ﷺ كان من نسلها.

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٠)، الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٣٦٤)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٣٦٢) رقم (١٣٧٤).

(٢) «مسلم» (٢٥٤٣).

{٦} هلاك قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (بالرجفة والصيحة)

أرسل الله إليهم رسولاً منهم، هو شعيب عليه الصلاة والسلام، لدعوتهم إلى توحيد الله جلَّ وعلا، فقد كان هؤلاء أهل شرك وكفر، وتطفيف للمكاييل والموازين، ولم تُجدِ معهم دعوة شعيب إياهم إلى التوحيد، وإيفاء الكيل والميزان، بل ازدادوا عناداً وإصراراً، فكان هلاكهم بهذه الأصناف من العـذاب، أصابهم الظـلة، وهي سحـاب أضلتهم فيها شرر من نار، ولهب، ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام، قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأعراف:٩٠-٩١].

وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ [هود:٩٤].

وقال تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

(٧) هلاك فرعون وقومه (بالغرق)

أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى عبادة الله وحده، وإرسال بني إسرائيل مع موسى عليه الصلاة والسلام ليخرجوا من العبودية في مصر إلى الأرض المقدسة، لكن الكبر والعتو حال بين فرعون والإيمان، فلم تنفعه الآيات والمعجزات، التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام، فكذَّب وعاند وادَّعى الربوبية والألوهية، وشايعه قومه في كفره وعناده، وكانوا بذلك يسعون إلى حتفهم ومصيرهم السيئ.

ولما جاء أمر الله بهلاك فرعون وقومه، أُمر موسى عليه الصلاة والسلام، أن يُخرج بني إسرائيل ليلاً، فخرج بهم، فعلم فرعون بذلك، فحشد جيشه وعساكره، وساروا في إثر بني إسرائيل مع شروق الشمس، ليعيدوهم إلى العبودية، ولم يعلموا أنهم يخرجون خرجة لا رجعة بعدها أبداً، وبعد أن فلق الله البحر لموسى عليه الصلاة والسلام وعبر بنو إسرائيل، دخل فرعون بجنوده في أثرهم، فانطبق البحر عليهم فأغرقوا جميعاً، فلم ينجُ منهم أحد.

قال الله تعالى ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس:٩٠-٩٢].

وقال تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء:٦١-٦٦].

{٨} هلاك أصحاب القرية الذين ورد ذكرهم في سورة يس (بالصيحة)

جاء في القرآن الكريم عن أصحاب القرية(١) أن الله أرسل إليهم رسولين، فلم يلقيا إلا التكذيب من القوم، فبعث الله ثالثاً لتعزيزهما، فلم يزدد القوم إلا عناداً وتكذيباً للرسل، بل هددوهم بالرجم والتعذيب إن لم يكفوا عن دعوتهم، فلم ينفع القوم حجج المرسلين ولا نصائح الرجل الذي آمن منهم، فكان هلاكهم كما أخبر الله ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يس:٢٨-٢٩].

(١) قال الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠): هي أنطاكية من قول جميع المفسرين.اهـ. وأنطاكية: مدينة تاريخية قديمة فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وتقع الآن في تركيا. [«معجم البلدان» (١/ ٢١٣) و«أسباب هلاك الأمم» (ص:٤٨)].

{٩} هلاك بني إسرائيل (بالصاعقة) حين اشترطوا على نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام رؤية الله جهرة

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً[1] فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[البقرة:٥٥].

قال ابن كثير[2]: قول الله تعالى﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: علانية. وقوله سبحانه ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾.

قال البغوي[3] -رحمه الله-: أي الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم.

وقال الطبري[4] -رحمه الله-: وأصل الصاعقة كل أمر هائل رآه المرء وعاينه، أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم...الخ.

وقال السعدي[5] -رحمه الله-: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ إما: الموت، أو الغشية العظيمة، وقوله ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه.

---

(١) قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في «الأضواء» (٢/ ٣٣٢) تحت قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣] وتحقيق المقام في المسألة: أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلاً في دار الدنيا: قول موسى ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾، لأن موسى لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالى، وأما شرعاً: فهي جائزة وواقعة في الآخرة كما دلت عليه الآيات المذكورة، وتواترت به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعاً كما تدل عليه آية «الأعراف»، وحديث: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» رواه مسلم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٥).

(٣) «تفسير البغوي» (١/ ٩٧).

(٤) «تفسير الطبري» (١/ ٣٣٠).

(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٤٣).

{١٠} عقوبة المخالفين من بني إسرائيل في الدخول إلى القرية (بالرجز)

بعد خروج بني إسرائيل من التيه أمرهم الله سبحانه وتعالى بدخول قرية معينة، والسكنى فيها، وهي بيت المقدس في قول جمهور المفسرين، وكان الأمر الإلهي واضحاً وصريحاً في كيفية الدخول إلى القرية، كما في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:٥٨].

ومع سهولة هذا الأمر ويسره، لم يمتثله جماعة من المخاطبين كما طلب منهم، بل خالفوا وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، من باب المشاكسة والعناد، فبدَّلوا قوله تعالى ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ فدخلوا يزحفون على استاههم، وبدلوا قوله تعالى ﴿ حِطَّةٌ ﴾فقالوا مكانها (حبة في شعرة) كما جاء ذلك موضحاً في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ، فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ**» [1]، فلقوا من البلاء ما لقوا، ووصفهم الله عز وجل بالظلم والفسق، وجاءهم العقاب الإلهي، فأنزل الله عليهم رجزاً من السماء، فأهلك الظالمين المبدلين دون غيرهم، قال تعالى﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[البقرة:٥٩].

فتأمل أيها المسلم ما نزل بأولئك القوم، لتبديلهم كلمة أمرهم الله عز وجل بها، وفعلاً أمرهم الله به، فكيف بمن بدل عموم الشريعة كفراً، وأحل قومه دار البوار[2].

---

(١) «البخاري» (٣٤٠٣)، و«مسلم» (٣٠١٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٤١-١٤٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٣٨٩) و«تفسير الطبري» (١/ ٢٩٩) و«التسهيل لتأويل التنزيل» للعدوي (١/ ٥٥٠).

{١١} عقوبة أصحاب السبت (بالمسخ)

أصحاب السبت هم قوم من بني إسرائيل، ذكر الله قصتهم في قوله تعالى ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾[الأعراف: ١٦٣].

وقد اختُلف في اسم هذه القرية، والمشهور عند المفسرين أنها أيلة[1]، وكل ما في القرآن أنها كانت قرية حاضرة البحر، أي بقرب البحر على شاطئه، ووصف القرية بهذا الوصف له مغزى في إيضاح القصة، بخلاف تحديد اسمها، فالقصة تدور حول صيد الحيتان في يوم السبت.

والمدن الواقعة على السواحل هي التي تشتهر عادة بصيد البحر، أما تحديد اسم القرية فلا يترتب عليه كبير فائدة، فالمقصود من القصة هو الاعتبار والاتعاظ.

ولذلك لم يهتم القرآن كثيراً بتحديد الأسماء والعصور والأماكن في معظم قصصه.

ومجمل قصة أهل هذه القرية أن جماعة منهم كانوا يعتدون في السبت بالصيد، وقد حرم الله عليهم ذلك، ولم يردعهم مواعظ العقلاء، ولا نصائح الناصحين، فعجل الله عقوبتهم بعذاب يليق بفعلتهم، بأن مسخهم قردة خاسئين[2]، قال تعالى ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وتعرف الآن بـ (إيلات)، وتقع تحت الاحتلال الإسرائيلي، «معجم البلدان» (١/ ٢٣٢)، و«المنجد في الأعلام» (ص:١٠٢).

(٢) «أسباب هلاك الأمم» (ص:٤٢-٤٣).

ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٧].

قال السعدي[1] -رحمه الله-: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ ﴾ أي: اسأل بني إسرائيل عن القرية التي كانت حاضرة البحر، أي: على ساحله في حال تعديهم، وعقاب الله إياهم ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ وكان الله تعالى قد أمرهم أن يعظموه ويحترموه، ولا يصيدوا فيه صيداً، فابتلاهم الله وامتحنهم، فكانت ﴿ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ أي: كثيرة طافية على وجه البحر ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾ أي: إذا ذهب يوم السبت ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئاً ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم الله، وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا لعافاهم الله، ولما عرضهم للبلاء والشر، فتحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفراً، وينصبون لها الشباك، فإذا جاءت يوم السبت، ووقعت في تلك الحفر والشباك لم يأخذوها في ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أخذوها، وكثر فيهم ذلك وانقسموا ثلاث فرق، معظمهم اعتدوا وتجرؤوا وأعلنوا بذلك، وفرقة أعلنت بنهيهم والإنكار عليهم.

وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم ونهيهم لهم﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾كأنهم يقولون: لا فائدة في وعظ من اقتحم محارم الله، ولم يصغ للنصح بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنه لابد أن يعاقبهم الله، إما بهلاك أو عذاب شديد، فقال الواعظون: نعظهم وننهاهم، ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾أي:لنعذر فيهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: يتركون ما

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٣٣٦-٣٣٧).

هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجح فيهم الوعظ، وأثر فيهم اللوم، وهذا هو المقصود الأعظم من إنكار المنكر، ليكون معذرة وإقامة حجة على المأمور والمنهي، ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم، ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهكذا سنة الله في عباده أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ أي: شديد ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾ فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، لأنهم أنكروا عليهم بقولهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم ما يقتضي أنهم كارهون لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي: قسوا فلم يلينوا ولا اتعظوا، قلنا لهم قولاً قدرياً ﴿قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فانقلبوا بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من رحمته، ثم ذكر ضرب الذلة والصغار على من بقي منهم، فقال ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: أعلم إعلاماً صريحاً ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: يهينهم ويذلهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في

الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب إليه وأناب، ويغفر له الذنوب، ويستر عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، ويثيبه بأنواع المثوبات، وقد فعل الله بهم ما وعدهم به، فلا يزالون في ذل وإهانة تحت حكم غيرهم لا تقوم لهم راية، ولا ينصر لهم علم .

وقال ابن القيم[1] -رحمه الله-: فلما مَسَخَ أولئك المعتدون دين الله، بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته، مسخهم الله قردة تشبه الإنسان في بعض ظاهره دون الحقيقة، جزاءً وفاقاً؛ ويقوي ذلك أن بني إسرائيل أكلوا الربا، وأموال الناس بالباطل، وهو أعظم من أكل الصيد في يوم بعينه، ولم يعاقب أولئك بالمسخ، كما عوقب به من استحل الحرام بالحيلة، لأن هؤلاء لما كانوا أعظم جرماً، كانت عقوبتهم أعظم، فإنهم بمنزلة المنافقين، يفعلون ما يفعلون ولا يعترفون بالذنب، بل قد فسدت عقيدتهم وأعمالهم، بخلاف من أكل الربا وأموال الناس بالباطل، والصيد المحرم عالماً بتحريمه، فإنه يقترن بمعصيته اعترافه بالتحريم، وخشيته لله واستغفاره، وتوبته يوماً ما، واعترافه بأنه مذنب عاص، وانكسار قلبه من ذل المعصية، وازدراؤه على نفسه، ورجاؤه لمغفرة ربه له، وعد نفسه من المذنبين الخاطئين، وهـذا كله إيمان يفضي بصاحبه إلى خير، بخلاف الناكر المخادع المحتال على قلب دين الله .اهـ.

(١) «الضوء المنير على التفسير» (١/ ٢١٩).

{١٢} عقوبة أمة من بني إسرائيل (بالمسخ)

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لاَ أُرَاهَا إِلَّا الفَارَ، إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ» فَحَدَّثْتُ كَعْبًا فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ لِي مِرَارًا، فَقُلْتُ: أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَاةَ؟**» متفق عليه[١].

وعن أبي سعيد ﷺ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي فِي غَائِطٍ مَضَبَّةٍ**[٢]**، وَإِنَّهُ عَامَّةُ طَعَامِ أَهْلِي؟**» قَالَ: فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقُلْنَا: عَاوِدْهُ، فَعَاوَدَهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ نَادَاهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «**يَا أَعْرَابِيُّ، إِنَّ اللهَ لَعَنَ -أَوْ غَضِبَ- عَلَى سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ، يَدِبُّونَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدْرِي، لَعَلَّ هَذَا مِنْهَا، فَلَسْتُ آكُلُهَا، وَلَا أَنْهَى عَنْهَا**» رواه مسلم[٣].

قلت: انظر -رحمني الله وإياك- إلى عقوبة الله السريعة، لأمة من بني إسرائيل، عصت الله بمعصية مجهولة عندنا، فمسخهم الله إلى فئران، كما مسخ أصحاب السبت إلى قردة وخنازير، وكما أن المعصية قبيحة، مسخ الله هؤلاء إلى هذه الصور القبيحة.

وقد جاء الوعيد للعصاة من أهل المعازف، وشاربي الخمور في هذه الأمة **بالخسف والمسخ والقذف** .

---

(١) «البخاري» (٣٣٠٥)، و «مسلم» (٢٩٩٧).

(٢) قوله: (إني في غائطٍ مَضَبَّة)، الغائط: المنخفض من الأرض، ومضبَّة؛ أي: ذات ضِباب كثيرة. وقد اختلف العلماء في حكم أكل الضب فقيل: بالتحريم، وقيل: بكراهة التنزيه، وقال قوم: بالإباحة، وهم الأكثر، وادعى الإمام النووي فيه الإجماع على جوازه، لكن لا يصح هذا الإجماع مع ثبوت الخلاف، والمذهب الصحيح هو القول بجواز أكل لحم الضب.

(٣) «مسلم» (١٩٥١).

روى الترمذي بسند صحيح[١]، عن عمران بن حصين ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ»**.

وثبت في سنن ابن ماجه[٢] عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»**.

قلت: والمسخ قد يراد به القلب والتحويل في الخُلُق لا في الخَلْق، وللباطن لا للظاهر.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- **مبيناً ذلك**[٣]: ومن عقوبات المعاصي: مسخ القلب، فيمسخ كما تمسخ الصورة، فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته، فمن القلوب ما يُمسخ على قلب خنزير، لشدة شبه صاحبه به، ومنها ما يُمسخ على قلب كلب، أو حمار، أو حية، أو عقرب وغير ذلك، وهذا تأويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[الأنعام: ٣٨].

(١) «السنن» (٢٣٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٠١)، و«الصحيحة» (١٦٠٤)، و«صحيح الجامع» (٤٢٧٣).

(٢) «السنن» (٤٠٢٠) وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٦٣) و«المشكاة» (٤٢٩٢).

(٣) «الداء والدواء» (ص:١٨٣-١٨٤).

قال: منهم من يكون على أخلاق السباع العادية.

ومنهم: من يكون على أخلاق الكلاب، وأخلاق الخنازير، وأخلاق الحمير.

ومنهم: من يتطوس في ثيابه، كما يتطوس الطاووس في ريشه.

ومنهم: من يكون بليداً كالحمار.

ومنهم: من يؤثر على نفسه كالديك.

ومنهم: من يألف ويؤلف كالحمام.

ومنهم: الحقود كالجمل.

ومنهم: الذي هو خير كله كالغنم.

ومنهم: أشباه الثعالب التي تروغ كروغانها، وقد شبه الله تعالى أهل الجحيم والغي بالحمر تارة، وبالكلب تارة، وبالأنعام تارة.

وتقوى هذه المشابهة باطناً حتى تظهر في الصورة الظاهرة ظهوراً خفياً، يراه المتفرسون، وتظهر في الأعمال ظهوراً يراه كل أحد، ولا يزال يقوى حتى تستشنع الصورة، فتنقلب له الصورة بإذن الله، وهو المسخ التام، فيقلب الله سبحانه وتعالى الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان، كما فعل باليهود وأشباههم، ويفعل بقوم من هذه الأمة يمسخهم قردة وخنازير.

فسبحان الله، كم من قلب منكوس، وصاحبه لا يشعر؟

وقلب ممسوخ، وقلب مخسوف به؟

وكم من مفتون بثناء الناس عليه، ومغرور بستر الله عليه؟

ومستدرج بنعم الله عليه؟

وكل هذه عقوبات وإهانات، ويظن الجاهل أنها كرامة.

وقال[١] -رحمه الله-: ومن عقوبات المعاصي: الخسف بالقلب، كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به إلى أسفل السافلين، وصاحبه لا يشعر، وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالاً حول السفليات والقاذورات والرذائل، كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالاً حول العرش.اهـ.

قلت: وقد وقع في هذا الزمان كثير من الخسوفات، والزلازل والبراكين، وغيرها من العقوبات الإلهية في أماكن متفرقة من الأرض، وهي نذيرٌ بين يدي عذاب شديد، وتخويف من الله لعباده، وعقوبة لأهل البدع والمعاصي، كي يعتبر الناس، ويرجعوا إلى ربهم، ويعلموا أن الساعة قد أزفت، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

تنبيه: قد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس، أن القردة والخنازير الموجودة الآن هي الأمم التي مسخها الله عز وجل من بني إسرائيل إلى قردة وخنازير، وهذا غلط ولا يصح، فقد كانت القردة والخنازير موجودة قبل المسخ.

ثانياً: كل مسخ قد انقرض ليس له نسل كما ثبت ذلك في السُّنَّة.

وقد بوَّب العلامة الألباني كما في الصحيحة[١]: **(باب ما مُسخ انقرض)** عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الْحَيَّاتُ مَسْخُ الْجِنِّ، كَمَا مُسِخَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**»[٢].

قال: واعلم أن الحديث لا يعني أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن المسوخ، وإنما يعني أن الجن وقع فيهم مسخ إلى الحيات، كما وقع في اليهود

---

(١) «الداء والدواء» (ص:١٨٢-١٨٣).

(١) «الصحيحة» (٤/ ٤٣٩-٤٤٠) رقم (١٨٢٤).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٦١١)، والطبراني في «الكبير» (١١٩٤٦)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢٣٧٢).

مسخهم الله قردة وخنازير، ولكنهم لم ينسلوا كما في الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ**»(٣).

---

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

{١٣} هلاك قارون (بالخسف)

القصص الواردة في القرآن عن الهلاك في القرون السابقة، كلها تتحدث عن مصارع جماعات بعذاب عام من عند الله، ولم ترد قصة عن هلاك فرد بعينه، إلا قصة قارون، وقد بسط القرآن الكريم قصته، من بغيه وتكبره إلى مصرعه في موضع واحد في عدة آيات من سورة القصص، قال تعالى ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص:٧٦-٨٢].

قال السعدي[١]-رحمه الله-: يخبر تعالى عن حالة قارون، وما فعل وفُعل به، ونُصح ووعظ، فقال ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل[٢]

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٧٣١-٧٣٣) .

الذين فضلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتنّ الله عليهم بما امتنّ به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، انحرف عن سبيل قومه ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وطغى بما أوتيه من الأمور العظيمة المطغية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ أي: كنوز الأموال شيئاً كثيراً ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والعصبة من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك، أي: حتى إن مفاتيح خزائن أمواله تثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن،﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ ناصحين له محذرين له عن الطغيان ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات،﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك، وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾بهذه الأموال ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾بالتكبر، والعمل بمعاصي الله، والاشتغال بالنعم عن المنعم،﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بل يعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

---

(٢) ذهب الجمهور إلى أن قارون كان ابن عم موسى عليه الصلاة والسلام، «تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٠).

قال قارون راداً لنصيحتهم، كافراً بنعمة ربه ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي، ومعرفتي بوجوه المكاسب وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلِمَ تنصحوني على ما أعطاني الله؟ قال تعالى مبيناً أن عطاءه ليس دليلاً على حسن حالة الْمُعْطَى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗا﴾ فما المانع من إهلاك قرون أخرى، مع مُضي عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم منه، إذا فعل ما يوجب الهلاك ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولاً، وليس ذلك راداً عنهم من العذاب شيئاً، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له. فلم يزل قارون مستمراً على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحاً بطراً قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال ﴿فَخَرَجَ﴾ ذات يوم ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ أي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمَّل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، جمعت زينة الدنيا، وزهرتها، وبهجتها، وغضارتها، وفخرها؛ فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بزتُه القلوب، واختبلت زينته النفوس. فانقسم فيه الناظرون قسمين، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: الذين تعلقت إرادتهم فيها، وصارت منتهى رغبتهم، ليس لهم إرادة في سواها ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ من الدنيا ومتاعها وزهرتها ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾، وصدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهياً إلى رغباتهم، وأنه ليس وراء الدنيا دار أخرى، فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم بحسب همتهم، وإن همة جعلت هذه غاية مرادها،

ومنتهى مطلبها لمن أدنى الهمم وأسفلها، وأدناها ليس لها أدنى صعود إلى المرادات العالية، والمطالب الغالية ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر أولئك إلى ظاهرها﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ متوجعين مما تمنوا لأنفسهم راثين لحالهم، منكرين لمقالهم ﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ ﴾ العاجل، من لذة العبادة ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والآجل من الجنة وما فيها مما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كل من يعلم ذلك يُقبل عليه، فما يُلَقَّى ذلك ويوفق له ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية، فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر وازّيَّنَت الدنيا عنده وكثر بها إعجابه، بغته العذاب ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به من داره وأثاثه ومتاعه ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ ﴾ أي: جماعة وعصبة وخدم وجنود ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ أي: جاءه العذاب فما نصر ولا انتصر، ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ يقولون متوجعين، ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب بهم،﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يضيق الرزق على من يشاء، وعلمنا حينئذ أن بسطه لقارون ليس دليلاً على قدره، وأننا غالطون في قوله ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فلم يعاقبنا على ما قلنا ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ فلولا فضله ومنته ﴿ لَخَسَفَ بِنَا ﴾ **فصار هلاك قارون**

عقوبة له وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه سمعت كيف ندموا وتغير فكرهم الأول ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فائدة: بعد أن ذكرنا جملة من قصص بني إسرائيل وما حصل منهم وحصل لهم، فقد ذُكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء(١):

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣].

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة:٥١].

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة:٥٩].

(٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة:٦١].

(٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

(٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

(٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٧٤].

(٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء:١٥٥].

(١٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

وذُكر من عقوباتهم عشرة أشياء:

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [آل عمران:١١٢].

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٢].

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩].

(٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٤].

---

(١) «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزى تحت قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠]، و«لطائف التفسير» تحت الآية نفسها.

(٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة:٦٥].

(٧) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٥٩].

(٨) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة:٥٥].

(٩) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة:١٣].

(١٠) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠].

وذُكر من النعم عليهم عشرة أشياء:

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٤٩].

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ [البقرة:٥٠].

(٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦].

(٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة:٥٧].

(٥) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة:٥٧].

(٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة:٥٢].

(٧) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٥٤].

(٨) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

(٩) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣].

(١٠) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

{١٤} عقوبة صاحب الجنتين الذي أنكر البعث وكفر بأنعم الله (بإحراق جنتيه)

قال الله تعالى ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا
خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ
نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ
أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ
صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ
لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا
غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ
خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف:٣٢-٤٣].

يقول الله لنبيه ﷺ اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعم الله والكافر لها، وما صدر من كل منهما من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، ليتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة أعيان الرجلين، وفي أي زمانٍ أو مكان هما فيه فائدة ونتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف.

قال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ افتخر بكثرة ماله وعزة أنصاره، ثم أردف قائلاً: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴾ أي: ما أظن أن تنقطع وتضمحل، فاطمأن إلى هذه الدنيا ورضي بها، وأنكر البعث فقال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ ﴾.

فانظر-رحمني الله وإياك-: إلى سرعة عقاب الله لهذا الرجل، الذي افتخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره، وأنكر البعث، قال الله ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ أي: أصابه عذاب، وأحاط به واستهلكه، وأتلف جميع أشجاره وثماره وزرعه، ﴿ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف:٤٢].

{١٥} هلاك أصحاب الفيل (بحجارة من سجيل)

تُعتبر قصة أصحاب الفيل خاتمة القصص التي تحدث فيها القرآن عن مصارع الأمم السالفة من الناحية الزمنية، وأصحاب الفيل هم جيش أبرهة الأشرم الحبشي، خلال الحكم الحبشي لليمن، عزم أبرهة حاكم اليمن الحبشي بالسير إلى مكة لهدم الكعبة، فحشد لذلك جيشاً ضخماً يقدمه الفيل وسموا بأصحاب الفيل، وسار من اليمن صوب مكة، وقد سحق جيش أبرهة كل من حاول صده عن البيت من قبائل العرب، حتى وصل قريباً من مكة، وعسكر في موضع قريب من مكة، واستعد لدخول مكة لتنفيذ الغرض الذي جاء من أجله، فانسحبت قريش إلى الجبال خوفاً من أبرهة وجيشه، ولم يبق بين البيت وبين جيش أبرهة إلا الحماية الإلهية، وظن أبرهة أن مهمته قد تيسرت بعد انسحاب قريش، فعزم على دخول مكة، وحبس الله الفيل فبرك قبل أن يصل إلى مكة، فحاولوا كل المحاولة في إيقاظه فرفض، فبينما هم في تلك الحيرة إذ جاءهم الهلاك والدمار من حيث لا يحتسبون، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل:١-٥].

{١٦} هلاك أصحاب القسامة (بالموت عن بكرتهم)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ أَوَّلَ قَسَامَةٍ[١] كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، لَفِينَا بَنِي هَاشِمٍ، كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، اسْتَأْجَرَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ فَخِذٍ أُخْرَى، فَانْطَلَقَ مَعَهُ فِي إِبِلِهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ عُرْوَةُ جُوَالِقِهِ، فَقَالَ: أَغِثْنِي بِعِقَالٍ أَشُدُّ بِهِ عُرْوَةَ جُوَالِقِي، لاَ تَنْفِرُ الإِبِلُ، فَأَعْطَاهُ عِقَالًا فَشَدَّ بِهِ عُرْوَةَ جُوَالِقِهِ، فَلَمَّا نَزَلُوا عُقِلَتِ الإِبِلُ إِلَّا بَعِيراً وَاحِداً، فَقَالَ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ: مَا شَأْنُ هَذَا البَعِيرِ لَمْ يُعْقَلْ مِنْ بَيْنِ الإِبِلِ؟ قَالَ: لَيْسَ لَهُ عِقَالٌ، قَالَ: فَأَيْنَ عِقَالُهُ؟ قَالَ: فَحَذَفَهُ بِعَصاً كَانَ فِيهَا أَجَلُهُ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ المَوْسِمَ؟ قَالَ: مَا أَشْهَدُ، وَرُبَّمَا شَهِدْتُهُ، قَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبْلِغٌ عَنِّي رِسَالَةً مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَتَبَ إِذَا أَنْتَ شَهِدْتَ المَوْسِمَ فَنَادِ: يَا آلَ قُرَيْشٍ، فَإِذَا أَجَابُوكَ فَنَادِ: يَا آلَ بَنِي هَاشِمٍ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَسَلْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ فَأَخْبِرْهُ: أَنَّ فُلاَناً قَتَلَنِي فِي عِقَالٍ، وَمَاتَ المُسْتَأْجَرُ، فَلَمَّا قَدِمَ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ، أَتَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَاحِبُنَا؟، قَالَ: مَرِضَ، فَأَحْسَنْتُ القِيَامَ عَلَيْهِ، فَوَلِيتُ دَفْنَهُ، قَالَ: قَدْ كَانَ أَهْلَ ذَاكَ مِنْكَ، فَمَكُثَ حِيناً، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يُبْلِغَ عَنْهُ وَافَى المَوْسِمَ، فَقَالَ: يَا آلَ قُرَيْشٍ، قَالُوا: هَذِهِ قُرَيْشٌ، قَالَ: يَا آلَ بَنِي هَاشِمٍ؟ قَالُوا: هَذِهِ بَنُو هَاشِمٍ، قَالَ: أَيْنَ أَبُو طَالِبٍ؟ قَالُوا: هَذَا أَبُو طَالِبٍ، قَالَ: أَمَرَنِي فُلاَنٌ أَنْ أُبْلِغَكَ رِسَالَةً، أَنَّ فُلاَناً قَتَلَهُ فِي عِقَالٍ. فَأَتَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: اخْتَرْ مِنَّا إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤَدِّيَ مِائَةً مِنَ

---

(١) القسامة عند الجمهور: هي خمسون يميناً من خمسين رجلاً، يحلفها أولياء القتيل لإثبات تهمة القتل على الجاني. «التفسير المنير» للزحيلي (١/ ١٩٢). وللفائدة انظر «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣٣/ ١٦٦-١٨١).

الإِبِلِ فَإِنَّكَ قَتَلْتَ صَاحِبَنَا، وَإِنْ شِئْتَ حَلَفَ خَمْسُونَ مِنْ قَوْمِكَ إِنَّكَ لَمْ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ أَبَيْتَ قَتَلْنَاكَ بِهِ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا: نَحْلِفُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْهُمْ، قَدْ وَلَدَتْ لَهُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أُحِبُّ أَنْ تُجِيزَ ابْنِي هَذَا بِرَجُلٍ مِنَ الخَمْسِينَ، وَلاَ تُصْبِرْ يَمِينَهُ حَيْثُ تُصْبَرُ الأَيْمَانُ، فَفَعَلَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَرَدْتَ خَمْسِينَ رَجُلاً أَنْ يَحْلِفُوا مَكَانَ مِائَةٍ مِنَ الإِبِلِ، يُصِيبُ كُلَّ رَجُلٍ بَعِيرَانِ، هَذَانِ بَعِيرَانِ فَاقْبَلْهُمَا عَنِّي وَلاَ تُصْبِرْ يَمِينِي حَيْثُ تُصْبَرُ الأَيْمَانُ، فَقَبِلَهُمَا، وَجَاءَ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ فَحَلَفُوا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا حَالَ الحَوْلُ، وَمِنَ الثَّمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ عَيْنٌ تَطْرِفُ». رواه البخاري وغيره[1].

قلت : أخبر ابن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن، عن أول واقعة عمل فيها بالقسامة في الجاهلية، وأنها كانت في رجل من بني هاشم، وكان من أمره أن استأجره رجل من قريش ليرعى معه إبلاً له، فقتله صاحب الإبل بسبب تفريطه في حبل من الحبال التي يُعقل بها الإبل، رماه بعصا، فأصاب منه مقتلاً، وقبل أن يسلم الروح مر به رجل من أهل اليمن، فحمله رسالة إلى أهله يخبرهم فيها خبره، وزعم قاتله أنه مرض فمات فصدقوه.

ولما بلغتهم الرسالة التي حملها اليمني، خيَّر أبو طالب القاتل بين ثلاث خصال: إما أن يدي قاتله بمائة من الإبل، وإمَّا أن يقسم خمسون من قومه أنه لم يقتله، فإن أبى حل لهم قتله، فرضي قومه بالحلف، ونكص منهم اثنان، دفع كل واحد منهما بعيرين، ونجيا من حلف الأيمان، في الموضع التي تحلف فيه بين الركن

(١) «البخاري» (٣٨٤٥).

والمقام، وحلف الباقون، وما كانوا صادقين في حلفهم، فما مضى عليهم عام من اليوم الذي حلفوا فيه إلا وأهلكهم الله، فلم تبقَ منهم عين تطرف.

وهناك قصة أخرى في القسامة حصلت في الجاهلية، أهلكهم الله جمعياً، فقد روى الأزرقي في «أخبار مكة»[1] بإسناد حسن، عن ابن أبي نجيح عن أبيه، أن ناساً كانوا في الجاهلية حلفوا عند البيت على قسامة، وكانوا حلفوا على باطل، ثم خرجوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة، فبينا هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم، فخرجوا من تحتها يشتدون، فانفلقت بخمسين فلقة، فأدركت كل رجل منها فلقة فقتلته.

(١) «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٢٤)، و«المسجد الحرام تاريخه وأحكامه» (ص:٦٤).

{١٧} عقوبة أهل القرية الآمنة (بالجوع والخوف)

أنعم الله تعالى على أهل هذه القرية بنعمتين عظيمتين، هما نعمة الأمن، ونعمة الرخاء، وقلَّما تنعم أمة بهاتين النعمتين في آن واحد، إلا في فترة يسيرة، وسرعان ما تفقد إحداهما أو كلتيهما، ولو نظر المرء في تاريخ الأمم الماضية، أو في أحوال الأمم الحاضرة، لوجد أن السعي إلى تحصيل هاتين النعمتين أو إحداهما هو السبب الأغلب في نشوب الحروب، وقيام المنازعات، فكل أمة تنشد الأمن والرخاء، وتبتغيهما ولو بذلت في سبيل ذلك كل غال ونفيس، وما ذلك إلا لكونهما من أعظم النعم الدنيوية، فإذا أنعم الله على أمة بالأمن والرخاء كان لزاماً عليها أن تنتدب بالشكر لربها سبحانه وتعالى، وأن تنتهج المنهج الإلهي في الحياة لتكفل بذلك دوام النعمة والاستزادة منها، وتجتنب العذاب الذي حلَّ بأمم كفرت بأنعم الله تعالى، كهذه الأمة التي نحن بصدد الحديث عنها.

قال تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل:١١٢-١١٣].

قال العلامة ابن كثير[١] -رحمه الله-: هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها كان آمناً لا يخاف، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص:٥٧].

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٧٧-٧٨٧).

وهكذا قال ههنا ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أي هنيئاً سهلاً ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ أي جحدت آلاء الله عليها، وأعظمها بعثة محمد ﷺ إليهم، كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩].

ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما، فقال ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ أي: ألبسها وأذاقها ﴿ٱلْجُوعِ﴾ بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء، ويأيتها رزقها رغداً من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله ﷺ، وأبوا إلا خلافه، (فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف)[1].

فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، فأكلوا العلهز، وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه، والميتة والجيف.

وقوله ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ وذلك أنهم بدلوا بأمنهم خوفاً، من رسول الله ﷺ وأصحابه، حين هاجروا إلى المدينة، من سطوته وسراياه وجيوشه، وجعل كل ما لهم في دمار وسفال، حتى فتحها الله على رسوله ﷺ، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم، وتكذيبهم الرسول ﷺ، الذي بعثه الله فيهم منهم، وامتن به عليهم في قوله ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرغد، فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمناً، ورزقهم بعد العيلة، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم، وسادتهم وقادتهم وأئمتهم، وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لأهل مكة، قاله العوفي عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢١) و (٤٨٢٢)، ومسلم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

{١٨} عقوبة الله وانتقامه لرسوله ﷺ من المستهزئين به

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، قال: ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ ابْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ، مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَرَاهُ أَبَا عَمْرٍو الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى أَبْجَلِهِ(١)، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً؟ فَقَالَ: كَفَيْتُكَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلٍ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً؟ فَقَالَ: كَفَيْتُكَهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمَصِهِ(٢)، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً؟ فَقَالَ: كَفَيْتُكَهُ. فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ(٣)، فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: عَمِيَ كَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ، لَا تَدْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ هَلَكْتُ أُطْعَنُ بِشَوْكٍ فِي عَيْنِي، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ

---

(١) الأبجل: عرق في باطن الذراع. وقيل: هو عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٩٨) مادة: (بجل).

(٢) الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء.«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٧٦) مادة: (خمص).

(٣) النبل: السهام العربية، ولا واحدة لها من لفظها، والمراد أن الرجل الخزاعي يرمى بسهام له للتدريب على الرمي. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٨) مادة (نبل).

غَيْطَلٍ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خَرْؤُهُ[1] مِنْ فِيهِ، فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا حَتَّى دَخَلَ فِي رِجْلِهِ شِبْرِقَةٌ[2]، حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهَا فَمَاتَ» صحيح، رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في دلائل النبو[3].

قال القرطبي[4]-رحمه الله-: أهلكهم الله جميعاً، قبل يوم بدر في يوم واحد، لاستهزائهم برسول الله ﷺ.

وقال السيوطي[5] -رحمه الله-:... هلكوا قبل بدر.

قلت: هذه هي الوثائق الربانية التي تشهد بأن الله حافظ رسوله ﷺ، ناصر له، منتقم له ممن ظلمه، آخذ له بحقه ممن سخر منه، كافٍ إياه ممن استهزأ به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[6]-رحمه الله-: ومن سنة الله أن من لم يتمكّن المؤمنون أن يعذّبوه، من الذين يؤذون الله ورسوله، فإنّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله، ويكفيه إياه،...وكل من شنأه وأبغضه وعاداه، فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره.

---

(١) أي: ما يخرج من الإنسان، والخراءة: بفتح الخاء وكسرها، هو التخلي والقعود للحاجة. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ١٧) مادة: (خراء).

(٢) الشبرق: نبت حجازي يؤكل وله شوك. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٣٩٥) مادة: (شبرق).

(٣) الطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ٩٦-٩٨) رقم (٩٤)، وحسنه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٠٧-١٠٨)، وصححه الضياء المقدسي في «المختارة»، وحسنه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص:٢٢٠-٢٢٢)، وصححه صاحبا «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٤) «تفسير القرطبي» (٥/ ٥٧-٥٨).

(٥) «الدر المنثور» (٤/ ١٠٧-١٠٨) تحت قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[الحجر:٩٥].

(٦) «الصارم المسلول» (٢/ ٣١٦-٣١٧).

وقال -رحمه الله-: وقد ذكرنا ما جربه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار، إذا تعرضوا لسب رسول الله ﷺ، وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعدّدة، وهذا باب واسع لا يحاط به[1].اهـ.

وقال السعدي -رحمه الله-: ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ، وبما جاء به إلا أهلكه الله، وقتله شر قتلة[2]. اهـ.

فهؤلاء خمسة نفر من أعيانِ قومهم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس السهمي، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، استهزؤوا برسول الله ﷺ، فكفاه الله إيّاهم بقدرته وعزته سبحانه، وقتلهم شر قتلة، وما هذه العقوبة من الظالمين ببعيد في كل زمان ومكان.

(١) «الصارم المسلول» (٢/ ٣١٨).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٤٩٦).

{١٩} صاعقة من السماء أحرقت من لم يجب داعي الله

عن أنس بن مالك ﷺ قال: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْجَاهِلِيَّةِ، يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ: أَيْش رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟ مِنْ حَدِيدٍ هُوَ؟مِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ مِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ فَأَتَى النَّبِيّﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَعَادَهُ النَّبِيّ ﷺ الثَّانِيَةَ، فقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ الثَّالِثة، فقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَتَى النَّبِيّﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعَالَى عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ عَلَى صَاحِبِكَ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ» فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣]. **صحيح**، أخرجه النسائي وابن أبي عاصم والبزار وأبو يعلى والبيهقي والطبراني وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(١).

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- تحت قوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ أي: يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء، ولهذا تكثر في آخر الزمان، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ،

---

(١) «السنن الكبرى» (١١٢٥٩)، «السنة لابن أبي عاصم» رقم (٦٩٢)، «كشف الأستار» (٣/ ٥٤) رقم (٢٢٢١)، «مسند أبي يعلى» (٣٣٢٨)، «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٧-٣٨) رقم (٦٠٥) «الأوسط» رقم (٢٦٢٣)، الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٤٢)، وصححه الألباني في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم (٦٩٢)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٧٥-٧٦) و«الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص:١٣٧-١٣٨) .

الذي رواه أحمد: «**تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ، فَيَقُولَ: مَنْ صَعِقَ قِبَلَكُمْ الْغَدَاةَ؟ فَيَقُولُونَ: صَعِقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ**»(١).اهـ.

نسأل الله شديد المحال، أن يجعل لمن سبّه، أو سب رسوله ﷺ، أو سب دينه، أو سخر بعباده الصالحين، نصيباً من هذه الصواعق، التي هذا وقت تكاثرها.

وقد ذكر صاحب كتاب «أيها الزنادقة مهلاً عن الجبار مهلاً»: عن امرأة من بريدة، من عائلة معروفة، تقول: إنها كانت ترعى الغنم حين كانت شابة، واثنان من الشباب غير بعيد عنها في رعي أغنامهم، وكان الحر شديداً، واشتد بنا العطش وبالغنم فاستغاث أحد الشابين بالله تعالى أن يسقينا، ولكن الآخر كان زنديقاً فاجراً، فظهر مكنونه قائلاً لصاحبه بسخرية واستهزاء بالله: (**لو كان عند ربك ماءً سقى به نفسه**) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

تقول المرأة: بعد قليل أنشأ الله سحابه جاءت من المغرب حتى أظلّتنا، فأمطرت علينا فارتوينا.

أما الساخر بالله: فتدلّت عليه السحابة، وأحاطت به تقصفه بصواعق أصابنا منها رعبٌ شديد، والبرق يسطع من خلال السحابة، فكدت أنا والشاب المستغيث أن يغمى علينا من هول الأمر، ثم انجلت السحابة عنه، فإذا هي قد قطعته قطعاً.

فهذا جزاء عاجل لساخر بالملك الجبار، قيوم السموات والأرضين، شديد المِحال.

---

(١) «مسند أحمد» (١١٦٢٠)، «مستدرك الحاكم» (٤/ ٦١٠) رقم (٨٤٤٠) وصححه الحاكم ووفقه الذهبي، وصححه كذلك شعيب الأرنؤوط في تحقيق «مسند أحمد».

{٢٠} هلاك صناديد قريش في بدر بدعاء النبي ﷺ عليهم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثاً، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثاً، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» -وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ- فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ -قَلِيبِ بَدْرٍ-. رواه البخاري ومسلم(١).

قلت: والسابع هو عمارة بن الوليد.

(١) «البخاري» (٢٤٠)، و«مسلم» (١٧٩٤).

في هذه الرواية وما في معناها، أمثلة للأذى الذي لقيه رسول الله ﷺ على يد الكفار في مكة، مما يقصد به الإهانة المادية، بإلحاق الأذى الجسماني، والمعنوي بتحطيم المشاعر وإغاظة النفوس، وهي أبلغ من الحسية.

هذا وإن ما جرى من عقبة بن أبي معيط يعد اعتداء مهيناً على سيد البشرية، وإمام المرسلين، وأعظم رجل عرفه التاريخ ﷺ، وهو يؤدي شعائر دينه، مما يدل على تدني مستوى أهل الباطل في معاملة أهل الحق، وهذا علامة على توغل عداوتهم، وإفلاسهم في عدم مواجهة الحجة بالحجة، والبيان بالبيان، حيث استخدموا أيديهم وقوتهم المادية.

وإن حقد الكفار الدفين يجعلهم يتصرفون بمقتضى عواطفهم، لابمقتضى عقولهم، حيث إنهم لو راجعوا أنفسهم بعد ذلك لأنكروا عملهم، بينما أهل الحق لا ينزلون أبداً إلى هذا المستوى الهابط المتدني.

كل أولئك الطواغيت من مشركي قريش الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ، قتلوا يوم بدر.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد كان شهد ذلك: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، قد غيرتهم الشمس في يوم حار، وسحبوا إلى قليب بدر فألقيت جيفهم فيه.

{٢١} إهدار النبي ﷺ دم الأمة التي كانت تسبه

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قال: فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ[1] فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ» صحيح، رواه أبو داود[2].

قال الخطابي[3] -رحمه الله-: فيه بيان أن ساب النبي ﷺ مهدر الدم، وذلك أن السب منها لرسول الله ﷺ ارتداد عن الدين، ولا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقد نقل ابن المنذر[4]: الاتفاق على أن من سب النبي ﷺ صريحاً وجب قتله.

---

(١) المغول: بكسر ميم وسكون غين معجمة وفتح واو، مثل: سيف قصير، يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه، وقيل: حديدة دقيقة لها حد ماض، وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق، يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس. «عون المعبود» (١٢/ ١١).

(٢) «عون المعبود» (٤٣٥١) وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٦١) وحسنه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٣) «معالم السنن» (٤/ ٥٢٨) مطبوع ضمن «سنن أبي داود».

(٤) «عون المعبود» (١٢/ ١٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(١) -رحمه الله-:...وهذا الحديث نص في جواز قتلها لأجل شتم النبي ﷺ، ودليل على قتل الرجل الذمي، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبَّا بطريق الأولى.

قال إسحاق بن راهويه(٢)-رحمه الله-:...أجمع المسلمون على أن من سب الله، أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبياً من أنبياء الله عزوجل أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله.

وقال الكشميرى(٣): أجمع عوام أهل العلم على أنَّ من سبَّ النبي ﷺ يقتل.

وحكى الطبري مثله -أي: مثل القول بأنه ردة- عن أبى حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه ﷺ، أو برئ منه أو كذَّبه.

وقال محمد بن سحنون(٤):أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المستنقص له كافر، ومن شك في كفره وعذابه كفر.اهـ.

وفى الشفا للقاضي عياض(٥): لا خلاف أنَّ سابَّ الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم، وكذلك من أضاف إلى نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلغه، أو أخبر به، أو شك في صدقه، أو سبه، أو قال إنه لم يبلغ، أو استخف به، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم، أو قتل نبياً، أو حاربه، فهو كافر بالإجماع.اهـ.

وقال ابن حزم(٦) -رحمه الله- **بعد أن ساق الأدلة على كفر الساب، قال**: فصح بما ذكرنا أن كل من سب الله تعالى، أو استهزأ به، أو سب نبياً من الأنبياء، أو استهزأ به، أو سب آية من آيات الله تعالى، أو استهزأ بها، والشرائع كلها، والقرآن من آيات الله، فهو بذلك كافر مرتد، له حكم المرتد وبهذا نقول.

---

(١) «الصارم المسلول» (٢/ ١٢٨).
(٢) «الصارم المسلول» (٢/ ١٥).
(٣) «إكفار الملحدين» (ص:٦٤).
(٤) «الصارم المسلول» (٢/ ١٥).
(٥) «الشفا» (٢/ ٥٧٧).
(٦) «المحلى» (١١/ ٤١٣).

الفصل السابع

الفصل السابع

الإعراض وعدم الشكر سبب لتحويل النعمة إلى نقمة

قال تعالى﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧].

وقال تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**» رواه مسلم[1].

---

(١) مسلم (٢٧٣٤).

{١} أعرض أصحاب سبأ عن شكر نعمة الله فمزقهم الله كل ممزق

قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٩].

قال ابن كثير [١] -رحمه الله-: ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف، من المفسرين وغيرهم، أن سد مأرب كان صنعته أن المياه تجري بين جبلين، فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جداً، حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين، وغرسوا فيها البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة، وزرعوا الزروع الكثيرة ويقال: كان أول من بناه سبأ بن يعرب، وسلط إليه سبعين وادياً يفد إليه، وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء، ومات ولم يكمل بناءه، فكملته حمير بعده، وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ، وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة، حتى ذكر قتادة وغيره: أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته، وذكروا أن لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية، لصحة هوائهم وطيب فنائهم، كما قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥].

---

(١) «السيرة النبوية» (١/ ١٠-١١)، و«البداية والنهاية» (٣/ ١١٠-١١٢) .

وكما قال تعالى﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧]، فلما عبدوا غير الله، وبطروا نعمته، وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم، وطيب ما بينها من البساتين، وأمن الطرقات، سألوا أن يباعد بين أسفارهم، وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شراً، كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى، البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل، فسلبوا تلك النعمة العظيمة، والحسنة العميمة، بتخريب البلاد، والشتات على وجوه العباد، كما قال تعالى ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾.

قال غير واحد: أرسل الله على أصل السد (الفأر) وهو (الجرذ)، ويقال: (الخلد)، فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير، فلم تغن شيئاً، إذ قد حم القدر، ولم ينفع الحذر، كلا لا وزر، فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار وسلك الماء القرار، وقطعت تلك الجداول والأنهار، وانقطعت تلك الثمار، ومادت تلك الزروع والأشجار، وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار، كما قال العزيز الجبار ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو: الأراك، وثمرة البربر، وأثل وهو: الطرفاء، وقيل: يشبهه، وهو حطب لا ثمر له.

﴿ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلاً، مع أنه ذو شوك كثير، وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل:

«**لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى**».

ولهذا قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ أي: إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا، وكذَّب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك

محارمنا، وقال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ وذلك أنهم لما هلكت أموالهم، وخربت بلادهم، احتاجوا أن يرتحلوا منها، وينتقلوا عنها، فتفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر.

وقال -رحمه الله- **في «التفسير»**(١):

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم. وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم، واتساع أرزاقهم، وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل، تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل، والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر.اهـ.

وقال الشيخ العلامة ابن عثيمين(٢) -رحمه الله-: أيها الناس اتقوا الله تعالى، وقيدوا نعمه عليكم بشكرها، وحسن التصرف فيها، فإن الشكر به ازدياد النعم، وحسن التصرف فيها به تتمحض نعماً.

أما إذا كُفرت النعم، فذلك سبب زوالها، ومعول هدمها، قال الله عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ:١٥-١٧].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٠٠).
(٢) «الضياء اللامع في الخطب الجوامع» (الخطبة الثانية في التحذير من أخطار السيارت) (ص:٥٧٩).

وقال سبحانه ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل:١١٢].

أيها الناس: هذان مثلان لبلدين أنعم الله عليهما بنضارة الدنيا ورغد العيش، بدلوا نعمة الله كفراً، فأعرضوا عن دين الله، وارتكبوا محارم الله، فأبدلهم الله بنعمه نقماً، وبرغد العيش نكداً، أفتظنون أنكم إذا كفرتم بنعم الله ناجون، وعما وقع فيه أولئك مسلمون، كلا، فسنن الله في عباده واحدة، وليس بين الله وبين أحد من الناس نسب فيراعيه، واسمعوا قول الله عز وجل ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر:٤٢-٤٣].

وقول الله عز وجل ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠﴾ [محمد:١٠].

وقول الله سبحانه في الحكم العام الشامل ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم:٧].

{٢} قصة أصحاب الجنتين ونزول البلاء بهم لما بخلوا ومنعوا حق المساكين والفقراء (فبدلوا بالغنى فقراً)

قال الله تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟
عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟
عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا
كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [القلم: ١٧-٣٢].

قال العلامة السعدي(١)-رحمه الله- **في تفسير هذه الآيات**: إنَّا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير، وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجاً لهم من حيث لا يعلمون، فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة الذين هم فيها شركاء، حيث أينعت أشجارها، وزهت ثمارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثَمَّ مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا، من غير استثناء أنهم سيصرمونها، أي يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها قال تعالى ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: عذاب نزل عليها ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾، فأبادها وأتلفها ﴿ فَأَصْبَحَتْ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:١٠٤٣-١٠٤٤) بتصرف يسير.

﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ أي: كالليل المظلم، هذا كله وهم لا يشعرون، ولما أصبحوا انطلقوا وهم يتخافتون، ويقولون ﴿لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾ فتواصوا بمنع الفقراء والمساكين ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾ أي: في هذه الحالة والقوة، وعدم الرحمة، ومنع لحق الله ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: تائهون عنها، ثم تحققوا وقالوا ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ فعرفوا حينئذٍ أنَّها عقوبة.

قلت: فانظر -رحمني الله وإياك- إلى سرعة عقاب الله لهؤلاء القوم، الذين ذكر الله قصتهم في كتابه الكريم، ليعلمنا أن مصير البخيل ومانع الزكاة إلى التلف، وأنه حين يبخل ببعض ماله في سبيل الله، فيهلك كل ماله مصحوباً بغضب الله، ولذلك عقَّب الله تعالى بعد ذكر هذه القصة بقوله ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

{٣} قصة الأبرص والأقرع والأعمى، وفيها أن البخل وكفران النعم مجلبة للنقم

عن أبي هريرة ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلاَثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قال: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً، قال: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الإِبِلُ، أَوْ قال: الْبَقَرُ -شَكَّ الرَّاوِيُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قال: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً، فَأُنْتِجَ هَذَا وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ بَعِيراً أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قال وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قال لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قال وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ

انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهَّ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهَّ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئاً أَخَذْتَهُ لله، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» متفق عليه[١] .

قال **الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين**[٢] -رحمه الله-: ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث، أن ثلاثة من بني إسرائيل، ابتلاهم الله عز وجل بعاهات في أبدانهم، أحدهم: أبرص، والثاني: أقرع ليس على رأسه شعر، والثالث: أعمى لا يبصر، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبتليهم ويختبرهم، لأن الله سبحانه يبتلي العبد بما شاء، يبلوه هل يصبر أو يضجر إذا كان ابتلاه بضرَّاء، وهل يشكر أو يقتر إذا كان قد ابتلاه بسرَّاء، فبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة، وأتاهم يسألهم أي شيء أحب إليهم، فبدأ بالأبرص فقال: «**أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس به**»، لأن أهم شيء عند الإنسان أن يكون معافى من العاهات، ولا سيما العاهات المكروهة عند الناس، فمسحه الملك، فبرأ بإذن الله وزال عنه البرص، وأعطي لوناً حسناً، وجلداً حسناً، ثم قال له: «**أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل -أو قال- البقر**»، والظاهر أنه قال: الإبل، لأنه في قصة الأقرع أعطي البقر، فأعطاه ناقة عشراء، وقال له: بارك الله لك فيها، فذهب عنه الفقر، وذهب عنه العيب البدني، ودعا له الملك بأن يبارك الله له في هذه الناقة.

---

(١) «البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم» (٢٩٦٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٤٦٣-٤٦٦) .

ثم أتى الأقرع، وقال: «**أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس، فمسحه فأعطي بقرة حاملاً، وقال له: بارك الله لك فيها**».

أما الأعمى فجاءه الملك، فقال له: «**أي شيء أحب إليك؟ قال أن يرد الله عليّ بصري فأبصر به الناس**»، وتأمل قول الأعمى هذا ! فإنه لم يسأل إلا بصراً يبصر به الناس فقط، أما الأبرص والأقرع فإن كل واحد منهما تمنى شيئاً أكبر من الحاجة، لأن الأبرص قال: جلداً حسناً ولون حسناً وذاك قال: شعراً حسناً، فليس مجرد جلد أو شعر أو لون، بل تمنيا شيئاً أكبر أما هذا فإن عنده زهداً لذا لم يسأل إلا بصراً يبصر به فقط، ثم سأله «**أيُ المال أحب إليك؟ قال: الغنم**» وهذا من زهده فلم يتمن الإبل ولا البقر، بل الغنم ونسبة الغنم للبقر والإبل قليلة فأعطاه شاة والداً وقال: بارك الله لك فيها، فبارك الله للأول في إبله، وللثاني في بقره، وللثالث في غنمه، وصار لكل واحد منهم وادٍ مما أعطي، ثم إن هذا الملك أتى الأبرص في صورته وهيئته، وصورته البدنية وهيئته الرثة ولباسه لباس الفقير وقال له: «**إني رجل فقير وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك**»، فتوسل إليه بذكر حاله أنَّه فقير وأنَّه ابن سبيل أي: مسافر وأن الحبال أي: الأسباب التي توصله إلى أهله قد انقطعت به، وأنه لا بلاغ له إلا بالله ثم به، وقال له: «**أسألك بالذي أعطاك الجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري**»، لكنه قال: الحقوق كثيرة وبخل بذلك مع أن له وادياً من الإبل، لكنه قال: الحقوق كثيرة، وهو فيما يظهر والله أعلم أنه لا يؤدي شيئاً منها، لأن هذا أحق من يكون، لأنه مسافر وفقير وانقطعت به الحبال، ومن أحق ما يكون استحقاقاً للمال، ومع ذلك اعتذر له! فذكَّره بما كان عليه من قبل، فقال له: قد كنت أعرفك، ألم تكن

أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله المال، وأعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن؟

ولكنه قال والعياذ بالله: «**إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر**»، وأنكر نعمة الله، فقال له الملك: «**إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت**» أي: إن كنت كاذباً فيما تقول فصيرك الله إلى ما كنت من الفقر والبرص، والذي يظهر أن الله استجاب دعاء الملك، وإن كان دعاءً مشروطاً لكنه كان كاذباً بلا شك، فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط، وأتى الأقرع فقال له: مثلما قال للأبرص، ورد عليه مثلما رد عليه الأبرص، فقال: «**إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت**»، وأتى الأعمى وذكره بنعمة الله عليه، فقال له: «**قد كنت أعمى فرد الله عليّ بصري، وكنت فقيراً فأعطاني الله المال**»، فأقر بنعمة الله عليه «**فخذ ما شئت ودع ما شئت من الغنم، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله**»، أي: لا أمنعك ولا أشق عليك بالمنع بشيء أخذته لله عز وجل.

انظر إلى الشكر والاعتراف بالنعمة، فقال له الملك: «**أمسك عليك مالك إنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**».

وهذا يدل على أن القصة كانت مشهورة بين الناس، ولهذا قال: «**سخط على صاحبيك**»، فأمسك ماله وبقيَّ قد أنعم الله عليه بالبصر، **وأمَّا الآخران، فإنَّ الظاهر أن الله ردهما إلى ما كانا عليه من الفقر والعاهة والعياذ بالله .**

وفي هذا دليل على أن شكر نعمة الله على العبد من أسباب بقاء النعم وزيادتها، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].اهـ.

وقال الشيخ العلامة صالح الفوزان[١]-حفظه الله-: وهذا حديث عظيم فيه معتبر؛ فإن الأوَّلَين جحدا نعمة الله، ولم ينسباها إليه، ومنعا حق الله في مالهما، فحل عليهما سخط الله، وسُلِبت منهما النعمة؛ والآخر اعترف بنعمة الله، ونسبها إليه، وأدَّى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله، ووفر الله ماله لقيامه بشكر النعمة.

قلت: تبين لك من هاتين القصتين، قصة أصحاب الجنتين، وقصة الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى، أن البخل في الإنفاق سبب للفقر والهلاك، قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل:٨-١١].

وقال الله تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦].

وقال الله تعالى ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾[محمد:٣٨].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا الظُّلمَ فَإِنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يَوم القِيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهلكَ مَن كَان قَبلَكُم وحَمَلَهُم عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِماءَهُم، واستَحَلُّوا مَحارِمَهُم**» رواه مسلم[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» متفق عليه[٣].

---

(١) «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد» (ص:٩٧).
(٢) «مسلم» (٢٥٧٨).
(٣) «البخاري» (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).

وعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: بَعَثَ النبي ﷺ رَجُلًا عَلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَ بِفَصِيلٍ مَخْلُولٍ سَيِّءِ الحَالِ مَهْزُولٍ، فَقَالَ: هَذَا مِنْ صَدَقَةِ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي بَعَثْتُ رَسُولِي عَلَى الصَّدَقَةِ، فَذَهَبَ إِلَى فُلَانِ ابْنَ فُلَانٍ فَجَاءَ بِهَذَا الْفَصِيلِ الْمَخْلُولِ لَا بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي إِبِلِهِ»، وفي رواية النسائي: (لَا بَارَكَ اللهُ فِيهِ وَلَا فِي إِبِلِهِ) فَبَلَغَ الرَّجُلَ دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ كَوْمَا يَتُلُّهَا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ الْفُلَانِيَّ بَلَغَهُ دُعَاءُ النَّبِيِّ، فَجَاءَ بِهَذِهِ النَّاقَةِ الْكَوْمَا، بَارَكَ اللهُ فِيهِ وَفِي إِبِلِهِ» حسن، أخرجه النسائي[١].

وفي خاتمة هذا الفصل أنقل لك كلاماً نفيساً لابن القيم -رحمه الله- **يبين فيه أن المعاصي تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة:**

قال -رحمه الله-[٢]: ومن عقوباتها: **أنها تزيل النعم الحاضرة**، وتقطع النعم الواصلة؛ فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حُفِظ موجودها بمثل طاعته، ولا استُجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عنده لا يُنال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً وآفة؛ سبباً يجلبه، وآفة تبطله، فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفاتها المانعة منها معصيته، فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها.

ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره، وسماعاً لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله؛ كأنه مستثنى من هذه الجملة، أو مخصوص من هذا العموم، وكأن هذا أمر جار على

---

(١) صححه العلامة الألباني-رحمه الله- في «صحيح سنن النسائي» (٢٤٥٧) وشيخنا مقبل الوادعي-رحمه الله- في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٣٤١-٣٤٢) رقم (١٢٨٤) وقد عزاه شيخنا في «الجامع الصحيح» إلى الطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٧٠١).

(٢) «الداء والدواء» (ص:١٦٤-١٦٥).

الناس لا عليه، وواصل إلى الخلق لا إليه؛ فأي جهل أبلغ من هذا؟ وأي ظلم للنفس فوق هذا؟ فالحكم لله العلي الكبير.

وقال أيضاً(١): ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم؛ فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**مَا نَزَلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ**».

وقال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣]، فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها على أحد، حتى يكون هو الذي يُغيِّر ما بنفسه؛ فيُغيِّر طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَيَّرَ غُيِّرَ عليه، جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن غيَّر المعصية بالطاعة غيَّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذُّل بالعز.

ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمةٍ فارعَهَا ... فإنّ المعاصي تُزيلَ النِّعمْ
وَحُطْهَا بِطاعةِ رَبِّ العبــادِ ... فَرَبُّ العبادِ سريعُ النِّقَمْ
وإيَّاكَ والظُّلمَ مَهْمَا استطعتَ ... فَظُلْمُ العبادِ شديدُ الوَخَمْ
وسَافِرْ بِقلبِكَ بينَ الوَرَى ... لتُبصِرَ آثَارَ مَنْ قد ظَلَمْ
فَتِلكَ مَسَاكِنُهُم بَعْدَهُمْ ... شُهُودٌ عليهِمْ ولاَ تَتَّهِمْ
ومَا كان شيءٌ عليهم أضَرَّ ... مِنَ الظُّلمِ وهُوَ الَّذِي قَدْ قَصَمْ
فَكَمْ تَركوا مِنْ جِنَانٍ وَمِنْ ... قُصُورٍ وأُخْرَى عليهِم أَطَمْ
صَلُوا بالجَحِيمِ وَفَاتَ النَّعِيمُ

(١) الداء والدواء (ص:١١٨-١٢٠).

وَكَانَ الّذي نَالَهُم كَالحُلَمْ

الفصـــل الثامن

الفصل الثامن

سرعة العقاب لمن وقع في الكبر والإعجاب

قال الله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣].

وقال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧].

وقال تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» رواه مسلم(١).

---

* **فائدة: (الفرق بين الكبر والعجب)**: ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا فرق بين الأمرين وأنهما شيء واحد، ولكن ذهب المحققون إلى أن بينهما فرقاً، لأن الكبر خلق باطن يصدر عنه أعمال، وذلك الخلق هو رؤية النفس فوق المتكبر عليه، والعجب يُتصور ولو لم يكن أحد غير المعجب، والمتكبر يرى نفسه أعلى من الغير فتحصل له هزة وفرح وركون إلى ما اعتقده.

وقال الماوردي: الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة، فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدّبين.

وقال أبو هلال: الفرق بين العجب والكبر، أن العجب بالشيء شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه، يُقال: هو معجب بنفسه إذا كان مسروراً بخصالها، ولهذا يُقال: سُرَّ به، وليس ذلك من الكبر في شيء، وقال بعضهم: العجب عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجب منها وليست هي لها. «موسوعة نظرة النعيم» (١١/ ٥٣٥٦).

(١) «مسلم» (١٤٧).

وعن حارثة بن وهب ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُتَكَبِّرٍ» متفق عليه[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، قَالَ: فَقَضَى بَيْنَهُمَا، إِنَّكِ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَاكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا» رواه مسلم[٢].

---

(١) «البخاري» (٤٩١٨)، ومسلم» (٢٨٥٣).

(٢) «مسلم» (٢٨٤٧).

(١) العجب بالكثرة هزيمة وحسرة.

قال تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة:٢٥ – ٢٧].

قال العلامة السعدي[١] -رحمه الله- **تحت هذه الآيات**: يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء، حتى في يوم (حنين) الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.

وذلك أن النبي ﷺ لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم ﷺ في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، **فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: «لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ**[٢]**»**.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٦٨-٣٦٩).

(٢) وردت عدة آثار في تعيين قائل هذه المقولة، والخلاصة إن هذه الآثار الواردة في تعيين القائل يوم حنين: **(لن نغلب اليوم من قلة) كلها ضعيفة** مع ما حصل فيها من الاختلاف في تعيين القائل، ولكنها تتفق في شيء واحد وهو حصول هذا القول من أحد أفراد الجند الإسلامي، بغض النظر عن تسمية قائله وهي بمجموعها يؤيد بعضها بعضاً، ويزيدها قوة قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].
فقد صرحت الآية بأن هناك إعجاباً حصل من بعض المسلمين، وأنهم ابتلوا بسبب هذا الإعجاب، وحصل ما نصت عليه الآية الكريمة. «مرويات غزوة حنين وحصار الطائف» (ص:١٣٥).

فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول اللهّ ﷺ، إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي ﷺ، يركض بغلته نحو المشركين ويقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»[١] ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.

فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم اللهّ المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم[٢].

وذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ ﴾ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف، ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ أي: لم تفدكم شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم ﴿ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي: على رحبها وسعتها، ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ أي: منهزمين. ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والسكينة ما يجعله اللهّ في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد، ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهم الملائكة، أنزلهم اللهّ معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم ويبشرونهم بالنصر.

﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم، ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يعذبهم اللهّ في الدنيا، ثم يردهم

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٦).

(٢) رواه مسلم (١٧٧٥).

في الآخرة إلى عذاب غليظ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ فتاب الله على كثير ممن كانت الوقعة عليهم، وأتوا إلى النبي ﷺ مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم وأولادهم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا ييأسنَّ أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل.اهـ.

قلت: انظر -رحمني الله وإياك-: كيف أذاق الله المسلمين مرارة الهزيمة، مع كثرة عَدَدِهم، وعُدَدِهم، وقوة شوكتهم، بسبب هذه المخالفة وهي العجب والنظر إلى الكثرة، وهذا ما تفعله كثير من الجماعات الإسلامية المعاصرة، فنظرهم إلى الكثرة واهتمامهم بالكم قبل الكيف في الدرجة الأولى، ولم يهتموا بالتصفية والتربية التي هي خلاصة دعوة الأنبياء والرسل وأتباعهم إلى يوم الدين، وهذه الهزيمة التي أوقعها الله بالمسلمين ليبين سبحانه لمن قال: «**لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ عَنْ قِلَّةٍ**» أن النصر إنما هو من عند الله، ومن ينصره الله فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ﷺ، ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً فوليتم مدبرين.

(٢) ضرر العجب على العالم والمتعلم.

عن صهيب ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئاً، لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَطِنْتُمْ لِي؟» قَالَ قَائِلٌ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ؟ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ» -أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ، شَكَّ سُلَيْمَانُ-، قَالَ: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ»، قَالَ: «فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ الله، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا» قَالَ: «فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ»، قَالَ: «وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ» قَالَ: «فَصَلَّى، قَالَ: أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ»، قَالَ: «فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله» صحيح رواه أحمد[1].

قلت: هذه قصة نبي من أنبياء الله، أعطاه الله أمة كثيراً عددها، وأخرج له من أمته جيشاً عظيماً، كثيراً عدده، قوياً بأسه، فأُعجب بهذا الجيش العظيم، وقال: من يقوم لهؤلاء، ويقف في وجوههم؟

وهذه المقولة قريبة من المقولة التي قيلت يوم حنين: «لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ عَنْ قِلَّةٍ».

فأهلك الله من قومه سبعين ألفاً بالموت، من جراء ذلك الإعجاب الذي وقع منه.

---

(١) أحمد في «المسند» (١٨٩٣٧)، وصححه العلامة الألباني-رحمه الله- في «الصحيحة» (١٠٦١)، (٢٤٥٩) وشيخنا العلامة مقبل الوادعي-رحمه الله- في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (١/ ١٥٤) رقم(١٥٧، ٤٠٣، ١٥٢٨، ٢٢١٤، ٤١٠٨). تنبيه: بوَّب شيخنا مقبل في «الجامع الصحيح» لهذا الحديث بهذا العنوان: (ضرر العجب على العالم والمتعلم).

(٣) العقوبة بالخسف لمن أعجب بالنفس.

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ بِمَشْيَتِهِ**(١)**، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّلُ**(٢) **فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه(٣).

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين(٤)-رحمه الله-: يعني انهارت به الأرض، وانغمس فيها واندفن، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، لأنه والعياذ بالله لما صار عنده هذا الكبرياء، وهذا التيه، وهذا الإعجاب، خُسف به، وهذا نظير قارون، فإن قارون خرج على قومه في زينته، قال الله ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

وقوله: «**يتجلجل في الأرض**» يُحتمل أنه يتجلجل وهو حي حياة دنيوية، فيبقى هكذا معذباً إلى يوم القيامة(٥)، ويُحتمل أنه لما اندفن مات، فيكون تجلجله هذا تجلجلاً برزخياً، لا تُعلم كيفيته، وفي هذا دليل على تحريم الكبر، وتحريم الإعجاب، وأن الإنسان يجب أن يعرف قدر نفسه، وينزلها منزلتها.اهـ.

قلت: ذهب جمهور أهل العلم على أن هذا الرجل هو قارون الذي خسف الله به ، وبداره الأرض(٦).

---

(١) ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في «الزاد» (١/ ١٦٧-١٦٨): أن أنواع المشي عشرة، وذكر منها: مشية التبختر، وقال: وهي مشية أولي العجب والتكبر، وهي التي خسف الله سبحانه بصاحبها لما نظر في عطفيه، وأعجبته نفسه فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

(٢) قال ابن فارس: التجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد، ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض، أي: ينزل فيها مضطرباً متدافعاً. وانظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢٧٢).

(٣) «البخاري» (٥٧٨٩) و«مسلم» (٢٠٨٨) .

(٤) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٥) قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٢٧٢): ومقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرجل، فيمكن أن يلغز به، فيقال: كافر لا يبلى جسده بعد الموت.

(٦) «بهجة الناظرين» (١/ ٦٦٩) رقم الحديث(٦١٩) .

وسواء كان قارون أو غيره، فإن العُجْبَ مهلكة، ومن اتصف به ساءت عاقبته في الدنيا والآخرة، فإن الله قد حذر من العجب، الذي يتولد بسببه الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة، وكذلك رسوله ﷺ حذر منه، فالعجب كلب ينبح في قلب صاحبه، يدعوه إلى الشر المستطير والجرم الكبير، هذا هو الصواب، وكل من وقع في الكبر والإعجاب وخالف السنة والكتاب يخشى عليه سرعة العقاب، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، ويتوب الله على من تاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك الوهاب.

وقد أحسن من قال[1]:

يا مظهرَ الكِبرِ إعجاباً بصورتِه ... انظرْ خلاكَ إِن النّتْنَ تَثْرِيبُ
لو فكرَ الناسُ فيما في بُطُونِهِمُ ... ما استشعرَ الكبرَ شُبَّانٌ ولا شيبُ
هل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مَكْرُمةٌ ... وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ
أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحُها سَهِكٌ[2] ... والعينُ مُرْمَصَةٌ[3] والثغرُ ملعوبُ
يابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً ... أقصرْ فإنكَ مأكولٌ ومَشْرُوبُ

قلت: لو يتفكر الإنسان ماذا يخرج منه لم يتكبر، يخرج منه البراز، ويخرج منه البول، ويخرج منه الدم، ويخرج منه الصديد والقيح، ويخرج منه القيء.

وفي أذنه سهاكة، أي: ريح كريهة، وفي عينه أوساخ، وفي ثغره قاذورات، وفي أنفه مخاط، وفي جسده العرق والرائحة الكريهة، خرج هذا الإنسان من مجرى البول مرتين، فأوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة، تأكله الدود وتشرب صديده في اللحود.

---

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (٤/ ٣٩٢).

(٢) السَّهَكُ: ريح كريه تجدها من الإنسان إذا عرق، تقول: سَهِكَ سَهَكاً فهو سَهِكٌ. انظر: «المحيط في اللغة» (٣/ ٣٥٢)، و«المحكم والمحيط الأعظم»، «مادة:سهك».لابن سيده.

(٣) الرَّمَص: وسخ أبيض جامد يجتمع في العين، فإن سأل فهو غمص وإن جمد فهو رمص. «مختار الصحاح» (ص:٢٥٦) «مادة: رمص».

٤) تحذير الكُتّاب من التيِّه والإعجاب.

ذكر ابن حبان في «الثقات»[١]، وابن الجوزي في «صيد الخاطر»[٢]عن عبد المجيد ابن عبد العزيز[٣]، قال: كان عندنا بخراسان رجل كتب مصحفاً في ثلاثة أيام، فلقيه رجل فقال: في كم كتبت هذا؟ فأومأ بالسبابة والوسطى والإبهام، وقال: في ثلاثٍ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨] واللغوب: التعب والإعياء، **فجفت أصابعه الثلاثة فلم ينتفع بها فيما بعد.**

وذكر ابن طاهر المقدسي في كتابه«المنثور من الحكايات والسؤالات»[٤]بسند صحيح قال سمعت أبا بكر المزكّي عبد الله بن الحسين التُّوَيِّي[٥] بهمذان، يقول: سمعت أبي يقول: **كنت عند أبي حامد الإسفراييني، فذكر له رجل يكتب مصحفاً في يوم، فاجتمع بالرّجل فقال له: أنت تكتب مصحفاً في يوم؟! فقال: نعم، وما مسنا من لغوب! وأشار بثلاثة أصابعه، فجفَّت يده في الحال.**

---

(١) «كتاب الثقات» (٨/ ١٠-١١).

(٢) «صيد الخاطر» (ص: ٣٩٨) فصل عواقب الخطايا .

(٣) عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد الأزدي مولى المهلب أبو عبد الحميد المكي، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما وضعَّفه آخرون. قال الحافظ في «التقريب» (٤١٨٨): صدوق يخطئ وكان مرجئاً، روى له مسلم والأربعة.

(٤) (ص:٣٣) رقم (٢٢) يُعد كتاب «المنثور من الحكايات والسؤلات» للإمام الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله (٤٤٨-٥٠٧هـ) من نفائس الأسفار التاريخية، فقد حوى أخبار عددٍ من الحفاظ والعلماء، وطوى بين جنبيه من نوادر السير والحكايات والسؤلات ما قد لا يجده طالب العلم في غيره، ومن هنا بدأت عناية أهل العلم به، فما لبثوا ينقلون عنه نصوصاً، وينسبون منتخبات من الأقوال إليه، ومن أولئك الأعلام الحافظ ابن نقطة، وابن الصلاح والسبكي، والذهبي والسخاوي، ولم يرَ هذا السفر النور حتى عام ١٤٣٠هـ صدرت له الطبعة الأولى عن دار الصميعي للنشر والتوزيع.

(٥) من أعيان شيوخ همذان، كانت عنده أصول جيده «الأنساب» (١/ ٤٩٥) و«معجم السفر » (ص:١٤٣).

(٥) ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين:

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»(١): خطر لبعض الفصحاء أن يقدر أن يقول مثل القرآن، فصعد إلى غرفة فانفرد فيها، وقال: أمهلوني ثلاثاً، فصعدوا إليه بعد ثلاث ويده قد يبست على القلم وهو ميت.

قلت: قد ادعى قوم في زمن التنزيل أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ﴾ [الأنفال:٣١]، والإتيان بمثل القرآن أمر محال، لأن الله جل وعلا تحدى أحداً أن يفعل ذلك، وتحدى فصحاء العرب وشعراءهم المتقنين للعربية، وكانوا حين نزول القرآن في قمة فصاحتهم وبيانهم، فقال عز وجل متحدياً لهم أن يأتوا بمثله ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الطور:٣٤]، فلما عجزوا أن يأتوا بمثله تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثل سوره فقال سبحانه ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [هود:١٣]

فلما عجزوا أن يأتوا بعشر سور من مثله، تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فقط على مستوى فصاحة القرآن وبلاغته وحكمته، فقال عز وجل ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس:٣٨].

فلما عجز أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان عن أن يأتوا بسورة منه، دعاهم سبحانه وتعالى إلى الاستعانة بمن شاءوا للمحاولة وقبول التحدي فقال ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٩٨) فصل عواقب الخطايا.

فلما عجزوا أخبرهم بأنهم لا يستطيعون ذلك مطلقاً، في أي وقت وفي أي زمان، ومهما استعانوا بأحد فلن يستطيعوا، قال سبحانه ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

فلا يوجد أحد غير الله يأتي بمثله، لأن القرآن كما قال عز وجل﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١].

بل إن الله سبحانه وتعالى قال عن نبيه ﷺ ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحاقة:٤٤ – ٤٦].

قال العلامة السعدي(١) -رحمه الله-: فإنه لو تقول عليه وافترى ﴿ بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ الكاذبة ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ وهو عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول ﷺ -وحاشاه- تقوَّل على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:١٠٤٩).

(٦) سرعة النكال لمن أكل بالشمال.

عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ» رواه مسلم[١].

وهذا الرجل الذي أكل بشماله هو: بُسر الأشجعي رضي الله عنه.

قال الإمام النووي-رحمه الله-: هو بُسر، بضم الباء وبالسين المهملة، ابن راعي العَير بفتح العين، وبالمثناة الأشجعي، كذا ذكره ابن مندة، وأبو نعيم الأصبهاني، وابن ماكولا، وآخرون، وهو صحابي مشهور، عده هؤلاء وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وأما قول القاضي عياض -رحمه الله-: إن قوله: ما منعه إلا الكبر، يدل على أنه كان منافقاً، فليس بصحيح، فإن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضي النفاق والكفر، لكنه معصية إن كان الأمر أمر إيجاب.

وفي هذا الحديث: جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال، حتى في حال الأكل.اهـ.

وقال الحافظ[٢] -رحمه الله-: ويدل على وجوب الأكل باليمين، وورود الوعيد في الأكل بالشمال، ففي «صحيح مسلم» من حديث سلمة بن الأكوع، أن النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل بشماله، فقال: **«كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ»**.

---

(١) «مسلم» (٢٠٢١).

(٢) «فتح الباري» (٩/ ٤٣٢).

وأخرج الطبراني عن عقبة بن عامر: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةَ تَأْكُلُ بِشِمَالِهَا، فَقَالَ: «أَخَذَهَا دَاءُ غَزَّةَ»، فَقَالَ: إِنَّ بِهَا قُرْحَةً، قَال: «وَإِنْ»، فَمَرَّتْ بِغَزَّةَ فَأَصَابَهَا طَاعُونٌ فَمَاتَتْ**. وسنده حسن(١).

وثبت النهي عن الأكل بالشمال، وأنه من عمل الشيطان، من حديث ابن عمر ومن حديث جابر عند مسلم(٢).

ونقل الطيبي، أن معنى قوله: «**إن الشيطان يأكل بشماله**»، أي يحمل أولياءه من الإنس على ذلك ليضاد به عباد الله الصالحين.

قال الطيبي: وتحريره لا تأكلوا بالشمال، فإن فعلتم كنتم من أولياء الشيطان، فإن الشيطان يحمل أولياءه على ذلك.اهـ.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين(٣)-رحمه الله-: وفي هذا دليل على وجوب الأكل باليمين، والشرب باليمين، وأن الأكل باليسار حرام يأثم عليه الإنسان(٤)،

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٥، ١٧/ ٣١٢، ٣٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٠٤) رقم (٢٥١٠)، وحسنه الحافظ في «الفتح»، وحمدي السلفي في تحقيقه «للمعجم الكبير»، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٦)، وصاحب كتاب «أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ في فتح الباري» (١/ ٢٠٥)، ومحقق «دلائل النبوة للبيهقي» (٦/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) «مسلم» (٢٠٢٠).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٣٧٨).

(٤) قلت: وهذا خلافاً لمن زعم أن الأمر في الآداب أمر إرشاد (لا يفيد الوجوب، وإنما يفيد الاستحباب، والنهي يفيد الكراهة)، وهم جمهور العلماء، ومنهم الأئمة الأربعة، والصحيح أن الأمر يفيد الوجوب، إلا لصارف، ويدل على ذلك ثلاثة أدلة: ١) **عموم أدلة الشريعة** الدالة على أن الأمر للوجوب:فإن قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ قوله تعالى﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ نكرة في سياق النفي فتفيد عموم الأوامر، لم تفرق بين ما كان في الآداب وبين ما كان في الأحكام.وقال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ فقوله ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾ فيها تحذير من مخالفة الأمر ورتب على المخالفة عقوبة وترتيب=

وكذلك الشرب باليسار حرام، يأثم عليه الإنسان لأنه إذا فعل ذلك، أي: أكل بشماله، أو شرب بشماله شابه الشيطان، وأولياء الشيطان، قال النبي ﷺ: «**لَا يَأْكُلُ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِشِمَالِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**» أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[1].

قلت: انظر -رحمني الله وإياك- إلى هذا الصحابي الذي خالف رسول الله ﷺ في مسألة واحدة، هي في نظر كثير من الناس هينة، ولكنها في الشريعة عظيمة، فاستحق بمخالفته هذه دعوة الرسول ﷺ عليه، فاستجاب الله دعاء نبيه، فما رفع الرجل يده إلى فيه، فأصبحت كالعصا، وهذا جزاء كل من تكبر وعصى وأعرض عن سنة المصطفى ﷺ.

=العقوبة لا تكون إلى على ترك أمرٍ واجب، فلما حذر من مخالفة الأمر دل على أن الأمر للوجوب ولو لم يكن للوجوب لما حذر من مخالفته ورتب عليه العقوبة.

٢) **إجماع الأمة** على عدم التفريق بين الأوامر في الآداب والأوامر في غير الآداب، قبل وجود المخالف، والمخالف قد حكى قوله القرطبي وابن حجر في الفتح ولكن الخلاف مسبوق بإجماع الصحابة ومن بعدهم إلى زمن المخالف.

٣) **أنه لا يوجد حد فاصل بين ما كان من الآداب وبين وما كان من الأحكام**، فجميع ما جاءت به الشريعة أحكام شرعية وجميع الأحكام الشرعية تعد آداباً إما مع الله أو مع خلقه فلا ضابط مفرق بين الأمرين ، ولو فتح الباب لكان سبيلاً للتخلص من أوامر الشريعة بزعم أنها وردت في الآداب.

(١) «مسلم» (٢٠٢٠).

الفصل التاسع

الفصل التاسع

نزول العقوبة بجلاء بمن خالف توجيهات سيد الأنبياء ﷺ

قال تعالى﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

وقال تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال ﷺ: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» صحيح، رواه أحمد[1] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

---

(١) «المسند» (٥١١٤، ٥١١٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٣١).

(١) الهلاك السريع لمن رد دعاء الشفيع ﷺ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا» رواه البخاري(١).

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥٦).

فائدة: كيف نجمع بين حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء ، لا مكره له». وبين حديث ابن عباس هذا، أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده، فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله» قال الأعرابي: طهور؛ بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، قال النبي ﷺ: «فنعم إذاً».

ج/ الحديثان المذكوران كلاهما في الصحيح، والعلماء جمعوا بينهما بأوجه من الجمع: من أحسنها أن قوله ﷺ: «طهور إن شاء الله» هذا من باب الخبر لا من باب الدعاء، فهو قال للأعرابي هذه الحمى طهور لك؛ طهور لك في دينك وطهور لك أيضا في بدنك فتصبح بعدها سالما، فأخبره النبي ﷺ بذلك.

لأن قوله «طهور» مرفوع، والرافع له مبتدأ محذوف أو الابتداء المحذوف بقوله «هي طهور إن شاء الله» وليس المراد الدعاء لأنه لو كان دعاء لصارت منصوبة اللهم اجعلها طهورا.

لو قال: طهورا إن شاء الله؛ يعني: اجعلها اللهم طهورا، فيكون دعاء.فالظاهر من السياق من اللغة ومن القصة أن المراد الخبر. فإذا كان المراد الخبر فلا يعارض الدعاء بقول القائل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت؛ لأن النبي ﷺ علق الخبر بالمشيئة فقال «طهور إن شاء الله» ، كما قال تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧]، وكقوله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف:٩٩]، مع أنهم قد دخلوا مصر فقوله اغفر لي إن شئت، هذا تعليق للدعاء بالمشيئة، والله لا مستكره له يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد في خلقه.

الوجه الثاني: وهو وجه حسن أيضا أن قول الداعي: اللهم اغفر لي إن شئت هذا على جهة المخاطبة، اغفر لي إن شئت.وأما إذا كان على جهة الغيبة فإنه لا بأس به، فلو قال غفر الله له إن شاء الله، هذا أخف من التعليق بالمواجهة اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت.

لأن المخاطبة تقتضي الذل والتقرب إلى الله بما يحبه من نعوت جلاله وصفاته ومدحه سبحانه والثناء عليه.

والتعليق بالمشيئة فيه نوع استغناء، فلهذا قال في آخره: «إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له» وقال: «إن الله لا مستكره له».«إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

قلت: وجمع بعض العلماء بين الحديثين: بأنه إذا كان الدعاء بلفظ الخبر جاز التعليق بالمشيئة، وإذا كان بلفظ الطلب لم يجز.

قال الحافظ ابن حجر[١]-رحمه الله-: **قال ابن التين:** يُحتمل أن يكون ذلك دعاء عليه، ويُحتمل أن يكون خبراً عما يؤول إليه أمره.

وقال غيره: يحتمل أن يكون النبي ﷺ علم أنَّه سيموت من ذلك المرض، فدعا له بأن تكون الحمى له طهور لذنوبه، ويُحتمل أن يكون أعلم بذلك لما أجابه الأعرابي بما أجابه .

ورجح الحافظ في الفتح، والعيني في عمدة القاري: أنه دعاء لا خبر[٢].

وقال الشيخ العلامة مقبل الوادعي-رحمه الله- **معلقاً على هذا الحديث**[٣]:... وحُرِم -هذا الرجل- بركة الدعوة النبوية.

ورجَّح محدث العصر العلامة الألباني[٤]-رحمه الله- قوله: ويُحتمل أن يكون خبراً عما يؤول إليه أمره.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين[٥]-رحمه الله-: الظاهر أن هذا من باب التفاؤل، يعني: ما دام أنك قلت هذا فهو لك وليس بدعاء، لكن لما كان هذا الرجل غير متفائل جعل له رسول الله ﷺ ما أراد.

وقال-رحمه الله-: ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يطلق لسانه في الأمور التي يتشاءم منها، كما **قال الشاعر:**

احذر لسانك أن تقول فتُبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطقِ

(١) «فتح الباري» (١٠/ ١٢٤).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ١٢٤)، عمدة القاري (٢١/ ٣٢٤).
(٣) «إجابة السائل» (ص:٥٢٠-٥٢١).
(٤) «صحيح الأدب المفرد» (٣٩٩) (ص:١٩٤- ١٩٥) مع الحاشية .
(٥) «شرح صحيح البخاري» كتاب المرضى شريط رقم (١/ ٧)وجه (ب) و رقم(٢/ ٧) وجه (أ) تسجيلات ابن رجب.

قلت: وظاهر الحديث يدل على أن النبي ﷺ جعل له ما أراد، وذلك حين قال الأعرابي: كلا في مقابل قول الرسول ﷺ: «**لا بأس عليك، طهور إن شاء الله**»، فكأن النبي ﷺ يقول له : إن أبيت إلا هذا فنعم إذاً، فأصبح هذا الأعرابي ميتاً، كما ثبت[1] في «مصنف» عبد الرزاق[2]، و«معجم الطبراني الكبير»[3]، و«الكنى» للدولابي[4] أن النبي ﷺ قال: «**...أَمَّا إِذَا أَبِيتَ فَهِيَ كَمَا تَقُولُ، وَمَا قَضَى اللهُ فَهُوَ كَائِنٌ**»، **قَالَ: فَمَا أَمْسَى مِنَ الْغَدِ إِلَّا مَيِّتًا**.

(١) صححه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٣٩٩) (ص:١٩٤- ١٩٥) مع الحاشية .

(٢) «المصنف» (٢٠٣٠٩).

(٣) «المعجم الكبير» (٧/ ٣٠٦) رقم (٧٢١٣).

(٤) الدولابي في «الكنى» (١/ ٨١) .

(٢) الخسارة الأليمة بسبب مخالفة الرماة للرسول ﷺ بالنزول خلف الغنيمة.

عَنِ البَرَاءِ ﷺ، قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺأَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا،...الخ. رواه البخاري[١].

قال العلامة ابن القيم[٢]-رحمه الله-: من الحِكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد، تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة وتحرزاً من أسباب الخذلان.اهـ.

قلت: انظر-رحمني الله وإياك- إلى الآثار المترتبة على هذه المخالفة الوحيدة التي حصلت من بعض الصحابة وليس من الجميع رضي الله عنهم:

أولاً: نزول البلاء الشديد بالمسلمين.

---

(١) «البخاري» (٤٠٤٣).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢١٨).

ثانياً: استشهاد سبعين من الصحابة.

ثالثاً: جُرح النبي ﷺ، وكسرت رباعيته اليمنى، وسقوطه في الحفرة، ورميه بالحجارة، ومجموع ما حصل كما قال الحافظ ابن حجر(١): أنَّه شج وجهه ﷺ، وكسرت رباعيته، وجرحت وجنتاه، وشفته السفلى من باطنها، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة، وجحشت ركبته.اهـ.

وهذا كله من شؤم المعصية وخطر المخالفة للرسول ﷺ.

قال العلامة مقبل الوادعي(٢)-رحمه الله- معلقاً على ما حصل للمسلمين يوم أحد: فيه دليل على أنَّ المعصية من أسباب الهزيمة، ولعل في هذا عبرة لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة، التي ترتكب بعض المعاصي كحلق اللحية، وإدخال آلات اللهو والطرب في بيوتهم، من أجل مصلحة الدعوة فيما زعموا، وهكذا مجاراة المجتمع في إدخال التليفزيونات والفديوهات في بيوتهم، من أجل مصلحة الدعوة فيما يزعمون.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٥٥) بتحقيق شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله.

(٣) الريح الشديدة تأخذ رجلاً خالف الرسول ﷺ إلى الجبال البعيدة.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ ﷺ قَالَ:...وَانْطَلَقْنَا، حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّءٍ. أخرجه مسلم(١).

قلت: أخبر رسول الله ﷺ أصحابه في تبوك، بأن ريحًا شديدة ستهب عليهم، وأمرهم بأن يحتاطوا لأنفسهم ودوابهم، فلا يخرجوا حتى لا تؤذيهم، وليربطوا دوابهم حتى لا تؤذى، وتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ، فهبت الريح الشديدة وحملت من قام فيها إلى مكان بعيد.

فكانت عاقبة هذه المخالفة لرسول الله ﷺ ونتيجتها وخيمة، حيث أخذت الريح هذا الرجل الذي قام بعد نهي النبي ﷺ من تبوك إلى جبلي طي، في مسافة مئات الكيلومترات.

قال الإمام النووي(٢) -رحمه الله-: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته، والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء، فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح.

---

(١) «مسلم» (١٣٩٢) كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ .

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٤٧).

(٤) التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان[١].

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «قَضَى رَسُولُ الله ﷺ فِي رَجُلٍ طَعَنَ رَجُلًا بِقَرْنٍ فِي رِجْلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَقِدْنِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى يَبْرَأَ جُرْحُكَ، فَأَبَى الرَّجُلُ إِلَّا أَنْ يَسْتَقِيدَ، فَأَقَادَهُ رَسُولُ الله ﷺمِنْهُ، فَعَرِجَ الْمُسْتَقِيدُ، وَبَرَأَ الْمُسْتَقَادُ مِنْهُ، فَأَتَى الْمُسْتَقِيدُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ الله عَرِجْتُ وَبَرَأَ صَاحِبِي؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: أَلَمْ آمُرْكَ أَنْ لَا تَسْتَقِيدَ حَتَّى يَبْرَأَ جُرْحُكَ فَعَصَيْتَنِي، فَأَبْعَدَكَ اللهُ وَبَطَلَ جُرْحُكَ؛ ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بَعْدُ الرَّجُلَ الَّذِي عَرِجَ مَنْ كَانَ بِهِ جُرْحٌ أَنْ لَا يَسْتَقِيدَ حَتَّى يَبْرَأَ مِنْ جِرَاحَتِهِ، فَإِذَا بَرِأَتْ جِرَاحَتُهُ اسْتَقَادَ» **صحيح** رواه أحمد وغيره[٢].

قلت: في هذا الحديث، أن رجلاً من الصحابه طعن رجلاً آخر من الصحابة بقرن في ركبته، -والقرن واحد القرون من البهائم-، فجاء هذا الرجل المصاب إلى النبي ﷺ، يشتكي بذلك الرجل الذي طعنه في رجله، وقال يا رسول الله: أقدني، أي: اقتص لي من غريمي، فقال له النبي ﷺ: «**اذهب حتى تبرأ**»، فذهب الرجل ثم رجع قبل أن يبرأ ويعافى ومازال جراحه فيه، فقال يا رسول الله: أقدني

---

(١) نص حديث رواه أبو يعلى (٤٢٥٦)، والبيهقي (٢٠٢٧٠) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة (١٧٩٥) وصحيح الجامع (٣٠١١) .

(٢) المسند (٧٠٣٤) والدارقطني (٣/ ٨٨-٨٩) رقم (٢٤، ٢٩) وعنه البيهقي (٨/ ١١٧) رقم (١٦١١١)، وصححه العلامة الألباني في الإرواء (٢٢٣٧).

أي: اقتص لي ولم يصبر، فأقاده النبي ﷺ أي: اقتص له من غريمه، ثم ذهبت الأيام وجاء المجني عليه الذي طالب بالقصاص ولم يصبر ويمتثل أمر النبي ﷺ حين قال له اذهب حتى تبرأ، جاء إلى النبيﷺ فقال يا رسول الله: عرجت أي: أصابني العرج في رجلي، وصاحبي قد برأ، أي: لم يصبه العرج، فقال له النبي ﷺ: «**قد نهيتك فعصيتني فأبعدك الله وبطل عرجك**»، أي: بطل ما كان لك من دية جرحك لتعجلك بالقصاص.

والحكمة في هذا، أن الجرح مادام طرياً لم يبرأ، فإن فيه احتمالاً أن يكون له مضاعفات، فالواجب الصبر حتى يتم شفاؤه، ثم يقتص له، أو تؤخذ له الدية، وهذا مذهب الجمهور، ومنهم الأئمة الثلاثة، أبو حنيفة، ومالك، وأحمد.

(٥) العقاب الأمثل لمن أمر بتغيير اسمه فلم يفعل.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ» قُلْتُ: حَزْنٌ ، فَقَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: قُلْتُ: لاَ أُغَيِّرُ اسْماً سَمَّانِيهِ أَبِي(١)؛ قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: «فَمَا زَالَتِ تِلْكَ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ» رواه البخاري(٢).

وعند أبي داود(٣): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: لَا، السَّهْلُ يُوطَأُ وَيُمْتَهَنُ، قَالَ سَعِيدٌ: «فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُصِيبُنَا بَعْدَهُ حُزُونَةٌ».

قال العلامة ابن القيم(٤)-رحمه الله-: والحزونة الغلظة، ومنه أرض حزنة، وأرض سهلة.

وقال الحافظ(٥)-رحمه الله-: يقال في فلان حزونة، أي: في خُلقه غلظة وقساوة.

وقال ابن التين: معنى قول ابن المسيب فما زالت فينا الحزونه، يريد امتناع التسهيل فيما يريدونه.

---

(١) للفائدة: تسمية المولود حق للأب لا للأم، هذا مما لا نزاع فيه بين الناس، وأن الأبوين إذا تنازعا في تسمية الولد فهي للأب، لأنه يدعى لأبيه لا لأمه، فيقال: فلان ابن فلان، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[الأحزاب:٥]، وأن الخلق يُدعون يوم القيامة بآبائهم، هذا هو الصواب الذي دلت عليه السنة الصحيحة، ونص عليه الأئمة كالبخاري وغيره، فقال في «صحيحه»: «باب ما يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم لا بأمهاتهم»، ثم ساق في الباب حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع الله لكل غادر لواء، فيقال: غدرة فلان ابن فلان» أخرجه البخاري (٦١٧٧، ٦١٧٨) . وراجع «تحفة المودود» (ص:٢٣٣) .

(٢) «البخاري» (٦١٩٠) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٩٤٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢١٤).

(٤) «تحفة المودود» (ص: ٢٠٤).

(٥) «الفتح» (١٠/ ٥٩٠) .

وقال الداوودي: يريد الصعوبة في أخلاقهم، إلا أن سعيداً أفضى به ذلك إلى الغضب في الله.

وقال غيره: يشير إلى الشدة التي بقيت في أخلاقهم، **فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوء خلق معروف فيهم لا يكاد يعدم منهم**.اهـ.

قلت: كان ﷺ يستحب الاسم الحسن، لأن للأسماء تأثيراً على المسميات في الغالب، وللمسميات تأثيراً على أسمائها في الحسن، والقبح، والخفة، والثقل، واللطافة، والكثافة، كما قيل:

وقل ما أبصرت عيناك ذا لقب　　　إلا ومعناه إن فكرت في لقبه[١]

فالذي ينبغي للمسلمين اختيار الأسماء الحسنة، والبعد عن الأسماء القبيحة، فقد حث النبي ﷺ على اختيار الأسماء الحسنة، فقال مبيناً أحسنها وأحبها إلى الله: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**» رواه مسلم[٢]، عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

---

(١) «معجم المناهي اللفظية» لبكر أبو زيد (١٩٣)، و«تحفة المودود» لابن القيم (ص:٢٤٩).

(٢) «مسلم» (٢١٣٢).

فائدة : مراتب الأسماء استحباباً وجوازاً:

- استحباب التسمية بهذين الاسمين عبد الله وعبد الرحمن، وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى.
- استحباب التسمية بالتعبد لأي من أسماء الله الحسنى، مثل: عبد العزيز، وعبد الملك.
- التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله، لأنهم سادة بني آدم، فالتسمية بأسمائهم تذكر بهم وبأوصافهم الجميلة، وقد أجمع العلماء على جواز التسمية بها.
- التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين، فقد ثبت من حديث المغيرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنهم كانوا يُسمون بأسماء الأنبياء والصالحين من قبلهم» رواه مسلم؛ وصحابة رسول الله ﷺ هم رأس الصالحين في هذه الأمة. راجع «تسمية المولود» لبكر أبو زيد (ص:٣٢-٣٧).

وقد ثبت عن النبي ﷺ تغيير بعض الأسماء القبيحة، مثل: اسم (عاصية) إلى جميلة[١]، وأصرم إلى زرعة[٢].

قال أبو داود[٣]-رحمه الله-: وغيَّر النبي ﷺ اسم العاص وعَزِيز وعَتَلَةَ وشيطان والحَكَم وغُرَاب وحُبَاب وشِهَاب فَسمَّاه هِشَاماً وسمَّى حَرْبًا سَلْمًا.

وقال ابن حزم -رحمه الله-: اتفقوا على استحسان الأسماء المضافة إلى الله، كعبد الله وعبد الرحمن وما أشبه ذلك، واتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد العزى وعبد هبل وعبد الكعبة وما أشبه ذلك.اهـ.

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله-: ومن الأسماء الأعجمية كالفارسية، أو التركية، أو البربرية، أو الأوربية، التي غزت الجزيرة العربية والبلاد الإسلامية (مرفت، شيريهان شيرين، نيفين، زوزو، فيفي، ميمي، سوزان).

وكذلك من الأسماء الغرامية الرخوة المتخاذلة، مثل: (أحلام، أريج، تغريد، غادة، فاتن، ناهد، هُيام)[٤].

ومن الأسماء العامية القبيحة المشتهرة عندنا في اليمن: (كُدَّاف، كُدَّافة، شُوعي، شوعية، ضُفَع)، لذلك فإنني أنادي بلسان الشريعة على المسلمين أن يتقوا الله، وأن يلتزموا بآداب الإسلام وسنة النبي ﷺ، وأن لا يؤذوا السمع والبصر في تلكم

---

(١) «مسلم» (٢١٣٩).
(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٤٩٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٥٤) و«المشكاة» (٤٧٧٥).
(٣) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١١/ ٢٠٣) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٥٨).
(٤) «تسمية المولود» (ص:٨) لبكر أبو زيد.

الأسماء المرذولة، وأن لا يؤذوا أولادهم بها، فيحجبوا بذلك عنهم زينتهم وهي (الأسماء الشرعية).

(٦) عقوبة النبي ﷺ لمن لدوه (سقوه) الدواء في مرضه بعد نهيه لهم.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَدَدْنَا[١] النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: «أَنْ لاَ تَلُدُّونِي»، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي»، قُلْنَا كَرَاهِيَةَ المَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «لاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي البَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا العَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ» متفق عليه[٢].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَتْ تَأْخُذُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْخَاصِرَةُ، فَاشْتَدَّتْ بِهِ جِدًّا، وَأَخَذَتْهُ يَوْمَاً فَأُغْمِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ عَلَى الْفِرَاشِ فَلَدَدْنَاهُ، فَلَمَّا أَفَاقَ عَرَفَ أَنَا قَدْ لَدَدْنَاهُ، فَقَالَ: كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ كَانَ يُسَلِّطُ عَلَيَّ ذَاتَ الْجُنْبِ؟ مَا كَانَ اللهُ لِيَجْعَلَ لَهَا عَلَيَّ سُلْطَانًا، وَاللهِ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلاَّ لَدَدْتُمُوهُ إِلاَّ عَمِّي الْعَبَّاسُ، قَالَتْ: فَمَا بَقِيَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلاَّ لُدَّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ نِسَائِهِ تَقُولُ: أَنَا صَائِمَةٌ، قَالُوا: تَرَيْنَ أَنَّا نَدَعُكِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ؟ فَلَدَدْنَاهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ» صحيح، رواه أحمد[٣] وغيره.

قال الإمام النووي[٤]-رحمه الله-: إنما أمر ﷺ بلدهم **عقوبة لهم** حين خالفوه في إشارته إليهم لا تلدوني، ففيه أن الإشارة المفهمة كصريح العبارة في نحو هذه

---

(١) قال الإمام النووي -رحمه الله- في «شرح مسلم» (١٤/ ٤٤٩): قال أهل اللغة: اللدود بفتح اللام، هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض ويسقاه، أو يدخل هناك بأصبع وغيرها ويحنك به، ويقال: منه لددته ألده، وحكى الجوهري أيضا ألددته رباعياً، والتددت أنا.

قال الجوهري: ويقال للدود لديد أيضاً.

(٢) «البخاري» (٤٤٥٨)، «مسلم» (٢٢١٣).

(٣) «المسند» (٢٤٢٦٣) وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (٣٣٣٩).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٤٤٩-٤٥٠).

المسألة، وفيه تعزير المتعدي بنحوٍ من فعله الذي تعدى به، إلا أن يكون فعلاً محرماً.اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر(١)-رحمه الله-: **وإنما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عن ذلك**، أما من باشره فظاهر، وأما من لم يباشره فلكونهم تركوا نهيهم عما نهاهم هو عنه.

ويستفاد منه أن التأويل البعيد لا يعذر به صاحبه، وفيه نظر أيضاً لأن الذي وقع في معارضة النهي.

قال ابن العربي: أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطب عظيم، وتعقب بأنه كان يمكن العفو لأنه كان لا ينتقم لنفسه، **والذي يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديباً لا قصاصاً ولا انتقاماً**.

وقيل: إنما كره اللد مع أنه كان يتداوى لأنه تحقق أنه يموت في مرضه، ومن حقق ذلك كره له التداوي.

قلت: وفيه نظر، والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقق، وإنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه، لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها، ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى، والله أعلم.اهـ.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٧٥٤).

الفصـــــل العاشر

الفصل العاشر

العقوبة السريعة لمن خالف في الصلاة وآداب المساجد هدي الشريعة

قال تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١].

وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

و قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» رواه البخاري[1] عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

ولا يخفى عليك أخي الكريم: أن الصّلاة هي أحد أركان الإسلام الخمسة، كما قال الرسول ﷺ، وأنها أولى الواجبات الإسلامية بعد التّوحيد، وأنها إذا صلحت صلح عمل المسلم كله، وإذا فسدت، فسد عمله كله.

ولذا فهي جديرة بالاهتمام والاعتناء، وخصوصاً أن كثيراً من البدع والمخالفات فيها فشت بين النّاس، وخصوصاً العامّة منهم.

---

(١) «البخاري» (٦٣١).

(١) الطرد السريع لأصحاب الروائح الكريهة من المسجد إلى البقيع.

عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب يوم الجمعة، فقال في خطبته: «... **ثُمَّ إِنَّكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ، هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ، أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً**» رواه مسلم وغيره [١].

قلت: انظر -رحمني الله وإياك- إلى هذا الأمر الصارم، والتأنيب الجازم، لمن خالف سنة أبي القاسم ﷺ، ودخل المسجد بالرائحة الكريهة التي يتأذى منها الناس، والملائكة الكرام، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، ولعل في الإخراج إلى البقيع تنبيهاً على أنه لا ينبغي له صحبة الأحياء، بل ينبغي له صحبة الأموات الذين لا يتأذون بمثله.

وقد جاءت طائفة من الأحاديث تنهى عن إتيان المساجد، لمن أكل ثوماً، أو بصلاً، أو كراثاً.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ -يَعْنِي الثُّومَ- فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا**» متفق عليه [٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا -أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا- وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ**» رواه البخاري [٣].

---

(١) «مسلم» (٥٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٧) وابن ماجه في «سنن» (١٠١٤).

(٢) «البخاري» (٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٤٢١٥)، «مسلم» (٥٦١).

(٣) «البخاري» (٨٥٤، ٨٥٥).

وفي رواية: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَأَذَّى، مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسُ**»رواه مسلم[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، وَلَا يُؤْذِيَنَّا بِرِيحِ الثُّومِ**» رواه مسلم[٢].

في هذه الأحاديث كراهية أكل الثوم والبصل عند حضور المسجد، وذلك لأن الإسلام دين يراعي شعور الآخرين، ويحث على الذوق السليم، والخلق الكريم، ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال النووي[٣]- رحمه الله-: **هذا تصريح بنهي من أكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد، وهذا مذهب العلماء كافة.**

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز[٤] -رحمه الله- معلقاً على الأحاديث السابقة: وهذا الحديث وما في معناه من الأحاديث الصحيحة، تدل على كراهة حضور المسلم لصلاة الجماعة، ما دامت الرائحة توجد منه ظاهرة تؤذي من حوله، سواءً كان ذلك من أكل الثوم، أو البصل، أو الكراث، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة، كالدخان حتى تذهب الرائحة،...مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته هو محرم لأضراره الكثيرة، وخبثه المعروف، وهو داخل في قوله سبحانه عن

---

(١) «مسلم» (٥٦٤).

(٢) «مسلم» (٥٦٣).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٥١).

(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٢٧٢) و«أخطاء المصلين» (ص:١٩٩-٢٠٠).

نبيهﷺ في سورة الأعراف ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه في سورة المائدة ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤].

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعلم بذلك أنه من المحرمات على الأمة.

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين(١) -رحمه الله-: ويسن أن يتطيب كما جاءت به السنة بأي طيب سواء من الدهن، أو من البخور في ثيابه وفي بدنه، وذلك من أجل اجتماع الناس في مكان واحد، لأن العادة أنه إذا كثر الجمع ضاق النفس وكثر العرق، وثارت الرائحة الكريهة، فإذا وجد الطيب، وقد سبقه التنظف، فإن ذلك يخفف من الرائحة، بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى من أكل بصلاً أو ثوماً أن يقرب المسجد، **وكانوا إذا رأوا إنساناً أكل بصلاً أو ثوماً، أمروا به فأخرج من المسجد إلى البقيع**، ومن الأسف أن بعض الناس اليوم يأتي إلى الجمعة، وثيابه وجسمه لهما رائحة كريهة، ثم لا يستطيع أحد أن يصلي إلى جنبه، وليس هذا من عند الله، بل من نفسه، فهو الذي يجلب لنفسه الأوساخ والأدران، ولا يهتم بنفسه، وفي هذا أذية للمصلين، وأذية للملائكة.

بل إنَّ العلماء قالوا: إن ما كان من الله، ولا صنع للآدمي فيه، إذا كان يؤذي المصلين فإنه يخرج، كالبخر في الفم، أو الأنف، أو من يخرج من إبطيه رائحة كريهة، فإن كان فيك رائحة تؤذي لا تقرب المسجد.

---

(١) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (٥/ ٨٥-٨٧).

فإن قال هذا من الله؟ فيقال: إذا ابتلاك الله به فلا تؤذِ العباد، ولا تؤذِ الملائكة، وأنت مأجور على الصبر على هذا الشيء، واحتساب الأجر من الله، ولست آثماً إذا لم تصلِ مع الناس، لأنك إنما تركت ذلك بأمر الله.

فإذا قال: هذا ينقص إيماني، لأن صلاة الجماعة أفضل؟ قلنا: إنك لا تلام على هذا النقص، كما أن الحائض لا تصلي وينقص إيمانها بذلك ولا تلام على النقص، لأن النقص الذي ليس بسبب الإنسان لا يلام عليه. اهـ.

وقال الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني[1] -رحمه الله- **وهو يتحدث عن حكم الدخان**: والنبي عليه الصلاة والسلام من رأفته ورحمته بأمته أنه جاءهم بكل خير، وحذرهم من كل شر، حتى وصل به الأمر إلى أن ينهى المسلم أن يتعاطى الطعام الحلال الذي فيه رائحة كريهة.

إذا ما كان من الواجب عليه أن يحضر مجلساً فيشم الجالسون منه تلك الرائحة، فنهاه عن هذا الطعام الحلال لكي لا يؤذي غيره برائحة الطعام الحلال، وعرفتم طبعاً ما هو هذا الطعام، الثوم والبصل، فقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلانَا، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**».

إذن كأن الرسول ﷺ يقول: أيها المسلم المصلي لا تأكل طعاماً ثوماً أو بصلاً وتحضر المسجد، كُل الطعام الذي فيه الثوم والبصل قبل أن تحضر المسجد، أما إذا أكلت هذا الطعام قبيل حضورك المسجد نحن في غنى عن حضورك المسجد، مع أن حضور المسجد فرض عليه، فرض عليه الصلاة نفسها، لم يقتصر عليه السلام على هذا التوجيه «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلانَا**» **بل طبق ذلك عملياً، حيث دخل ذات يوم المسجد النبوي فشم من أحدهم رائحة الثوم، فأمر بإخراجه من المسجد وإلى أين؟ إلى البقيع، إلى المقابر كأنه يشير بهذا التنفيذ**

---
(١) شريط رقم (٦٧٨) من «سلسلة الهدى والنور» (تسجيلات ابن رجب).

العملي، أن المسلم الذي يحضر مساجد المسلمين، وهو يحمل في فمه رائحة كريهة يؤذي المصلين، هذا لا يليق به أن يعيش مع المصلين، بل ولا مع الأحياء الذين هم خارج المسجد، بل عليه أن يعيش مع الأموات في المقابر، تُرى لو كان رسول الله ﷺ في عصرنا هذا، ودخل المسجد وشم رائحة إنسان يصلي بجانبه، أو من خلفه، (وروائحته دخان)، **كان يمكن يوصله المريخ**... مش المقابر، ليه؟! لأنه يضر المسلمين، مش بطعام فيه منفعة، فإذا كان رائحة الطعام النافع بسبب رائحته الكريهة في المسجد أخرجه إلى البقيع، فإذا شم رائحة شارب الدخان الذي يضر نفسه، ويضر زوجه، ويضر أولاده...الخ.

قلت: وقد بوَّب العلامة المحدث مقبل الوادعي-رحمه الله- **في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين**[1]: **(تحريم دخول المسجد لمن أكل بصلاً أو ثوماً، وبه رائحة مؤذية)**، وذكر حديث معاوية بن قرة، عن أبيه، قَالَ: **نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الْخَبِيثَتَيْنِ، وَقَالَ: «مَنْ أَكَلَهُمَا فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا»**.

وقال الشقيري[2]-رحمه الله-:...هذه الأحاديث الصحيحة ترد على أقوال الفقهاء، إذ يقولون بكراهة أكل البصل، أو الفجل، والثوم والكراث في أيام الجمعات فقط، لأجل الاجتماع بصلاة الجمعة، وهذه الأحاديث تبطل ما قالوه، وتثبت تحريم دخول المسجد على آكل شيئاً مما هو مذكور في هذه الروايات مطلقاً ودائماً وأبداً، من غير أي تقييد بجمعة ولا غير جمعة.

ثم قال-رحمه الله-: وهذا الدخان الذي يدخنونه، وينفقون على ثمنه كل يوم بل كل ساعة الأموال الكثيرة الباهظة، التي هم وعيالهم في أشد الاحتياج إلى بعضها، فهذا فوق أنه إسراف، وسفه وطيش، يعاقبون عليه أشد العقاب من الله، فلا شك أيضاً أنه يستلزم منعهم من دخول المساجد لنتن روائح أفواههم التي

---

(١) «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٢٣-٢٤) رقم (٨٢٢) و(٨٢٤).
(٢) «السنن والمبتدعات» (ص:٥٠).

هي أشد خبثاً من روائح البصل والثوم والكرات، ولكنا إذا قلنا لهم هذا كانت الحرب بيننا وبينهم عواناً صهيونية، فنوصي هؤلاء بتنظيف أفواههم وتطييبها بالروائح الطيبة قبل الذهاب إلى المساجد.

(٢) نزول البلاء بمن خرج من المسجد بعد النداء.

عن عبد الرحمن بن حرملة قال: كنت عند ابن المسيب، فجاءه رجل فسأله عن بعض الأمر، ونادى المنادي فأراد أن يخرج، فقال له سعيد: قد نُودي بالصلاة، فقال الرجل: إنَّ أصحابي قد مضوا، وهذه راحلتي بالباب، قال: فقال له: لا تخرج فإن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمُسْجِدِ بَعْدَ النِّدَاءِ إِلَّا مُنَافِقٌ، إِلَّا رَجُلٌ يَخْرُجُ لِحَاجَتِهِ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى الصَّلَاةِ**»(١)، فأبى الرجل إلا أن يخرج، فقال سعيد: دونكم الرجل، فإني عنده ذات يوم إذ جاءه رجل فقال: يا أبا محمد! ألم تر إلى هذا الرجل أبى، يعني هذا الذي أبى إلا أن يخرج، **وقع عن راحلته فانكسرت رجله، فقال له سعيد: قد ظننت أنه سيصيبه أمر.**

والقصة أخرجها عبد الرزاق في مصنفه وإسنادها حسن(٢).

وفي رواية: قال جاء رجل إلى ابن المسيب وهو في المسجد، فسأله عن حاجة له ثم ذهب يخرج، فقال ابن المسيب: أين تريد؟ قال أصحابي ينتظرونني، قال ابن المسيب: قد أذِّن فلا تخرج، قال: إنهم على دوابهم وأنا أكره أن أحبسهم، قال ابن المسيب: لا تخرج حتى تصلي، قال: فغفل عنه ابن المسيب فانسل الرجل فذهب، فالتفت ابن المسيب فقال: أين الرجل؟ قالوا: ذهب، قال: ما أراه يصيب في سفره هذا خيراً، **فما سار إلا أميالاً حتى خر عن دابته فانكسرت رجله.**

قلت: انظر -أخي المبارك- إلى هذا الرجل الذي سمع نهي النبي ﷺ الصريح في عدم الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر شرعي، فلم يلتفت لهذا الأمر

(١) رواه أبو داود في «مراسيله» (ص:١٣٠) رقم (٢٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٤) رقم (٢٦٤).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» برقم (١٩٤٥، ١٩٤٦)، وعبد الرحمن بن حرملة بن عمرو الأسلم أبو حرملة المدني صدوق ربما أخطأ. [انظر «التقريب» (٣٨٦٤) و«تهذيب التهذيب» (٣٩٧٧)، و«تهذيب الكمال» (٣٧٩٦)، و«التاريخ الكبير» (٨٧٥)، و«الميزان» (٤٨٤٨)، و«الكاشف» (٣١٦٦)].

وخرج من المسجد، فجاءت الأخبار بعد أيام أن هذا الرجل سقط عن راحلته وانكسرت رجله.

وفي صحيح مسلم[١] عن أبي الشعثاء قال: **عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ قَالَ: «كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ يَمْشِي فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ»**.

وصدق الله القائل﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

قال العلامة ابن عثيمين[٢]-رحمه الله-: يحرم الخروج من المسجد بعد الأذان لمن تلزمه الصلاة إلا لعذر[٣]، فمن العذر أن يكون حاقناً، يعني: يحتاج إلى بول، أو حاقناً يحتاج إلى غائط، أو معه ريح محتبسة يحتاج إلى أن ينقض الوضوء، أو أصابه مرض يحتاج إلى أن يخرج معه، أو كان إماماً لمسجد آخر، أو مؤذناً في مسجد آخر، وأما إذا خرج من هذا المسجد ليصلي في مسجد آخر، فهذا فيه توقف، قد يقول قائل: فالحديث عام، وقد يقول قائل: إن الحديث فيمن خرج لئلا يصلي مع جماعة، وأما من خرج من مسجد ليصلي في آخر، فهذا لم يفر من صلاة الجماعة ولكنه أراد أن يصلي في مسجد آخر، وعلى كل حال لا ينبغي أن يخرج حتى وإن كان يريد أن يصلي في مسجد آخر إلا لسبب شرعي، مثل: أن يكون في المسجد الثاني جنازة يريد أن يصلي عليها، أو يكون المسجد الثاني أحسن قراءة من المسجد

(١) «مسلم» (٦٥٥).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٤٣٥-٤٣٦)

(٣) قالت الحنابلة: يحرم الخروج من المسجد بعد الأذان بلا عذر أو نية رجوع. «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣٧/ ٢١٢).

الذي هو فيه، أو ما أشبه ذلك من الأسباب الشرعية، فهنا نقول لا بأس أن يخرج، والله الموفق.اهـ.

(٣) سابق الإمام فحوَّل الله رأسه رأس حمار.

ذُكر عن بعض المحدثين[١]: أنه رحل إلى دمشق، لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجاباً ولم ير وجهه، فلما طالت ملازمته له، ورأى حرصه على الحديث كشف له الستر، فرأى وجهه وجه حمار، فقال له: احذر يا بني أن تسبق الإمام، فإنه لما مر بي الحديث استبعدت وقوعه، فسبقت الإمام فصار وجهي كما ترى.

قلت : انظر-رحمني الله وإياك- إلى عقوبة مسابقة الإمام في الركوع، أو السجود، أو في أي فعل من أفعال الصلاة، فإن هذا محرم، بل حتى مساواة الإمام في الركوع والسجود وغيرها من أفعال الصلاة، فإن هذا من الأمور المحرمة أيضاً، وقد حذَّر ﷺ من مسابقة الإمام، فقال: «**أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ**» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالِانْصِرَافِ**» رواه مسلم[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا**» رواه البخاري[٤].

---

(١) ذكر هذه القصة الملا علي القاري في «شرح المرقاة» (باب ما على المأموم من المتابعة) (٣/ ٩٨) ، والمباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣/ ١٨٧)، وشبير أحمد العثماني في «موسوعة فتح الملهم شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٥٠) وذُكرت القصة في «شرح سنن ابن ماجه» (باب النهي أن يُسبق الإمام بالركوع والسجود) تحت حديث رقم (٩٦١)، للسيوطي وآخرون و ذكرها صاحب كتاب «القول المبين في أخطاء المصلين» (ص:٢٥٠-٢٥٢).

(٢) «البخاري» (٦٩١) و«مسلم» (٤٢٧) .

(٣) «مسلم» (٤٢٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] **-رحمه الله-**: أما مسابقة الإمام فحرام باتفاق الأئمة، لا يجوز لأحد أن يركع قبل إمامه، ولا يرفع قبله ولا يسجد قبله، وقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك.

قلت: ولكن اختلفوا في بطلان صلاته، فالجمهور أنها لا تبطل[٢].

وقد سئلت اللجنة الدائمة عن هذه المسألة[٣]: **ما حكم مسابقة الإمام وهل صلاة من سابقه صحيحة؟**

فأجابت: مسابقة المأموم لإمامه حرام، بل هي من **كبائر الذنوب** لما ورد فيها من الوعيد، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ**» رواه البخاري.

وفي صحة صلاته خلاف، والراجح في ذلك أنه إن سبقه عامداً بطلت صلاته، وإن سبقه ساهياً رجع إليه وتابعه.

قلت: **وقد اختلف العلماء في معنى الوعيد المذكور في حديث**: «**أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ**».

فقيل: **يحتمل أن يرجع ذلك إلى أمر معنوي**، فإن الحمار موصوف بالبلادة، فاستعير هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فرض الصلاة ومتابعة الإمام،

---

(٤)«البخاري» (٦٨٨، ١٢٣٦، ١١١٣، ٥٦٥٨)من حديث عائشة، وأخرجه البخاري أيضاً(٦٨٩، ١١١٤) من حديث أنس ﷺ وفيه زيادة: «وإذا كبَّر فكبروا» ومعناها: أن تنتظروا الإمام حتى يكبر ويفرغ من تكبيره= =وينقطع صوته ثم تكبرون بعده، وانظر للفائدة «الممتع» لابن عثيمين (٤/ ١٣٣-١٣٤) فقد ذكر أن للمأموم مع إمامه أربع حالات: (١) سبق الإمام وهذا حرام (٢) تخلف وتأخر عن الإمام وهذا خلاف السنة. (٣) موافقة للإمام وهي مكروهة، وقيل أنها خلاف السنة (٤) متابعة الإمام وهي السنة.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٣٦).

(٢) «تيسير العلام» (١/ ١٦٨).

(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٧/ ٣٢٦).

ويرجح هذا المجاز أن التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين، لكن ليس في الحديث ما يدل على أن ذلك يقع ولا بد، وإنما يدل على كون فاعله متعرضاً لذلك، وكون فعله ممكناً لأن يقع عنه ذلك الوعيد، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء.

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يراد بالتحويل المسخ، أو تحويل الهيئة الحسية، أو المعنوية، أو هما معاً، وحمله آخرون على ظاهره، إذ لا مانع من جواز وقوع ذلك. وسيأتي في كتاب الأشربة الدليل على جواز وقوع المسخ في هذه الأمة، وهو حديث أبي مالك الأشعري في المغازي، فإن فيه ذكر الخسف، وفي آخره: «**وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].

ويقوي حمله على ظاهره أن في رواية ابن حبان من وجه آخر عن محمد بن زياد، «**أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ كَلْبٍ**»[2].

فهذا يبعد المجاز لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار. قاله الحافظ في الفتح[3].

(١) رواه البخاري (٥٥٩٠).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٩١٧٣، ٩١٧٤)، و«الأوسط» (٤٢٥١)، وابن حبان (٢٢٧٩) وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (٥٠٤٩).

(٣) «فتح الباري» (٢/ ٢١٥)، و«عون المعبود» (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

الفصـــل الحادي عشر

الفصل الحادي عشر

غضبُ الرسول ﷺ على من وقع في اللباس المحظور

اعلم أخي المسلم: أن الأصل في اللباس الإباحة، إلا ما خالف الشرع، كالتشبه بالكفار، أو تشبه الرجال بالنساء، أو تشبه النساء بالرجال، أو لبس ثياب الشهرة، وكل لباس نهى الشرع عنه.

قال العلامة عبد الرحمن بن سعدي(١) -رحمه الله-: **اللباس ثلاثة أقسام:**

- قسم حلال على الذكور والإناث: وهو الأصل في جميع أنواع الألبسة التي لم يرد منع الشرع منها.
- قسم حرام على الذكور و الإناث: مثل المغصوب، والتشبه بالكفار، وتشبه كل واحد من الرجال والنساء بالآخر.
- قسم حرام على الذكور دون النساء: مثل لباس الذهب، والفضة، والحرير.اهـ.

---

(١) «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» (ص:١٤٦) وقد عقد ابن القيم -رحمه الله تعالى-، فصلاً ماتعاً في أنواع الزينة، فراجعه إن شئت في كتاب «فوائد الفوائد» (ص:٣٥-٣٩).

(١) أمر الرسول ﷺ بإحراق الثوب المعصفر.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ[(١)] فَقَالَ: «أُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا» رواه مسلم[(٢)].

وفي رواية، قال: «هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ، فَلَا تَلْبَسْهَا».

وجاء عند أبي داود[(٣)] بإسناد حسن، **عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أيضاً، قال: هَبَطْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثَنِيَّةٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ رَيْطَةٌ[(٤)] مُضَرَّجَةٌ بِالْعُصْفُرِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الرَّيْطَةُ عَلَيْكَ؟» فَعَرَفْتُ مَا كَرِهَ، فَأَتَيْتُ أَهْلِي وَهُمْ يَسْجُرُونَ تَنُّورًا لَهُمْ، فَقَذَفْتُهَا فِيهِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا فَعَلَتِ الرَّيْطَةُ؟» فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «أَلَا كَسَوْتَهَا بَعْضَ أَهْلِكَ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ لِلنِّسَاءِ»**

قال النووي[(٥)]-رحمه الله-: وأمَّا الأمر بالإحراق، فقيل: **هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل**، وهذا نظير أمر تلك المرأة التي لعنت الناقة بإرسالها. اهـ.

---

(١) معصفرين، مصبوغين بالعصفر، والعصفر نبت أصفر وهو زهر القرطم، ولونه يشبه الزعفران، وليس له رائحة، والزعفران لونه أحمر يميل إلى الصفرة، وله رائحة عطرية.

(٢) «مسلم» (٢٠٧٧) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٠٦٠) وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٦٦).

(٤) بفتح الراء المهملة وسكون المثناة تحت ثم طاء مهملة ويقال رائطة، وهي كل ملاءة منسوجة بنسيج واحد، وقيل: كل ثوب رقيق لين، والجمع ريط ورياط. «عون المعبود» (١١/ ٧٩)، و«نيل الأوطار» (٢/ ١١١).

(٥) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢٩٩).

وقال العلامة الشنقيطي(١)-رحمه الله-: هذا الحديث الثابت في صحيح مسلم، وغيره...، صريح في منع لبس المعصفر مطلقاً، لأن قوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو: «**إِنَّهُمَا من ثِيَاب الْكفَّار، فَلَا تلبسهما**» صريح في منع لبسهما، لأن النهي يقتضي التحريم كما تقرر في الأصول، ويؤيد ذلك هنا أنه رتب النهي عنهما على أنهما من ثياب الكفار، وهذا دليل واضح على منع لبس المعصفر مطلقاً في الإحرام وغيره. وكذلك قوله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو: «**بل أحرقهما**»، فهو دليل واضح على منع لبسهما، لأن لبس الجائز لبسه لا يستوجب الإحراق بحال، فهو نص في منع المعصفر مطلقاً.

وقال العلامة الألباني(٢)-رحمه الله-: وفي الحديث دليل على أنَّه لا يجوز للمسلم أن يلبس لباس الكفار، وأن يتزيا بزيهم، والأحاديث في ذلك كثيرة كنت قد جمعت منها قسماً طيباً مما ورد في مختلف أبواب الشريعة، وأودعتها في كتابي حجاب المرأة المسلمة فراجعها فإنَّها مهمة، وخاصة وأنَّه قد شاع في كثير من البلاد الإسلامية التشبه بالكفار، في ألبستهم وعاداتهم، حتى فُرض شيء من ذلك على الجنود في كل أو جُل البلاد الإسلامية، فألبسوهم القبعة، حتى لم يعد أكثر الناس يشعر بأن في ذلك مخالفة للشريعة الإسلامية، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .اهـ.

قلت: في هذا الحديث نهى النبي ﷺ عن لبس الثياب المعصفرة، وهذا النهي خاص بالرجال، لأن الثياب المصبوغة بذلك مما يتزين به النساء، وقد ثبت في

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٤٣٩).
(٢) «الصحيحة» (٤/ ٢٨١) رقم (١٧٠٤).

الصحيحين[٣] عن أنس رضي الله عنه قال: «**نَهى النَّبِيُّ ﷺ، أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ**»، أي: يصبغ ثوبه، أو يطلي جسمه بالزعفران.

وفي الحديث أيضاً تحريم تشبه الرجال بالنساء في اللباس، وفيه تحريم التشبه بالكفار في لباسهم، وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بلباس الكفار[١] في أكثر من حديث، فعن أبي أمامة رضي الله عنه **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَشْيَخَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ بِيضٌ لِحَاهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، حَمِّرُوا وَصَفِّرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرْوَلُونَ وَلَا يَأْتَزِرُونَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَرْوَلُوا وَائْتَزِرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**» حسن أخرجه أحمد والطبراني[٢].

---

(٣) «البخاري» (٥٨٤٦) و«مسلم» (٢١٠١).

(١) ومن صور التشبه بالكفار في اللباس، لبس البنطال: وقد سئل العلامة الألباني-رحمه الله- كما في «الفتاوى المدنية» السؤال الثالث: عن حكم لبس البنطال؟ فقال: لبس البنطال فيه آفتان اثنتان:

الأولى: أنَّه يُحجم العورة، وخاصة بالنسبة للمصلين، ولا يجوز للرجل فضلاً عن المرأة أن يلبس من اللباس ما يُحجم عورته.

الثانية: أنه من لباس الكفار، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذُّل والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم» فينبغي على المسلم الذي يلبس البنطال لأمر ما أن يتخذ من فوقه جاكتاً طويلاً أشبه بما يفعله بعض إخواننا الباكستانيين أو الهنود .اهـ.

(٢) «المسند» (٢٢٢٨٣) والطبراني في «الكبير» (٧٩٢٤) وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٣٦٧) والألباني رحمه الله في «جلباب المرأة المسلمة» (ص:١٨٤-١٨٥).

(٢) الزجر الشديد لمن لبس خاتم الذهب أو الحديد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ رَأَى خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ فَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُهُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» فَقِيلَ للرجل بعد ما ذَهَبَ خُذْ خَاتَمَكَ فَانْتَفِعْ بِهِ، فَقَالَ: لَا وَاللهَّ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ الله ﷺ. رواه مسلم وابن حبان والطبراني[1].

وعن أبي ثعلبة الخشني ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ فِي يَدِهِ خَاتَماً مِنْ ذَهَب، فَجَعَلَ يَقْرَعُهُ بِقَضِيب مَعَهُ، فَلَمَّا غَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَلْقَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أُرَانَا إِلَّا قَدْ أَوْجَعْنَاكَ، وَأَغْرَمْنَاكَ» صحيح، رواه أحمد والنسائي[2].

قوله: (**فجعل يقرعه**) أي: يضربه.

(**إلا قد أوجعناك**) أي: بالقرع والضرب.

(**وأغرمناك**) أي: بالتسبب لإلقاء الخاتم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ خَاتَماً مِنْ ذَهَب، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَلْقَاهُ وَاتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: «هَذَا شَرٌّ، هَذَا حِلْيَةُ أَهْلِ النَّارِ»، فَأَلْقَاهُ، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، فَسَكَتَ عَنْهُ. حسن، رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[3].

---

(١) «مسلم» (٢٠٩٠)، وابن حبان (١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢١٧٥).

(٢) «المسند» (١٧٧٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥٢٠٥).

(٣) «المسند» (٦٥١٨)، و«الأدب المفرد» (١٠٢١)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٧٧٩)، و«آداب الزفاف» (ص:٢١٧).

قلت : انظر -هداني الله وإياك- إلى زجر النبي ﷺ لهذا الصحابي الجليل، وكيف أعرض عنه بوجهه، بسبب هذا الخاتم الذي لبسه، وهذا من حرصه ﷺ على أمته، مع عدم علم الصحابي بحرمة لبس الذهب أو الحديد، فكان العقاب من رسول الله ﷺ شديداً.

فكيف بمن لبس محض الحرام، وخالف شريعة الإسلام، وعصى الملك العلام، ولم يقتد بخير الأنام عليه الصلاة والسلام.

قال العلامة الألباني[1]-رحمه الله-: أفاد الحديث تحريم خاتم الحديد، لأنه جعله شراً من خاتم الذهب، فلا يُغتر بإفتاء بعض أفاضل المفتين بإباحته، اعتماداً منه على حديث الصحيحين[2]، أنَّ النبي ﷺ قال لرجل خطب امرأة ليس عنده مهراً لها: «**الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**».

فإن هذا ليس نصاً في إباحة الحديد ولهذا قال الحافظ في «الفتح»: استدل به على جواز لبس خاتم الحديد، ولا حجة فيه لأنه لا يلزم من جواز الاتخاذ جواز اللبس، ويحتمل أنه أراد وجوده لتنتفع المرأة بقيمته.

قلت: -**والكلام للشيخ الألباني رحمه الله**-: ولو فرض أنه نص في الإباحة، فينبغي أن يُحمل على ما قبل التحريم جمعاً بينه وبين هذا الحديث المحرم، كما هو الشأن بين الأحاديث المبيحة لتحلي الرجال بالذهب، والأحاديث المحرمة لها، وهذا بين لا يخفى إن شاء الله تعالى.

(١) «آداب الزفاف» (ص:١٤٦-١٤٧).
(٢) «البخاري» (٥٨٧١)، و«مسلم» (١٤٢٥).

وقد ذهب إلى ما أفاده هذا الحديث، أحمد، وابن راهويه، وبه قال مالك، وهو قول عمر رضي الله عنه(٣).

قلت: وقد ثبت عند البيهقي(١): «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، وَخَاتَمِ الْحَدِيدِ**».

وهذا نص صريح في تحريم خاتم الحديد، وذهب جمهور العلماء إلى كراهة لبس خاتم الحديد.

فائدة: قال صاحب كتاب «من أحكام الخاتم»: ومما يكره لبسه من الخواتم للرجال والنساء، خاتم الحديد، والصفر، والنحاس، والرصاص لأن الحديد حلية أهل النار، قال تعالى ﴿ **وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ** ﴾ [الحج:٢١]، وكل ما ذكر من الصفر، والنحاس، والرصاص من أدوات العذاب، والعياذ بالله(٢).

---

(٣) «آداب الزفاف» (ص:٢٤٦-٢٤٧) حاشية، و«اللباس والزينة من السنة المطهرة» (ص:١٥٨).

(١) «شعب الإيمان» (٦٣٤٩)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٢٤٢)، و«صحيح الجامع» (٦٩٥٥).

(٢) وللتوسع في «أحكام الخاتم وأنواعه» انظر رسالة «من أحكام الخاتم» ليحيى بن موسى الزهراني.

الفصل الثاني عشر

الفصل الثاني عشر

العقوبة السريعة لمن استهزأ بالشريعة

إن الاستهزاء بالدين، والاستهزاء بالصالحين عُرف به الكفار، وقد قص علينا القرآن استهزاءهم برسلهم وهم خير الخلق، والخير كله فيهم والشر كله فيمن استهزأ بهم، قال تعالى ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[يس:٣٠] .

فانظر إلى هذه الظاهرة القديمة، ظاهرة الاستهزاء، والسخرية، والتنقص، والطعن، واللمز، والغمز، والازدراء بحملة الحق، وأنصار التوحيد.

قال تعالى﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [البقرة:٢١٢].

وقال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[المطففين:٢٩-٣٠].

وقال تعالى﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨-١١٠].

وقال تعالى حاكياً عن نوحٍ بعد استهزاء قومه منه وهو يصنع الفلك ﴿ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ [هود:٣٨].

(١) قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت لكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ حسن أخرجه الطبري[1].

قال العلامة السعدي[2] -رحمه الله-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ عما قالوه من الطعن في المسلمين، وبدينهم، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك: **ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء -يعنون النبي ﷺ وأصحابه- أرغب بطوناً، وأكذب ألسنة، وأجبن عند اللقاء، ونحو ذلك.**

ولما بلغهم أن النبي ﷺ قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾أي: نتكلم بكلام، لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب .

(١) الطبري في «التفسير» (٦/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» رقم (١٠٥٥٢)، والحديث صححه شيخنا مقبل الوادعي -رحمه الله- في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص:١٢٢)، [وأحمد شاكر، كما ذكر حكمت بن بشير في تحقيق «تفسير» ابن كثير (٤/ ٣١٠)]، وحسنه صاحب «الاستيعاب في بيان الأسباب » (٢/ ٢٨٩) .

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٣٨١) .

قال الله تعالى مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفرٌ مخرجٌ عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

ولهذا لما جاءوا إلى الرسول ﷺ يعتذرون عن هذه المقالة، والرسول ﷺ لا يزيدهم على قوله ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.اهـ.

قال العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(١) -رحمه الله-: **ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من هذا،** فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو كان هازلاً، لم يقصد حقيقة الاستهزاء **إجماعاً**.اهـ.

وقال العلامة صالح الفوزان(٢) -حفظه الله-: الاستهزاء بالدين رِدة عن الإسلام، وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

هذه الآية: تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها.

والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزءوا بالرسول وصحابته؛ فنزلت الآية.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص:٤٦٥).

(٢) «عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها» (ص:١١٣-١١٥).

ثم قال –حفظه الله–: والاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: «**ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسُناً، ولا أجبن عند اللقاء**»، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، كقول بعضهم: (**دينكم هذا دين خامس**)، وقول الآخر: (**دينكم أخرق**)، وقول الآخر إذا رأى الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر: (**جاءكم أهل الدين**)، من باب السُّخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى إلا بكلفة؛ مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل: (**الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومدّ الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**) .

ومثل هذا ما يقوله بعضهم: (**إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقُرون الوسطى، وأنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية؛ في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظَلَم المرأة حقوقها، حيث أباح الطلاق، وتعدد الزوجات**).

وقولهم: (**الحكمُ بالقوانين الوضعية أحسنُ للناس من الحكم بالإسلام**).

ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد، ويُنكر عبادة القبور والأضرحة: (**هذا متطرف، أو يُريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو: هذا وهَّابي، أو مذهب خامس، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله، واستهزاء بالعقيدة الصحيحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله**).

ومن ذلك: (**استهزاؤهم بمن تمسَّكَ بسنة من سنن الرسول ﷺ، فيقولون: الدين ليس في الشعر، استهزاءً بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الألفاظ الوقحة**).اهـ.

(٢) استهزأ بالسواك فحمل كالنساء ومات.

قال ابن خلكان[١]: بلغنا من جماعة يوثق بهم وصلوا إلى دمشق من أهل بصرى، أن عندهم قرية يقال لها: دير أبي سلامة، كان بها رجل من العربان فيه استهزاء زائد وجهل، فجرى يوماً ذكر السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله ما أستاك إلا من المخرج، فأخذ سواكاً وتركه في دبره، فآلمه تلك الليلة، ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج. ثم أصابه مثل طلق الحامل، فوضع حيواناً على هيئة الجرذون، ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربع أنياب بارزة، وذنب طويل، مثل شبر، وأربع أصابع، وله دبر مثل دبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعده يومين ومات، وهو يقول: هذا الحيوان قتلني، وقطَّع أمعائي، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من أهل تلك الناحية وخطيب المكان.

وقال الإمام النووي[٢]-رحمه الله-: ومن هذا المعنى ما وجد في زماننا هذا، وتواترت به الأخبار، وثبتت عند القضاة أن رجلاً بقرية ببلاد بصرى، في أوائل سنة خمس وستين وستمائة، كان شاب سيئ الاعتقاد في أهل الخير، وله ابن يعتقد فيهم، فجاء ابنه يوماً من عند شيخ صالح ومعه مسواك، فقال: ما أعطاك شيخك؟ مستهزئاً، قال: هذا المسواك فأخذه منه وأدخله في دبره احتقاراً له، فبقي مدة ثم ولد ذلك الرجل الذي أدخل المسواك في دبره جرواً قريب الشبه

---

(١) «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٤٥٧) حوادث سنة (٦٦٥هـ)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٧/ ٤٧٠-٤٧١) حوادث سنة (٦٦٥هـ).

(٢) «بستان العارفين» (ص:٩٤-٩٥).

بالسمكة، فقتله ثم مات الرجل في الحال، أو بعد يومين، عافانا الله الكريم من بلائه، ووفقنا الله لتنزيه السنن وتعظيم شعائره.

قلت: انظر أخي المسلم عافاني الله وإياك: إلى صنيع هذا المستهزئ الماجن، الذي استهزأ بسنة أبي القاسم ﷺ، وهي سنة السواك، فحمل كالنساء ومات، وصدق الله حيث قال ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥].

واعلم رحمك الله أن السواك سنة بإجماع المسلمين، وقد جاء في فضله عدة أحاديث منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**» رواه البخاري واللفظ له ومسلم[١] إلا أنه قال: «**عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**».

وحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**» رواه أحمد وابن خزيمة والنسائي[٢].

وعن شريح بن هانئ قال : قلت لعائشة رضي الله عنها، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: «بِالسِّوَاكِ» رواه مسلم[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ **قَالَ: «لقد أمرت بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنه ينزل عَلَيّ فِيهِ قُرْآن أَو وَحي»** رواه أبو يعلى وأحمد[٤].

(١) «البخاري» (٨٨٧)، و«مسلم» (٢٥٢).
(٢) «المسند» (٧) و(٦٢) عن أبي بكر ﷺ، «صحيح ابن خزيمة» (١٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥)، و«المشكاة» (٣٨١)، و«الإرواء» (٦٦).
(٣) «مسلم» (٢٥٣).
(٤) «مسند» أبي يعلى (٢٣٣٠)، و«مسند» أحمد (٣١٢٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢١٣).

وعن علي ﷺ أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ، فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ**» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا «**حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ، فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ**») رواه البزار(١).

(١) «مسند» البزار (٦٠٣)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢١٥)، و«الصحيحة» (١٢١٣).

(٣) استهزأ بطلاب العلم الكرام وبالملائكة العظام فعاقبه اللّه بشلل الأيدي والأقدام.

قال الإمام النووي[١] -رحمه الله-: أخبرنا الأنباري، أخبرنا عبد الحافظ أخبرنا عبد القادر الرهاوي، أخبرنا عبد الرحيم بن علي الشاهد، أخبرنا محمد بن طاهر المقدسي الحافظ،أخبرنا أبو الفتح المفيد، أخبرنا أبو الحسن ابن علي بن محمد بن طلحة، حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني قال: سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله، قال: «**كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعنا المشي، وكان معنا رجل متهم ماجن في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ، فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط**».

قال الحافظ عبد الحافظ: إسناد هذه الحكاية كالوجد، أو كرأي العين لأن رواتها أعلام أئمة.

وبالإسناد إلى المقدسي قال: أخبرنا أبو الحسين يحيى بن الحسين العلوي، أخبرنا ابن الحسين الضبعي، قال: سمعت عبد الله بن محمد بن محمد العكبري يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب المتوثي يقول: سمعت أبا داود السجستاني يقول: **كان في أصحاب الحديث رجل خليع، إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ: « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ »**[٢]**، فجعل في عقبيه مسامير حديد، وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة، فأصابه آكلة في رجليه.**

---

(١) «بستان العارفين» للنووي (ص:٩٢-٩٣)، و«مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٣٩)، و«مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٥٦)، و«المجالسة للدينوري (٥/ ٢٩٤).

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٣)، وابن حبان (٨٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وأبو داود (٣٦٣٦)، وابن ماجه (٢٢٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي -رحمه الله- في كتابه «شرح صحيح مسلم» هذه الحكاية، **وفيها**: «**وشلت رجلاه ويداه وسائر أعضائه**». اهـ.

قلت: انظر أخي المسلم عافانا الله وإياك، إلى هذا الرجل المستهزئ الساخر بحديث رسول الله ﷺ، وبحملة الحديث، وبالملائكة الكرام، كيف عاقبه الله بهذه العقوبة السريعة الشنيعة، حيث شلت يداه ورجلاه، وما هي من المستهزئين في كل زمان ومكان ببعيد، وما ربك بظلام للعبيد.

قال العلامة ابن القيم(١) -رحمه الله-: ووضع الملائكة أجنحتها تواضعاً -لطالب العلم-، وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له، لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصح خلق الله، وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى.

ومن نفعهم لبني آدم ونصحهم، أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويثنون على مؤمنيهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العبد أضعاف حرصه على مصلحة نفسه، بل يريدون له من خير الدنيا والآخرة ما لا يريده العبد ولا يخطر بباله، كما قال بعض التابعين: وجدنا الملائكة أنصح خلق الله لعباده، ووجدنا الشياطين أغش الخلق للعباد.

قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر:٧- ٩].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٥-٢٥٧).

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء، فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه، حتى تضع أجنحتها له رضاً ومحبة وتعظيماً .

وقال أبو حاتم الرازي: سمعت ابن أبي أويس يقول: سمعت مالك ابن أنس يقول: معنى قول رسول الله ﷺ: «**تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا**» يعني تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلاً من الأيدي.

وفي السنن والمسانيد: من حديث صفوان بن عسال، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَتُظَلِّلُهُ بِأَجْنِحَتِهَا فَيَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى تَعْلُوَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ»[1]. قال أبو عبد الله الحاكم: **إسناده صحيح**.

وقال ابن عبد البر: **هو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع، ومثله لا يقال بالرأي**.

ففي هذا الحديث حف الملائكة له بأجنحتها إلى السماء، وفي الأول وضعها أجنحتها له، فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل،والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة.

فتضمن الحديثان: تعظيم الملائكة له، وحبها إياه، وحياطته، وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً وفضلاً.

قال الخطابي[2] -رحمه الله- : **وفي معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه بسط الأجنحة (حقيقة).

الثاني: أنه بمعنى التواضع تعظيماً لطالب العلم.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٣٤٧) وابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٤١) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٢) وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٩٧) و«صحيح الترغيب والترهيب» (٧١).

(٢) «سنن أبي داود» ومعه «معالم السنن» (٤/ ٥٧-٥٨).

الثالث: أنه المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران.

٤) الفضيحة لمن استهزأ بالنصيحة .

قال الإمام النووي[١] -رحمه الله-: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي -رحمه الله- في كتابه «شرح صحيح مسلم»: قرأت في بعض الحكايات، أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ: «**إِذا اسْتَيْقَظَ أحدكُم من نَومه، فَلَا يغمس يَده فِي الإِناء، حتَّى يغسلهَا، فإنَّه لَا يدْرِي أَيْن باتت يَده**»[٢].

قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم: أنا أدري أين باتت يدي، في الفراش، فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه.

قال التيمي: فليتق المرء الاستخفاف بالسنن، ومواضع التوقيف، فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله.

قال الحافظ العراقي[٣] -رحمه الله-: ينبغي للسامع لأقواله ﷺ أن يتلقاها بالقبول، ودفع الخواطر الرادة لها، وأنه لا يضرب بها الأمثال، **فقد بلغنا أن شخصاً سمع هذا الحديث، فقال: وأين باتت يده منه، فاستيقظ من النوم ويده في داخل دبره محشوة، فلم تخرج حتى تاب عن ذلك وأقلع**، والأدب مع أقواله بعده كالأدب معه في حياته ﷺ لو سمعه يتكلم، فنسأل الله أن يحفظ قلوبنا من الخواطر الرديئة، ويرزقنا الأدب مع الشريعة المطهرة باطناً وظاهراً، والله أعلم.

---

(١) «بستان العارفين» للنووي (ص:٩٣-٩٤)، و«فيض القدير» للمناوي (١/ ٣٥٩-٣٦٠)

(٢) رواه البخاري (١٦٢)، ومسلم (٢٧٨) عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) «طرح التثريب»، في تعليقه على حديث: «إذا استيقظ أحدكم من نومه...».

قلت: قوله ﷺ: «**إِذا اسْتَيْقَظَ أحدكُم من نَومه، فَلَا يغمس يَده فِي الإِناء، حتَّى يغسلهَا، فإنَّه لَا يدْرِي أَيْن باتت يَده**».

فقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث : أن المستيقظ من النوم لا يدخل كفه في الإناء، حتى يغسلها ثلاث مرات، كما جاء في بعض الروايات في صحيح مسلم، ولم يذكر البخاري التثليث، وذلك لأن النائم يده تطيش في جسمه، فلعلها تصيب بعض المستقذرات وهو لا يعلم، فشرع له غسلها للنظافة المشروعة، وجمهور أهل العلم على أن غسل اليد يكون بعد كل نوم من ليل أو نهار لعموم قوله ﷺ: «**من نَومه**».

(٥) الكلب المُعَلَّمْ يقتل من استهزاء بنبينا المُكَلَّم ﷺ[١].

ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الدرر الكامنة[٢]: «أن بعض أمراء المغول تنصر، فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغول، فجعل واحد منهم ينتقص النبي ﷺ، وهناك كلب صيد مربوط، فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه فخلصوه منه، وقال: بعض من حضر هذا بكلامك في محمد ﷺ، فقال: كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أنى أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه، فأطال فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زردمته[٣] فقلعها فمات من حينه».

فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفا من المغول[٤].

---

(١) الأنبياء الذين كلمهم الله ثلاثة:

- موسى عليه الصلاة والسلام، فإذا أطلق التكليم ينصرف إلى موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤].
- آدم عليه الصلاة والسلام، فقد سئل النبي ﷺ عن آدم فقال: «..نبي مكلم... » صححه العلامة الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٦٦٨).
- نبينا محمد ﷺ، في حديث الإسراء والمعراج في «الصحيحين»، وانظر «تفسير ابن كثير» تحت قوله تعالى ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾[البقرة: ٢٥٣].

(٢) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٣/ ٢٠٢-٢٠٣) رقم الترجمة (٢٩١٥).

(٣) الزردمة: موضع الازدرام، وهو الابتلاع. «المحيط في اللغة» (٩/ ١١٩) و«لسان العرب» (١٢/ ٣٠٧).

(٤) المغول: منغوليا دولة تقع في وسط شرقي آسيا بين الصين وروسيا، ومنغوليا وعرة الأراضي، تغطي الهضاب والسلاسل الجبلية أغلب أراضيها، بينما تغطي صحراء جوبي الجزء الجنوبي الشرقي منها.ومنغوليا هي الموطن الأصلي للشعب الآسيوي الذي يطلق عليه **اسم المغول**. ولقد بنى المغول أكبر إمبراطورية في التاريخ خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فاستولوا على المنطقة الممتدّة من شرقي آسيا إلى شرقي أوروبا.=

قلت: الله أكبر ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:١٣].

لقد غارت الكلاب، وغضبت على من سب رسول الله ﷺ واستهزأ به وتنقص من مكانته، وهكذا يحدثنا التاريخ بين الحين والآخر عن هلاك من استهزأ برسول الله ﷺ وقتله شر قتلة، وهذا مصداقٌ لقوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣].

وقوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦].

وقوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال الله عز وجل: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»(١).

=حكمت الصين منغوليا من عام ١٦٨٠م وحتى عام ١٩١١م، وكانت منغوليا تسمّى آنذاك منغوليا الخارجية. أمّا المنطقة الواقعة إلى الجنوب والتي تسمّى منغوليا الدّاخلية فإنّها لا تزال جزءا من الصين.

اتحدت عدة مجموعات من المغول تحت قيادة جنكيزخان في بداية القرن الثاني عشر الميلادي. وقد وسع جنكيزخان وحفيده قبلاي خان الإمبراطورية المغولية من كوريا والصين باتجاه الغرب حتى وصلا إلى أوروبا. وقد انهارت هذه الإمبراطورية في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. وقد أعاد أمراء المغول توحيد منغوليا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وأمروا الناس باعتناق عقيدة اللاما وتعتبر اللاّمِيّة ـ وهي شكل من أشكال البوذية ـ العقيدة الدينية الرئيسية للشعب المنغولي... انظر: «مجلة البحوث الإسلامية» (٨١/ ٨٤٩).

(١) «البخاري» (٦٥٠٢).

الفصل الثالث عشر

الفصل الثالث عشر

سرعة الإصابة لمن نال من الصحابة

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**» رواه البخاري(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» حسن، رواه الطبراني(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» رواه البخاري ومسلم(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»(٤): ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ وطاعة النبي ﷺ في

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢)، وهذا الحديث مما انتقد على الإمام البخاري وقد دافع عنه الحافظ ابن حجر وجاء له بثمانية شواهد، وجزم بأنها تدل بمجموعها على أن له أصلاً وقد أطال النفس في ذلك، وذكر الألباني -رحمه الله- طرقاً وشواهد كثيرة لهذا الحديث وصل بمجموعها إلى صحته، وانظر «الصحيحة» (١٦٤٠).

(٢) الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤٠).

(٣) «البخاري» (٣٦٧٣) و«مسلم» (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

(٤) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ٢٤٧، ٢٨٢، ٢٨٤).

قوله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»...ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.اهـ.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين(١) -رحمه الله-: وفي الحقيقة إن سب الصحابة رضي الله عنهم ليس جرحاً في الصحابة رضي الله عنهم فقط، بل هو قدح في الصحابة، وفي النبي ﷺ، وفي شريعة الله، وفي ذات الله عز وجل.

أما كونه قدحاً في الصحابة، فواضح .

وأما كونه قدحاً في رسول الله ﷺ، فحيث كان أصحابه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق، وفيه قدح في رسول الله ﷺ من وجهٍ آخر، وهو تكذيبه فيما أخبر به من فضائلهم ومناقبهم.

وأما كونه قدحاً في شريعة الله، فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ في نقل الشريعة هم الصحابة، فإذا سقطت عدالتهم، لم يبق ثقة فيما نقلوه من الشريعة .

وأما كونه قدحاً في الله سبحانه وتعالى، فحيث بعث نبيه ﷺ في شرار الخلق، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته!

فانظر ماذا يترتب من الطوام الكبرى على سب الصحابة رضي الله عنهم؟

وقال(٢) -رحمه الله-: **سب الصحابة على ثلاثة أقسام:**

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر، لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٢٨٣-٢٨٤) .

(٢) «مجموع فتاوى» العلامة ابن عثيمين (٥/ ٨٣- ٨٤) .

فإن كفره متعين، لأن مضمون هذه المقالة: أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، **ففي كفره قولان لأهل العلم**، وعلى القول بأنه لا يكفر: يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت، أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم، كالجبن والبخل، **فلا يكفر**، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الصارم المسلول»، ونقل عن أحمد قوله: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب، وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع.

(١) نزول البَلِيَّة بمن قال: إن سعداً لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية.

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: «شكا أهل الكوفة سعداً ـ يعني ابن أبي وقاص ـ إلى عمر بن الخطاب ﷺ فعزله، واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أمّا أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين، وأُخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً، أو رجالاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجلٌ منهم يُقال له أسامة بن قتادة يُكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث، اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياءً وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن» رواه البخاري ومسلم(١).

قال الحافظ -رحمه الله- في «الفتح»(٢): في هذه القصة نفى هذا الرجل عن سعد الفضائل الثلاث، وهي الشجاعة حيث قال: لا ينفر، والعفة حيث قال: لا يقسم،

(١) «البخاري» (٧٥٥)، و«مسلم» (٤٥٣).
(٢) «الفتح» (٢/ ٢٨٠).

والحكمة حيث قال لا يعدل، فهذه الثلاث تتعلق بالنفس والمال، والدين، فقابلها بمثلها: فطول العمر يتعلق بالنفس، وطول الفقر يتعلق بالمال، والوقوع في الفتن يتعلق بالدين، ولما كان في الثنتين الأوليين ما يمكن الاعتذار عنه دون الثالثة، قابلهما بأمرين دنيويين، والثالثة بأمر ديني، وبيان ذلك أن قوله: (**لا ينفر في السَّرية**) يمكن أن يكون حقاً لكن رأى المصلحة في إقامته ليرتب مصالح من يغزو ومن يقيم، أو كان له عذر كما وقع وهو في القادسية، وقوله: (**لا يقسم بالسوية**) يمكن أن يكون حقاً، فإن للإمام تفضيل أهل الغنى في الحرب والقيام بالمصالح، وقوله: (**لا يعدل في القضية**) هو أشدها لأنه سلب عنه العدل مطلقاً، وذلك قدح في الدين، ومن أعجب العجب أن سعداً مع كون هذا الرجل واجهه بهذا وأغضبه حتى دعا عليه في حال غضبه راعى العدل والإنصاف في الدعاء عليه، إذ علقه بشرط أن يكون كاذباً، وأن يكون الحامل له على ذلك الغرض الدنيوي.

وقال العلامة ابن عثيمين(١) -رحمه الله-: هذه من الكرامات التي نقلها المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصاحين، وهي ما رواه جابر بن سمرة في قصة سعد بن أبي وقاص ﷺ، وكان سعد معروفاً بإجابة الدعوة (مستجاب الدعاء) يعني أن الله أعطاه كرامة، وهو أن الله تعالى يجيب دعوته إذا دعا، وقد جعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أميراً على أهل الكوفة، لأن المسلمين لما فتحوا العراق مصروا الأمصار وجعلوا البصرة والكوفة وهما أشهر ما يكون في العراق، ثم إن أمير المؤمنين جعل لهم أمراء، فأمَّر سعد بن أبي وقاص على الكوفة، فشكاه أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، حتى قالوا إنه لا يحسن أن يصلي، وهو صحابي جليل شهد له النبي ﷺ بالجنة، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه، فحضر، وقال له: إن أهل الكوفة شكوك حتى قالوا: إنك لا تحسن تصلي، فأخبره سعد رضي الله عنه أنه كان يصلي

(١) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٥٨-٦٠).

بهم صلاة النبي ﷺ، وذكر صلاة العشاء وكأنها ـ والله أعلم ـ هي التي وقع تعيينها من هؤلاء الشكاة.

فقال: إني لأصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، لا أخرم عنها، يعني لا أدعها، فكنت أطول في العشاء بالأولين، وأقصر في الأخريين، فقال له عمر رضي الله عنه: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، فزكاه عمر.

لأن هذا هو الظن به، أنه يحسن الصلاة، وأنه يصلي بقومه الذين أُمِّرَ عليهم صلاة النبي ﷺ، ولكن مع ذلك تحرى ذلك عمر رضي الله عنه، لأنه يتحمل المسئولية ويعرف قدر المسئولية، أرسل رجالاً إلى أهل الكوفة، يسألونهم عن سعد وعن سيرته، فكان هؤلاء الرجال، لا يدخلون مسجداً ويسألون عن سعد إلا أثنوا عليه معروفًا.

حتى أتى هؤلاء الرجال إلى مسجد بني عبس فسألوهم، فقام رجل فقال: أما إذا ناشدتمونا، فإن هذا الرجل لا يعدل في القضية، ولا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية.

فقوله: (**لا يسير في السرية**)، يعني لا يخرج في الجهاد.

و(**لا يقسم بالسوية**): إذا غنم، و(**لا يعدل في القضية**): إذا حكم بين الناس.

فاتهمه هذه التهم، فهي تهم ثلاث، فقال: أما إن قلت كذا، ـ المتحدث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ ، فلأدعون عليك بثلاث دعوات، دعا عليه: أن يطيل الله تعالى عمره، وفقره، ويعرضه للفتن، نسأل الله العافية، ثلاث دعوات عظيمة، لكنه رضي الله عنه استثنى، قال: إن كان عبدك هذا قام رياء وسمعة، يعني لا بحق، فأجاب الله دعاءه، فكان هذا الرجل طويل العمر، عُمِّرَ طويلاً، وشاخ حتى إن حاجبيه سقطت على عينيه من الكبر، وكان فقيراً وعرض للفتن، حتى وهو في هذه الحال وهو كبير إلى هذا الحد كان يتعرض للجواري، يتعرض لهن في الأسواق ليغمزهن والعياذ بالله، وكان يقول عن نفسه **شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد**. فهذه من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) الجمل الغاضب يقتل من سب علي بن أبي طالب ﷺ.

عن مصعب بن سعد عن سعد، أن رجلاً نال من علي ﷺ، فدعا عليه سعد بن أبي وقاص: «فجاءته ناقة، أو جمل فقتله، فأعتق سعدٌ نسمة، وحلف أن لا يدعو على أحد». رواه الحاكم وابن أبي شيبه[١].

وفي رواية[٢] أخرى عند الحاكم من حديث قيس بن أبي حازم، قال: «كنت في المدينة ، فبينا أنا أطوف في السوق، إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب، والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليهم، فقال: يا هذا علام تشتم علي بن أبي طالب، ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن ختْن رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه، قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات».

والحديث حسن بمجموع طرقه.

---

(١) «المستدرك» (٦١٩٦)، و«المصنف» (٧/ ٥٠٨).

(٢) «المستدرك» (٦١٩٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر «فضائل الصحابة» للعدوي (ص:١٦١).

(٣) الحية السريعة تدافع عن حملة الشريعة.

قال الحافظ أبو سعيد السمعاني: سمعت أبا المعمر المبارك بن أحمد، سمعت أبا القاسم يوسف بن علي الزنجاني الفقيه، سمعت الفقيه أبا إسحاق الفيروز أبادي، سمعت القاضي أبا الطيب يقول: «**كنا في مجلس النظر بجامع المنصور فجاء شاب خراساني فسأل عن مسألة المُصَرَّاة**[(١)]**، فطالب بالدليل، حتى اسْتُدِلَّ بحديث أبي هريرة ﷺ الوارد فيها، فقال: وكان حنفياً**[(٢)]**: أبو هريرة غير مقبول الحديث، فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها وهرب الشاب منها وهي تتبعه، فقيل: له تب تب، فقال: تبت فغابت الحية ، فلم ير لها أثر**» .

قال الذهبي -رحمه الله-: إسنادها أئمة[(٣)].

وقال ابن الصلاح-رحمه الله- في «الرحلة»: هذا إسناد ثابت، فيه ثلاثة من صالحي أئمة المسلمين: القاضي أبو الطيب الطبري، وتلميذه أبو إسحاق، وتلميذه أبو القاسم الزنجاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٤)]-رحمه الله-:

وفي المسألة حكاية ثانية ذكرها أبو سعيد السمعاني عن الشيخ العارف يوسف الهمداني، عن الشيخ الفقيه أبي إسحاق الشيرازي، عن القاضي أبي الطيب الطبري، قال: كنا جلوساً بالجامع ببغداد، فجاء خراساني سألنا عن المصراة. فأجبناه فيها، واحتججنا بحديث أبي هريرة، فطعن في أبي هريرة، **فوقعت حية من السقف، وجاءت حتى دخلت الحلقة، وذهبت إلى ذلك الأعجمي فضربته فقتلته.**

---

(١) المُصَرَّاة: هي التي تُربط أخلافها، أي: ثديها وضرعها ليجتمع لبنها لغش المشتري والتدليس عليه. قال الإمام البخاري-رحمه الله-: أصل التصرية حبس اللبن في الضرع لذوات الضلف.اهـ. والأصل في هذه المسألة حديث أبي هريرة ﷺ في «الصحيحين»: أن النبيﷺ قال: «...لا تصروا الإبل والغنم...» «البخاري» (٢١٤٨)، و«مسلم» (١٥١٥).

(٢) مذهب الحنفية في (المُصَرَّاة) أنه إذا اشتراها فحلبها فوجدها قليلة اللبن ليس له أن يردها عندهم. كما في كتبهم. خلافاً للأئمة.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦١٨-٦١٩).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥٣٨-٥٣٩)، والقصة ذكرها السخاوي في «فتح المغيث»، باب معرفة الصحابة (٤/ ١٠١-١٠٢) و ابن الجوزي في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٩/ ١٥٥).

الفصل الرابع عشر

الفصل الرابع عشر

تعجيل العقوبة للظالم إن لم يتب ويرد المظالم

قال تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم:٤٢].

وقال تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بابانِ مَعَجَّلانِ عُقُوبَتُهما فِي الدُّنْيا: البَغْيُ والعُقُوقُ**» صحيح، رواه الحاكم[1] وغيره.

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» صحيح، رواه الطبراني في «الكبير» عن خزيمة بن ثابت ﷺ[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقوا الظُّلم؛ فَإِنَّ الظُّلم ظلماتٌ يَوْمِ الْقِيَامَة...**» رواه مسلم[3].

---

(١) «المستدرك» (٧٤٢٨)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١١٢٠)، وشيخنا مقبل الوادعي في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٥/ ٦٠) رقم (٣٢٩٤).

(٢) الطبراني (٣٧١٨)، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ١٨٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحه» (٨٧٠)، و«صحيح الجامع» (١١٧).

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» **ثم قرأ** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] متفق عليه[١].

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**» رواه مسلم[٢].

---

(٣) «مسلم» (٢٥٧٨).

(١) «البخاري» (٤٦٨٦)، و«مسلم» (٢٥٨٣).

(٢) «مسلم» (٢٥٧٧).

(١) امرأة قتلها ظلمها.

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الْأَرْضِ ظُلْماً، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: «اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَاعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا»، قَالَ: «فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ» متفق عليه[١].

قلت: انظر ـ رحمني الله وإياك ـ: إلى العقوبة السريعة، لمن خالفت الشريعة، فأصبحت في أرضها صريعة، حيث إنها ادعت على سعيد بن زيد ظلماً وزوراً أنه أخذ أرضها، كيف أن الله استجاب له فيها، وأنه رآها كما في صحيح مسلم عمياء، تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد، وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها فكانت قبرها.

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين[٢] ـ رحمه الله ـ: وهذا الحديث يتناول نوعاً من أنواع الظلم: وهو الظلم في الأراضي، وهو من أكبر الكبائر، لأن النبي ﷺ لعن من غيَّر منار الأرض، كما في «صحيح مسلم» عن علي رضي الله عنه[٣].

قال أهل العلم: منار الأرض حدودها، لأنه مأخوذ من (المنور) وهو العلامة، فإذا غيَّر الإنسان بأن أدخل شيئاً من هذه الأرض إلى أرضه، أو إلى أرض غيره،

---

(١) «البخاري» (٣١٩٨)، و«مسلم» (١٦١٠) واللفظ له.

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٧٥٢-٧٥٣) بتصرف.

(٣) «مسلم» (١٩٧٨).

فإنه ملعون على لسان نبينا محمد ﷺ، واللعن معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

العقوبة الثانية في هذا الحديث: أنه إذا ظلم قيد شبر طوقه يوم القيامة من سبع أرضين، أي: يجعل له طوقاً في عنقه والعياذ بالله، يحمله أمام العالم، ياله من منظر يُخزى به صاحبه يوم القيامة.

فاحذر الظلم يا أخي في الأراضي وفي غيرها، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة،

واعلم أن دعوة المظلوم مستجابة، وأنه ليس بينها وبين الله حجاب، وأنها تحمل على الغمام ويقول الله لها: «**وَعِزَّتِي وَجَلالِي؛ لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[١].

فعلى الإنسان أن لا يغتر بنفسه، ولا بإملاء الله له، فإن ذلك مصيبة فوق مصيبته، لأن الإنسان إذا عوقب بالظلم عاجلاً، فربما يتذكر ويتعظ ويدع الظلم، لكن إذا أُملي له واكتسب آثاماً أو ازداد ظلماً، ازدادت عقوبته، والعياذ بالله، فيؤخذ على غرة، حتى إذا أخذه الله لم يفلته، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الاعتبار بآياته، وأن يعيذنا وإياكم من ظلم أنفسنا ومن ظلم غيرنا، إنه جواد كريم.اهـ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) من لا يَرحم لا يُرحم[١].

كان محمد بن عبد الملك الزيات من العصبة التي كان لها يد في سجن علماء الأمة وتعذيبهم، وعلى رأسهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

روى الطبري في «تاريخ»[٢]: أن محمد بن عبد الملك الزيات أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد قيام، فذكر عن ابن أبي دؤاد وأبي الوزير، أنهما قالا: هو أول من أمر بعمل ذلك، وعذب به ابن أسباط المصري حتى استخرج منه جميع ما عنده، ثم ابتلي الزيات بهذا التنور فعذب به أياماً.

قال الذهبي في ترجمته: وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحداً قط، الرحمة خور في الطبع، **فسجن في قفص حرج، جهاته مسامير كالمسال فكان يصيح ارحموني، فيقولون الرحمة خور في الطبيعة**[٣].

قلت: والجزاء من جنس العمل، ومن لا يرحم لا يرحم، ويداك أوكتا وفوك نفخ، أنت الجاني فعلام الصرخ.

---

(١) قطعة من حديث: «من لا يرحم لا يرحم، ومن لا يغفر لا يغفر له، ومن لا يتب لا يتب عليه» صحيح، رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢٩٩)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٤٨٣)، والجملة الأولى من الحديث أخرجها «البخاري» (٥٩٩٧)، و«مسلم» (٢٣١٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٩/ ٢٦١-٢٦٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٢- ١٧٣)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٣) عقوبة رب العباد للظالم المبتدع أحمد بن أبي دؤاد:

أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، المعتزلي قاضي المعتصم، الذي جر البلاد والعباد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه أهين علماء الأمة، وحملة السنة، فعُذِبوا، وسُجِنوا، وقُتِلوا، وشُرِدوا، تكلم في الإمام المبجل أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وعاب معتقده، وتسبب في سجنه، فعذب بالسياط، حتى تشقق جلده وسالت منه الدماء.

وبسببه قتل العالم الكبير أحمد بن نصر الخزاعي، وجر على المسلمين الويلات، وأدخلهم في محنة عظيمة.

دعا الإمام المبجل أحمد بن حنبل على أحمد بن أبي دؤاد، رأس الفتنة، فحبسه الله في جسده كما حُبس الإمام أحمد في السجن.

فدخل عليه وعاده عبد العزيز الكناني، فقال له: لم آتك عائداً، بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك، ودخل عليه آخر فقال: والله ما جئتك عائداً، وإنما جئتك لأعزيك في نفسك، وأحمد الله الذي سجنك في جسدك، الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ابتلاه الله بالفالج «الشلل» قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحاً في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده، وحُرِم لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك.

جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس به.

ولما مات أحمد بن أبي دؤاد لم يهتم بموته أحد ولم يُلتفت إليه، وما شيعه إلا قليل من زبانية السلطان، جزاء وفاقاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٣].

وصدق الإمام أحمد بن حنبل حين قال: «**بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز**».

ولما مات إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ، كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ المسلمين في ذلك الحين[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٠-١٧١، ٣٤٠) و«البداية والنهاية» (١٤/ ٣٧٠-٣٧١) بتصرف.

(٤) الذُّل والهوان لابن العلقمي الرافضي الخوَّان الذي تسبب في قتل المسلمين وسقوط دولة الإسلام.

كثير من الناس يعلم دور ابن العلقمي، الوزير الرافضي الخبيث في دخول التتار إلى بغداد، وتسهيل الطريق لهم، مما تسبب في سقوط الخلافة العباسية، سنه ست وخمسين وستمائة، وقد نقل لنا الإمام الذهبي[١]، والحافظ ابن كثير وغيرهما من المؤرخين تفصيل دور ابن العلقمي ـ لعنه الله ـ في تلك المقتلة الكبيرة، التي حدثت في بغداد على يد هولاكو.

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ : محمد بن محمد بن عليّ بن أبي طالب، الوزير الكبير، الخنزير، المدبر، المبير[٢]، مؤيد الدين ابن العلقمي، البغدادي، الشيعي، الرافضي، وزير الخليفة الإمام المستعصم بالله.

ولي وزارة العراق أربعة عشر سنة، فأظهر الرفض فعارضته السنة، وأُكبت فتنمر، وكان في قلبه غل على الإسلام وأهله، فأخذ يكاتب هولاكو ويقوى عزمه على المجيء، ويتخذ عنده يداً ليتمكن من أغراضه الملعونة، وحفر للأمة قليباً فأوقع فيه قريباً، وندم حيث لا ينفع الندم، **وذاق الهوان** وبقي يركب كديشاً[٣] وحده، بعد أن كانت رَكْبَتَه تضاهي موكب السلطان.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٧/ ٣٥٦-٣٦١، ٣٧٩-٣٨٠)، «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٨٤١-٨٤٢) رقم الترجمة (٣١٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٦١-٣٦٢)، «العبر في خبر من غبر» (٣/ ٢٧٧-٢٨٤،٢٧٨)، «شذرات الذهب» (٥/ ٤٠٣-٤٠٥).

(٢) **المبير**: الظالم المهلك، كما جاء في حديث أسماء في «مسلم» (٢٥٤٥) وغيره، أنها قالت: أن النبي ﷺ قال: «**إن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه**...»، قال النووي في «شرح مسلم» (١٥، ١٦/ ٣٣٤): واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المحتار بن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف. والله أعلم.

(٣) الكديش: الفرس غير الأصيل. «المعجم الوسيط» (٢/ ٢٧٩).

ثم مرض ولم تطل مدته، **ومات غبناً وغماً بعد الكائنة بثلاثة أشهر، فواغبناه كونه مات موتاً حتف أنفه، وما ذاك إلا ليدخر له النكال في الآخرة.**

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ولما وصل هولاكو والتتار إلى مشارف بغداد كان ابن العلقمي أول من برز إلى التتار، وخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بهولاكو ـ لعنه الله ـ، ثم عاد وأشار على الخليفة بالخروج إليه، والمثول بين يديه، لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة، وكان قدوم هولاكو لبغداد في هذه السنة، ومعه نحو من مائتي ألف مقاتل.

فخرج الخليفة إلى هولاكو في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل هولاكو خان حُجِبُوا عن الخليفة، إلا سبع عشرة نفساً، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم، ونُهبت وقُتلوا عن آخرهم، وأُحضر الخليفة بين يدي هولاكو، فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال: إنه اضطرب من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد الخليفة إلى بغداد وفي صحبته نصير الدين الطوسي(١)، والوزير ابن العلقمي،

---

(١) نصير الدين الطوسي هذا كان معاصراً للوزير ابن العلقمي، وكان شيعيًّا رافضيّاً خبيثاً مثله، تعددت خياناته؛ فكانت ما بين إعانة على قتل أهل السنة وأخذ أموالهم والقضاء على تراثهم الفكري.

قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٨٧): ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفا نفسه من أتباع الرسول الكريم ﷺ وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وليس فوق العرش إله يعبد ألبته، واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحرًا يعبد الأصنام،

والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخليفة الشيء الكثير من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار هؤلاء الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو ألا يصالح الخليفة، وقال الوزير بن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى هولاكو أمر بقتله، وقيل: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الدين الطوسي، فلما قدم تهيب هولاكو من قتل الخليفة، وهون عليه ابن العلقمي ذلك فقتلوه رفساً ـ بالأقدام ـ، وهو في جوالق[1] لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، وقيل: بل خنق، وقيل: بل أغرق، وقتل معه ولده الأكبر أحمد، وولده عبد الرحمن، وأسر ولده الأصغر، وأسرت أخواته الثلاث، فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر، وقتل أستاذ الخلافة محي الدين يوسف وأولاده الثلاثة، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة.

ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه، من الرجال والنساء والوالدان والمشايخ والكهول والشبان، وسادات العلماء، والقضاة والأكابر، والرؤساء والأمراء، وأولي العقد والحل، ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار، إما بالكسر، وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري

---

(١) الجوالق : وعاء من صوف، أو شعر أوغيرهما، كالغرارة، وهي وعاء من الخيش ونحوه، يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق. «المعجم الوسيط» :(١/ ١٤٨) ، (٢/ ٦٤٨). وإنما وضعوه في الجوالق لأنه كان من معتقدهم أن الخليفة أو الملك إذا سقط دمه على الأرض يؤخذ بثأره.

الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم، وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع، وذلة وقلة، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتيين والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشا(١) للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء.

وقد اختلف الناس في عدد من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت

(١) حوشكاش: مطاوعاً ومحرضاً التتار على المسلمين. «المعجم الوسيط» (١/ ٢١٤).

المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه، أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون عِلمهم وعَلَمَهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده فاجتمعا ـ والله أعلم ـ بالدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى الأمر المقدر، وانقضت الأربعون يوماً، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء، والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان، خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير(١)، والقنى(٢)، والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى، بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

---

(١) يقال: خَبَأَهُ في المَطْمُورَة، وهي: الحَفِيرَةُ تَحْتَ الأَرْضِ ، يُوسَّع أَسافِلُهَا ، تُخْبَأُ فيها الحُبُوب ، والجمعُ المَطَامِيرُ . «تاج العروس من جواهر القاموس» (١٢/ ٤٣٣).

(٢) !القَناةُ: « كظيمَةٌ تُحْفَرُ في الأرضِ » تجْرِي بها المِياهُ، وهي الآبارُ التي تُحْفَرُ في الأرضِ مُتَتابِعَةً ليُسْتَخْرَجُ مَاؤُها وَيَسِيح على وَجْهِ الأرضِ . « تاج العروس من جواهر القاموس» (٣٩/ ٣٤٨).

وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو خان عن بغداد في جمادي الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر فوض إليه الشحنكية[١] بها، وإلى الوزير بن العلقمي، فلم يمهله الله ولا أهمله بل أخذه أخذ عزيز مقتدر، في مستهل جمادي الآخرة عن ثلاث وستين سنة، وكان عنده فضيلة في الإنشاء، ولديه فضيلة في الأدب، ولكنه كان شيعياً جلداً، رافضياً خبيثاً، فمات جهداً وغماً وحزناً وندماً إلى حيث ألقت رحلها أم قشعمِ، فولي بعده الوزارة ولده عز الدين ابن الفضل محمد، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام، ولله الحمد والمنة.

ثم قال الحافظ ابن كثير: محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب، الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمي، وزير المستعصم البغدادي، وخدمه في زمان المستنصر، أستاذ دار الخلافة مدة طويلة، ثم صار وزير المستعصم، وزير سوء على نفسه، وعلى الخليفة، وعلى المسلمين، مع أنه من الفضلاء في الإنشاء والأدب، وكان رافضياً خبيثاً، رديء الطوية على الإسلام وأهله، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء، ثم مالأ على الإسلام وأهله الكفار هولاكو خان، حتى فعل ما فعل بالإسلام وأهله مما تقدم ذكره، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار الذين مالأهم، وزال عنه ستر الله، وذاق الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان، وهو راكب في أيام التتار برذوناً وهو مرسم عليه، وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه، وقالت له: يا ابن العلقمي

(١) **الشحنة**: أو الشحنكية: كلمة تركية تعني قائد الحامية أو الحاكم الإداري للمدينة المسؤول عن الأمن والنظام فيها؛ يعين من قِبل السلطان ويعمل بإمرته رجال الشرطة أو الحامية ويقوم بملاحقة اللصوص والخارجين عن القانون. السيرة الزنكية (١/ ٣٩٣).

هكذا كان بنو العباس يعاملونك، فوقعت كلمتها في قلبه، وانقطع في داره إلى أن مات كمداً وغبينة وضيق وقلة وذلة في مستهل جمادي الآخرة من هذه السنة، وله من العمر ثلاث وستون سنة، ودفن في قبور الروافض، وقد سمع بأذنيه، ورأى بعينيه من الإهانة من التتار والمسلمين مالا يحسد ولا يوصف، وتولى بعده ولده الخبيث الوزارة، ثم أخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة سريعاً، وقد هجاه بعض الشعراء فقال فيه:

يا فرقة الإسلام نوحوا واندبوا أسفا على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

الفصل الخامس عشر

الفصل الخامس عشر

الكذب هلاك لصاحبه

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٠٥].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الجاثية:٧].

وقال تعالى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» متفق عليه(١).

وفي الصحيحين(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً**» ـ وذكر منها ـ «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**».

---

(١) «البخاري» (٦٠٩٤)، «مسلم» (٢٦٠٧).

(٢) «البخاري» (٣٤)، «مسلم» (١٠٦).

(١) مبتدع جحد القدر[١] فأذله الله وقهر.

قال الله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]. ﷺ

روى الآجري وغيره بإسناد حسن[١]، **عن** عمرو بن مهاجر، قال: بلغ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أن غيلان القدري[٣] يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أياماً، ثم أدخله عليه، فقال: يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه ألا يقول شيئاً. قال فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يقول ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان:١ – ٣].

قال عمر: اقرأ إلى أخر السورة ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان:٣٠ – ٣١]

ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال أقول: قد كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالاً فهديتني، فقال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقاً وإلا

---

(١) قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله ـ في «شرح لمعة الاعتقاد» (ص:١٦٢):
القدرية:هم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني، في أواخر عصر الصحابة، تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.
وهم فرقتان: غلاة، وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا. وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذي استقر عليه مذهبهم.اهـ.

(١) الآجري في «الشريعة» (٢/ ٩١٩-٩٢٢) رقم(٥١٦،٥١٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٤٨) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٢٠٨)وذكرها الشاطبي في «الاعتصام»(١/ ٨٥-٨٦) ، وأبو عبد الله الداني في «سلسلة الآثار الصحيحة» أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين» (٣٦).

(٣) غيلان بن أبي غيلان أبو مروان مولى عثمان بن عفان القرشي، كما في «تاريخ البخاري الكبير» رقم (٧/ ٤٥٧)، وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٣٨) رقم (٦٦٧٨) غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر، ضال مسكين.

فاصلبه، قال: فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب في دمشق، فلما مات عمر بن عبد العزيز وأفضت الخلافة إلى هشام تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده، فقال: يا غيلان هذا قضاء وقدر.

قال: كذبت لعمر الله، ما هذا قضاء ولا قدر، فبعث إليه هشام فصلب.

وعند اللالكائي(١): أن هشام بن عبد الملك بلغه أن رجلاً قد ظهر يقول بالقدر، وقد أغوى خلقاً كثيراً، فبعث إليه هشام فأحضره، فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟

قال: وما هو؟

قال: تقول إن الله لم يقدر على خلق الشر!

قال: بذلك أقول، فأحضر من شئت يحاجني فيه، فإن غلبته بالحجة والبيان علمت أني على الحق، وإن هو غلبني بالحجة فاضرب عنقي.

قال: فبعث هشام إلى الأوزاعي فأحضره لمناظرته.

فقال له الأوزاعي: إن شئت سألتك عن واحدة، وإن شئت عن ثلاث، وإن شئت عن أربع.

فقال: سل عما بدا لك.

قال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز و جل، هل تعلم أنه قضى على ما نهى؟

قال: ليس عندي في هذا شيء.

فقلت: يا أمير المؤمنين هذه واحدة.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٧٨٨-٧٩٦).

ثم قلت له: أخبرني هل تعلم أن الله حال دون ما أمر؟

قال: هذه أشد من الأولى.

فقلت: يا أمير المؤمنين هذه اثنتان.

ثم قلت له: هل تعلم أن الله أعان على ما حرم.

قال: هذه أشد من الأولى والثانية.

فقلت: يا أمير المؤمنين هذه ثلاث قد حل بها ضرب عنقه، فأمر به هشام فضربت عنقه.

ثم قال للأوزاعي: يا أبا عمرو فسر لنا هذه المسائل؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، سألته هل يعلم أن الله قضى على ما نهى؟ نهى آدم عن أكل الشجرة، ثم قضى عليه فأكلها.

وسألته: هل يعلم أن الله قضى حال دون ما أمر؟

أمر إبليس بالسجود لآدم، ثم حال بينه وبين السجود.

وسألته: هل يعلم أن الله أعان على ما حرم؟

حرم الميتة والدم، ثم أعاننا على أكله في وقت الاضطرار إليه.

قال هشام: والرابعة ما هي يا أبا عمرو؟

قال: كنت أقول مشيئتك مع الله أم دون الله؟

فإن قال: مع الله، فقد اتخذ الله شريكاً، أو قال دون الله فقد انفرد بالربوبية، فأيهما أجابني فقد حل ضرب عنقه بها.

قال هشام: حياة الخلق وقوام الدين بالعلماء.

قلت: صدق الإمام الشافعي حين قال: «**ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أقروا به خصموا**».

فهذا غيلان بن أبي غيلان القدري الذي ظهر في أواخر أيام الصحابة، وكان قبل ذلك مملوكاً فأعتقه عثمان بن عفان ﷺ، ثم أزاغ الله قلبه عن السُّنَّة، فصار قدرياً يقول: الأعمال التي نعملها نحن نخلقها بمشيئتنا لا بمشيئة الله، ـ يعني أن الله لم يخلق أفعال العباد ـ وأصبح يوسوس بهذه العقيدة، وبهذه الفكرة الخبيثة، فأصبح شره كبير وخطره مستطير، وفي أيام عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ عند نهاية المائة الأولى بلغ أمره وخبره إلى عمر بن العزيز، فطلبه وقال له: بلغني يا غيلان أنك تتكلم في القدر فقال: يا أمير المؤمنين يكذبون عليَّ، فلهيبة عمر بن عبد العزيز خاف وما تجرأ أن يقول نعم أنا قلت كذا وكذا، بل قال: يكذبون عليَّ يا أمير المؤمنين.

فما اطمئن قلب عمر بن عبد العزيز لكلامه هذا، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز، وقال في دعائه: إن كان في قلبك خلاف ما تقول بلسانك، أسأل الله أن يذيقك حر السيف ـ يعني دعا عليه أن يقتل بالسيف ـ، فلم يتكلم غيلان القدري في هذا الأمر حتى مات عمر بن عبد العزيز، ثم جاء بعده خليفة آخر وهو هشام ابن عبد الملك، فعاد غيلان القدري فتكلم في القدر، فبلغ هشام بن عبد الملك ذلك فطلبه إليه، وقال له: أنت تتكلم في القدر يا غيلان؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن شئت اجمعني بشخص يناظرني، فأرسل هشام بن عبد الملك للإمام الأوزاعي، فاجتمعا عند الخليفة، الأوزاعي من علماء السنة، وغيلان القدري المبتدع، فحطمه الأوزاعي، وأفحمه بالعلم والحجة والبرهان.

ثم قال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين هذا كافر ورب الكعبة فاقتله، فأمر الخليفة هشام بن عبد الملك بقطع يديه ورجليه، ثم بقطع رأسه، وعلقه بباب دمشق.
فقال: غيلان حين قدم للقتل: أدركتني دعوة العبد الصالح عمر بن عبد العزيز.

(٢) مؤسس الجهمية ذبح يوم العيد كالأضحية.

عن عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب، فلما فرغ من خطبته ـ وذلك يوم النحر ـ قال: ارجعوا فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله عز وجل لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، **ثم نزل فذبحه**(١).

قلت: انظر أخي المسلم الكريم إلى الجعد بن درهم، مؤسس الجهمية، كيف افترى على الله الكذب، فقال: إن الله عز وجل لم يتخذ إبراهيم خليلاً، والله يقول ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥].

وقال لم يكلم الله موسى تكليماً،والله يقول ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

---

(١) القصة أخرجها البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص:١٩) رقم (٣) وفي «تاريخه» (٣/ ١٨٥) رقم (٥٤٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (١٣) و (٣٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» رقم (٢٠٨٨٧) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١١٢) وابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٢٥٥)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١١١٢) رقم (٦٩٤) والخلال في «السنة» (٥/ ٨٨) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤١٨) رقم الترجمة (٦٨٢٤) وذكرها ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٤٤) وتلميذه ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٧١) وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣/ ١٩٩) أحداث سنة (١٢٦)، والذهبي في «العلو» رقم (١١٦) و«السير» (٥/ ٤٣٢) والحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٥٨) وغيرهم كثير، وجميع هؤلاء يحكونها في كتبهم مقرين ومحتجين بها على أهل البدع بلا نكير، وقد حسنها العلامة الألباني في «مختصر العلو» (ص:١٣٣). وهناك رد مفصل على من ضعف هذه القصة للشيخ محمد خليفة التميمي في كتابه: «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» تقع في ثمانية عشر صفحة تقريباً.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين[١] ـ رحمه الله ـ: أول من تكلم بالتعطيل الجعد بن درهم، فقال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً.

فقتله خالد بن عبد الله القسري، الذي كان والياً على العراق لهشام بن عبدالملك، خرج به إلى مصلى العيد بوثاقه، ثم خطب الناس وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد ابن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل وذبحه وذلك في عيد الأضحى سنة (١١٩هـ).

وفي ذلك يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النونية:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال: إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

ثم أخذها عن الجعد رجل يقال له: الجهم بن صفوان، وهو الذي ينسب إليه مذهب الجهمية المعطلة، لأنه نشره، فقتله سالم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار، وذلك في مرو سنة (١٢٨هـ).

قال بعض العلماء[٢]: أول من حُفظ عنه في الإسلام مقالة التعطيل هو الجعد بن درهم.

والتعطيل: إنما هو في كلمتين، قال: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، لكن هاتين الصفتين ترجع إليهم جميع الصفات، قال: إن الله لم

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين»، «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» (٤/ ٦٦-٦٧) و«شرح القصيدة النونية» لابن القيم (١/ ٢٠١).

(٢) «شرح كتاب الرد على الجهمية والزنادقة» (ص:١٧) عبد العزيز الراجحي.

يتخذ إبراهيم خليلاً، أنكر الخلة والمحبة، وقال: ليس هناك خلة، ليس هناك محبة، لأنه لا نسبة، لأن المحبة لابد أن تكون هناك نسبة بين المحب والمحبوب، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق، معناه: قطع الصلة بين العباد وبين ربهم، وأنكر أن يكون الله كلم موسى تكليماً، أنكر التكليم، وإنكاره التكليم معناه إنكار للرسالات والشرائع.

الرسالات والشرائع بالكلام، الله تعالى تكلم، أرسل الرسل وأنزل الكتب بالكلام، فإنكار الكلام إنكار للرسائل، إنكار للرسالات والشرائع.

فلهذا أفتى العلماء ـ وهم من التابعين ـ بقتل هذا الرجل، وأنه يستحق القتل والإعدام، فقتله خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق والمشرق بواسط، لما أفتاه علماء أهل زمانه ـ وهم من التابعين ـ أفتوا باستحقاقه القتل، قتله، وذلك في يوم عيد الأضحى، بعدما صلى العيد صعد المنبر وخطب الناس، وقال في آخر الخطبة ـ وكان الجعد بن درهم عنده في أصل المنبر مقيداً ـ: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه ذبح الشاة، شكره العلماء وأثنوا عليه.

من ذلك العلامة ابن القيم في «الكافية الشافية» قال:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ ... ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال: إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني

ثم قال:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

ولا شك أن أهل السنة شكروه بهذا، ولا شك أن هذه الأضحية يعدل أجرها كثيراً من الضحايا، لأن في هذا قطع لدابر الفتنة والشر والفساد، فهي أفضل من الأضحية. الأضحية سُنَّة الرسول ﷺ، ولكن هذا قطع لدابر الفتنة والبدعة والضلالة.

لكن الجهم بن صفوان كان قد اتصل به قبل أن يُقتل، اتصل به هذا الرجل ـ الجهم بن صفوان ـ فتقلد عنه هذه المقالة، وتبنى عقيدة نفي الصفات، ونشرها ودافع عنها حتى نسبت المقالة إلى الجهمية، فقيل: الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان، وإلا الأصل أن أول من تكلم: الجعد بن درهم، الأصل أن يقال: الجعدية، لكن الجعد قتل في أول إظهارٍ لهذه البدعة، قبل أن تنتشر، ثم نشرها الجهم بن صفوان.

(٣) يداك أوكتا وفوك نفخ أنت الجاني فعلامَ الصَّرخ [١]!

ذكر الذهبي في «السير»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»[٢] عن هشام ابن حسَّان قال : قص رجل على ابن سيرين فقال: رأيت كأن بيدي قدحاً من زجاج فيه ماء، فانكسر القدح فبقى الماء، فقال له: اتق الله، فإنك لم تر شيئاً، فقال: سبحان الله، قال ابن سيرين: فمن كذب فما عليَّ ستلد امرأتك، وتموت ويبقى ولدها، فلما خرج الرجل قال: والله ما رأيت شيئاً قال وقد عبرها، قال هشام: فما لبث الرجل غير كثير، حتى ولدت امرأته غلاماً وماتت وبقي الغلام.

قلت: انظر ـ وفقني الله وإياك ـ إلى هذا الرجل الذي ادعى رؤية ما لم يرَ، وهذا من أفرى الفرى، كما نص عليه المصطفى ﷺ، فوقع له ما ادعى فخسر أهله بما جنى، ومن تحلَّمَ بحلم لم يره، فقد وقع في أعظم الفرى، وإنَّما كان من أعظم الفرى، لأن ما يراه النائم إنما يراه بإراءة الملك، والكذب عليه كذب على الله.

وفي البخاري[٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ...**» الحديث.

قال الطبراني[٤]: إنما اشتد الوعيد على الكذب في المنام مع أن الكذب في اليقظة أشد مفسدة منه، إذ قد يكون شهادة في قتل أحد، أو أخذ مال: قال: لأن الكذب

---

(١) يداك أوْكَتا، وفُوك نفخ، الوِكاء : رباط القربة الذي يشد به رأسها. وأصل هذا المثل: أن رجلاً كان في جزيرة من جزر البحر، فأراد أن يعبر فنفخ في قربة ثم ربطها، حتى إذا توسط البحر انفتح الوكاء أي الرباط ، وخرج منها الريح فغرق، فلما غشيه الموت استغاث برجل على الساحل فقال له: (يداك أوكتا وفوك نفخ...) وهذا المثل يضرب لمن يجني على نفسه شراً.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦١٧) و«تاريخ دمشق» (٥٣/ ٢٣٢).

(٣) «البخاري» (٧٠٤٢).

في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، وإنما كان الكذب في المنام كذباً على الله لحديث «**الرؤيا جزء من النبوة**»، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله.

وأذكر هنا بالمناسبة نصيحة ثمينة لأصحاب الرؤى والأحلام، للعلامة محمد بن صالح العثيمين(١) ـ رحمه الله ـ **في شرحه لحديث: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ...»**.

قال ـ رحمه الله ـ: يعني من كذب في الرؤيا، قال: رأيت في المنام كذا وكذا وهو كاذب، فإنه يوم القيامة مكلف أن يعقد بين شعيرتين، والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع، ولكن لا يزال يعذب، ويقال: لابد أن تعقد بينهما، وهذا وعيد يدل على أن التحلم بحلم لم يره الإنسان **من كبائر الذنوب**، وهذا يقع من بعض السفهاء، يتحدث ويقول: رأيت البارحة كذا وكذا، لأجل أن يضحك الناس، وهذا حرام عليه، وأشد من ذلك أن يقول: رأيت النبي ﷺ، وقال لي كذا وكذا، وما أشبه ذلك، فإنه أشد وأشد، لأنه كذب على رسول الله ﷺ، أما من تحلم بحلم رآه فهذا لا بأس به، ولكن ينبغي للإنسان أن يعلم أن ما يراه الإنسان في منامه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم: يكون خيراً، ويستبشر به الإنسان، ويفرح به الإنسان، فهذا لا يحدث به إلا من يحب، لأن الإنسان له حساد كثيرون، فإذا رأى رؤيا حسنة وحدث بها من لا يحب فإنه ربما يكيد له كيدًا، يحول بينه وبين هذا الخير الذي رآه، كما فعل إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام، فإن يوسف بن يعقوب عليه الصلاة والسلام

---

(٤) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤٧) و«دليل الفالحين شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣٢٨) .
(١) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٢٤-١٢٦) حديث رقم (١٥٤٤).

وعلى أبيه، قال لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤].

يعني رأيت هؤلاء أحد عشر كوكباً، يعني: نجوماً، والشمس والقمر كلها تسجد لي، فقال له ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف:٥].

فلا تخبر إنسانًا ليس من أحبائك وأصدقائك الذين لا يودون لك ما يودون لأنفسهم، لا تخبرهم بما ترى من رؤيا الخير.

القسم الثاني: **رؤيا شر**، هذا القسم الثاني مما يراه الإنسان في المنام، رؤيا شر تزعج وتخوف، هذا لا تخبر به أحداً أبداً لا صديقك ولا عدوك، وإذا قمت من منامك فاتفل عن يسارك ثلاثًا، وقل: أعوذ بالله من شر الشيطان، ومن شر ما رأيت. وإن كنت تريد أن تواصل النوم فنم على الجنب الآخر، يعني: لا على الجنب الذي رأيت فيه ما تكره، فإنها لا تضر.

فمن رأى ما يكره يعمل ما يلي:

أولاً: إن استيقظ يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويقول: أعوذ بالله من شر الشيطان، ومن شر ما رأيت.

ثانياً: إن أراد أن يواصل النوم ينام على الجنب الثاني.

ثالثاً: إذا قام، فلا يخبر بها أحداً، لأن ذلك لا يضره، فإذا فعل هذا فإنه لا يضره بإذن الله، وكان الصحابة يرون الرؤيا تمرضهم وتقلقهم، فلما حدثهم النبي ﷺ بهذا الحديث، فعلوا ما أرشدهم إليه واستراحوا، وكثير من الناس مبتلى، يبحث عن الشر لنفسه، يرى الرؤيا يكرهها، ثم يحاول أن يقصها على الناس ليعبروها له،

وهذا غلط، إذا رأيت الرؤيا تكرهها، فهذا عندك دواء من أحسن الأدوية، بل هو أحسن الأدوية، علمك إياه رسول الله ﷺ.

القسم الثالث: **رؤيا أضغاث أحلام**، ليس لها رأس ولا قدم، يرى الإنسان أشياء متناقضة، ويرى أشياء غريبة، وهذه لا تحدث بها أحداً ولا تهتم بها، وقد حدث رجل رسول الله ﷺ حديثاً، قال: **يا رسول الله رأيت في المنام أن رجلاً قد قطع رأسي، فذهب الرأس شارداً، فذهبت وراءه لاحقا له.**

فقال له النبي ﷺ: «**لا تحدث الناس بها يلعب بك الشيطان في منامك**»[1].

وهذا من الشيطان يقطع رأسك ويشرد بها وأنت تلاحقه، هذا ليس له أصل، فمثل هذه الأشياء لا تهتم بها ولا تحدث بها أحداً، أما من رأى الرسول ﷺ، فإذا رأى الرسول ﷺ على الوصف المعروف الذي وصف به في السيرة النبوية، ورآه على هيئة حسنة، فهذا يدل على خير لهذا الرائي، وأنه قد تأسى به أسوة حسنة، وإن رآه على خلاف ذلك فليحاسب نفسه، فإذا رآه مثلاً أنه يحدث الرسول، ولكن الرسول معرض عنه، أو الرسول قد ولى وتركه، ورآه على هيئة غير حسنة، يعني مثلاً من ثيابه، أو ردائه، أو إزاره، أو ما شابه ذلك، فليحاسب نفسه، فإنه مقصر في اتباع الرسول ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٦٨) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) حلف كاذباً على أمر جلل[١] فأصيب بالشلل.

قال ابن كثير[٢] ـ رحمه الله ـ: ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي ابن أبي طالب ببلاد الديلم، واتبعه خلق كثير وجم غفير، وقويت شوكته، وارتحل إليه الناس من الكور والأمصار، فانزعج لذلك الرشيد وقلق من أمره، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً، وولاه كور الجبل الري وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك، فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة، وكتب الرشيد تلحق مع البرد في كل منزلة، وأنواع التحف والبر، وكاتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف ألف درهم إنه هو سهل خروج يحيى إليهم، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يعده ويمنيه، ويؤمله ويرجيه، وأنه إن خرج إليهم أن يقيم له العذر عند الرشيد، فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده، فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعاً عظيماً، وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة والفقهاء ومشيخة بني هاشم، منهم عبد الصمد بن علي، فبعث الأمان وأرسل معه جوائز وتحفاً كثيرة إليهم، ليدفعوا ذلك جميعه إليه، ففعلوا، وسلمه إليه فدخلوا به بغداد، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له في العطاء، ثم إن الرشيد تنكر ليحيى بن عبد الله ابن حسن وتغير عليه ويقال: إنَّه سجنه ثم استحضره وعنده جماعات من الهاشميين وأحضر الأمان الذي بعث به إليه، فسأل الرشيد محمد بن الحسن عن هذا الأمان أصحيح هو؟ قال: نعم فتغيظ الرشيد عليه.

---

(١) والجلل: العظيم، والصغير ضدٌ، «ترتيب القاموس المحيط» (١/ ٥١٨) مادة: جلل.

(٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ٥٨٠-٥٨٢) أحداث سنة (١٧٦) وذكرها الطبري في «تاريخه» (٨/ ٢٤٤-٢٤٧) أحداث سنة (١٧٦)هـ.

وقال أبو البختري: ليس هذا الأمان بشيء، فاحكم فيه بما شئت، ومزق الأمان، وبصق فيه أبو البختري، وأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله، فقال: هيه هيه، وهو يبسم تبسم الغضب، وقال: إنَّ الناس يزعمون أنَّا سممناك، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحماً وحقاً، فعلام تعذبني وتحبسني؟ فرقَّ له الرشيد، فاعترض بكَّار بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يغرنك هذا الكلام من هذا، فإنه عاص شاق وإنما هذا مكر وخبث، وقد أفسد علينا مدينتنا، وأظهر فيها العصيان، فقال له يحيى: ومن أنتم عافاكم الله؟ وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائي وآباء هذا، ثم قال يحيى: يا أمير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قُتل أخي محمد بن عبد الله، فقال: لعن الله قاتله، وأنشدني فيه نحواً من عشرين بيتاً، وقال لي: إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة وأيدينا معك؟ قال: فتغير وجه الرشيد ووجه الزبيري، وأنكر وشرع يحلف بالأيمان المغلظة إنه لكاذب في ذلك، وتحير الرشيد، ثم قال ليحيى: أتحفظ شيئاً من المرثية؟ قال: نعم، وأنشده منها جانباً، فازداد الزبيري في الإنكار، فقال له يحيى بن عبد الله: فقل: إن كنتُ كاذباً فقد برئت من حول الله وقوته، ووكلني الله إلى حولي وقوتي، فامتنع من الحلف بذلك، فعزم عليه الرشيد وتغيظ عليه، فحلف بذلك، فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد **فرماه الله بالفالج فمات من ساعته. ويقال: إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله.**

(٥) افترى على العلماء زوراً فأصبح معقوراً[١].

قال الشيخ العلامة مقبل الوادعي[٢] ـ رحمه الله ـ: شخص يمني زور ختماً للمعهد، «معهد دار الحديث بدماج» وصار يكتب الكتابات، ويضع عليها ختمه، ولكن الحمد لله لم يوفق للكتابة الموجودة على ختمي، ولا لختم المعهد الذي هو موجود عندنا، بل أتى له بكلام من عنده، وفضحه الله سبحانه وتعالى على أيدي بعض أهل الخير، لأنه كتب إلى بعض أهل الخير، وذلك الرجل الذي كتب إليه عالم، فكتب يقول: «من أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي»، فالشيخ لا يألف أن يقول مقبل بن هادي: (مِن أبو عبد الرحمن)، فهو يعرف أنَّ مِن حرف جر، وأبي مجرور بالياء، لأنه من الأسماء الخمسة، فأخذته الريبة في هذه الرسالة، وقال: لابد أن يكلمنا أبو عبد الرحمن بالتلفون، فنزلت إلى آل جميدة: فلان بن فلان عندنا يقول: إنك كتبت له في مسجد، وفي مساعدة؟ فقلت: لم أفعل.

وبعد ذلك ابتلاه الله بمن طعنه في رجله فقطع بعض أعصاب رجله، وأصبح في عرجة شنيعة، لا يقوم إلا على الحمالات.

(١) والعقر: الجرح وأثر كالحز في قوائم الفرس والإبل. «ترتيب القاموس المحيط» مادة :عقر.
(٢) «غارة الأشرطة» (١/ ٤٤٣).

الفصل السادس عشر

الفصل السادس عشر

عقوبة النظر إلى الحرام والعشق والغرام

قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[النور:٣٠-٣١]

وقال تعالى﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

وقال ﷺ: «احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ» حسن بشواهده، أخرجه أحمد(١) وغيره من حديث أنس وعبادة وأبي أمامة رضي الله عنهم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟، قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» متفق عليه(٢).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ؟ فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ» رواه مسلم(٣).

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٢٧٥٧)، والحاكم (٨١٤٨،٨١٤٩)، وابن حبان (٢٧١) بترتيب ابن بلبان، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٤٧١) رقم (١٢٦٩١) باب ما جاء في أداء الأمانات، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٦٠) وأبو يعلى (٤٢٥٧) وأعله الهثيمي في «المجمع» (١٠/ ٣٠١) والمنذري في «الترغيب» (٣/ ٥٨٧-٥٨٨) بالانقطاع، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٧٠) و«صحيح الجامع» (١٠١٨).

(٢) «البخاري» (٦٢٢٩)، «مسلم» (٢١٢١).

(٣) «مسلم» (٢١٥٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ**...» رواه البخاري ومسلم[١].

قال ابن القيم[٢] ـ رحمه الله ـ: وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من أربعة أبواب، وهي: **اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات**، فينبغي للعبد أن يكون بوّاب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل عليه العدو، فيجوس خلال الديار، ويتبِّرُ ما علا تتبيراً.

فأمَّا اللحظات: فهي رائد الشهوات ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، فمن أطلق بصره أورد نفسه موارد الهلكات، والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولابد ما لا يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده.

قال الشاعر:

كـل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظـم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبها ... كمبلـغ السهم بين القـوس والوتر
والعبد مـا دام ذا طـرفٍ يقلبه ... في أعين الناس موقوف على الخطر
يسـر مقلـته مـا ضر مهجته ... لا مرحباً بسـرورٍ عـاد بالضرر

ومن آفات النظر: أنه يورث الحسرات، والزفرات، والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا صابراً عنه، وهذا من أعظم العذاب أن ترى ما لا صبر لك عنه، ولا عن بعضه، ولا قدرة لك عليه، وكم مِن أرسل لحظاته فما أقلعت إلا

---

(١) «البخاري» (٦٢٤٣)، «مسلم» (٢٦٥٧).

(٢) «الداء والدواء» (ص: ٢٣٢-٢٣٦)، و «مختصر روضة المحبين» (ص:٣١).

وهو يتشحط بينهن قتيلاً، ومن العجب أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه، حتى يتبوأ مكاناً من قلب الناظر، وأعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحاً فيتبعها جرحاً على جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها، وقد قيل: حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات، **ومن غض بصره عن الحرام نال هذه الثمرات:**

- تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، والنظر بمنزلة الشرارة من النار.
- يورث القلب نوراً، وإشراقاً يظهر في العين، وفي الوجه، وفي الجوارح.
- يورث صاحبه الفراسة، فإنها من النور وثمرته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة، لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة.
- يفتح له طرق العلم وأبوابه.
- يورث قوة القلب وثباته وشجاعته.
- يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً، أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر.
- يخلص القلب من أسر الشهوات.
- يسد عنه باباً من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوات الحاملة على مواقعة الفعل، وغض البصر يسد عنه هذا الباب.
- يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب.
- يُخلص القلب من سكر الشهوات، ورد قوة الغفلة، قال تعالى في عشَّاق الصور ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢].

(١) إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عجل له العقوبة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغَفَّلِ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ امْرَأَةً كَانَتْ بَغِيّاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَعَلَ يُلَاعِبُهَا حَتَّى بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: مَهْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ بِالشِّرْكِ وَجَاءَ بِالْإِسْلَامِ، فَتَرَكَهَا وَوَلَّى، فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ خَلْفَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا حَتَّى أَصَابَ وَجْهُهُ حَائِطاً، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَالدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَخْبَرَهُ بِالْأَمْرِ فَقَالَ ﷺ: «أَنْتَ عَبْدٌ أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْرَاً»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً عَجَّلَ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرَّاً أَمْسَكَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ، حَتَّى يُوَافِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كأنه عائر».

صحيح، أخرجه أحمد وابن حبان(١).

قال المناوي(٢) - رحمه الله - في شرح هذا الحديث العظيم: «**إذا أراد الله بعبده خيراً عجَّل له عقوبة ذنبه في الدنيا**»، أي: إن الله إذا أراد بعبده خيراً صب عليه العذاب والبلاء في الدنيا، جزاءً لما فرط منه من الذنوب، فيخرج من الدنيا وليس عليه ذنب يوافى به يوم القيامة، ومن فعل الله به ذلك فقد أعظم اللطف به، لأن من حوسب بعمله عاجلاً في الدنيا خف جزاؤه عليه، حتى يكفر عنه بالشوكة يشاكها، وحتى يموت على طهارة من دنسه، وفراغ من جنايته، كالذي يتعاهد ثوبه وبدنه بالتنظيف؛ «**وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه**»، أي: أمسك عنه ما يستحقه بسبب ذنبه من العقوبة في الدنيا، حتى يوافى به يوم القيامة إن لم يدركه العفو ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٧].

والله تعالى لم يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه، كما لم يرضها أهلاً لمثوبة أحبابه.

---

(١) أحمد (١٦٨٠٦)، صحيح ابن حبان (٢٩٠٠)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٢٠). وصحح قصة الحديث الحاكم في «المستدرك» (١٢٩٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩١-١٩٢)، وشعيب الأرنوؤط في تحقيق «المسند» (١٦٨٠٦).

(٢) «فيض القدير» (١/ ٣٣٢) بتصرف.

(٢) مسلم تنصر فخسر ولم يظفر.

قال ابن القيم[١] ـ رحمه الله ـ: يروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجداً للأذان، والإقامة، والصلاة، وعليه بهاء الطاعة، وأنوار العبادة، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني، فاطَّلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها فترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ قال: أريدك، فقالت: لماذا؟ قال: قد سبيتِ لبي، وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبداً، قال: أتزوجك، قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر الرجل ليتزوجها وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطحٍ كان في الدار، **فسقط منه فمات، فلم يظفر بها وفاته دينه**.اهـ.

قال ابن حجر الهيتمي معلقاً على هذه القصة: فنعوذ بالله من مكره، ونعوذ به منه، وبمعافاته من عقوبته، وبرضاه من سخطه، ومن ثم قال العلماء: إذا كانت الهداية مصروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والعاقبة مغيبة، والإرادة غير معلومة، ولا مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وصلاتك، وجميع قربك، فإنها من محض فضل ربك وجوده، فربما سلبها عنك فوقعت في هوة الندم، حيث لا ينفع الندم.

قلت: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

(١) «الداء والدواء» (ص:٢٥٩)، والقصة ذكرها ابن الجوزي في «ذم الهوى»، في باب «ذكر من كفر بسبب العشق» (ص:٤٥٩)، والقرطبي في «التذكرة» (ص:٤٢)، باب «ما جاء في سوء الختام»، وابن حجر الهيتمي في «الزواجر»، في الكبيرة الرابعة «الكبر والعجب» (١/ ١٦٨)، والذهبي في «الكبائر»، الكبيرة الثالثة و الستون «الأمن من مكر الله» (ص:٢٩١).

أخي المبارك: عافاني الله وإياك من الزيغ والضلال، ومن الكفر بعد الإسلام، انظر إلى هذا الرجل الذي أنعم الله عليه بالطاعة، واختاره من بين كثير من خلقه، وشرفه بخدمة بيت من بيوته، فكان مؤذناً مصلياً، عابداً متنسكاً، فلم يرعَ هذه النعمة حق رعايتها، ولم يشكرها حق شكرها، فنظر نظرة إلى الحرام، فحرم نعمة الإسلام، فبُدل بالإسلام كفراً، وبالطاعة معصية، وبالعزة ذلاً، وبالسعادة شقاء، وبالنور ظلمة في قلبه ووجهه، وهذا من أثر المعاصي.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: فإن المعاصي تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذل والصغار، فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والورع، والمصلح، والعابد، والخائف، والأوَّاب، والطيب، والمرضي، ونحوها، وتكسوه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والمفسد، والخبيث، والمسخوط، والزاني، والسارق، والقاتل، والكاذب، واللوطي، والغادر، وقاطع الرحم، وأمثالها، فهذه أسماء الفسوق و ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾[الحجرات:١١].

التي توجب غضب الرحمن، ودخول النيران، وعيش الخزي والهوان، وتلك أسماء توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وتوجب شرف المسمى بها على سائر أنواع الإنسان.

(٣) نظرة أدت إلى كفر وحسرة.

قال البيهقي في «الشعب»(١): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا الحسين بن أبي القاسم المذكر، يقول: سمعت عمر بن أحمد بن علي الجوهري، يقول: أخبرني أبي أبو العباس أحمد بن علي الجوهري، قال: **قال عبده بن عبد الرحيم**(٢): خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا شاب لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه منه ولا أفرض، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن لم نؤمر أن نقف على ذلك الحصن، فمال الرجل منا عن العسكر، ونزل بقرب الحصن، فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن فعشقها، فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تتنصر، و نفتح لك الباب، وأنا لك. قال: ففعل فأُدخل الحصن، قال: فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم، كان كل رجل منا يرى ذلك بولده من صلبه، ثم عدنا في سرية أخرى، فمررنا به ينظر من فوق الحصن مع النصارى، فقلنا: يا فلان ما فعل قراءتك، ما فعل علمك؟ ما فعل صلاتك، وصيامك؟ قال: اعلموا أني نسيت القرآن كله، ما أذكر منه إلا هذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٢-٣].

---

(١) «شعب الإيمان» (٤/ ٥٤) رقم (٤٣١٩)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧/ ٢٧٨-٢٧٩)، «المنتظم في تاريخ الرسل والملوك والأمم» لابن الجوزي (٥/ ١٣٠) رقم (٢٦٣)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ١١٧٦-١١٧٧) رقم (٢٩٦)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٦٤٠) أحداث سنة (٢٧٨هـ).

(٢) عبده بن عبد الرحيم بن حسان المروزي، أبو سعيد، نزيل دمشق، صدوق من صغار العاشرة، مات سنة (٢٤٤هـ).

تنبيه: الظاهر أن ابن كثير رحمه الله، قد وهم في «البداية والنهاية» في أن الشاب المذكور في القصة هو عبده بن عبد الرحيم، بينما رأينا أن ما ذكره ابن الجوزي وغيره أن راوي القصة هو عبده ابن عبد الرحيم، وأن صاحب القصة هو شاب لم يسم، ويؤكد ذلك ما ذكره البيهقي في «شعب الإيمان»، وكذلك ما جاء في «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور و«تاريخ الإسلام» للذهبي.

٤) عشق المرأة وهام فعاقبه الله بسوء الختام.

ذكر ابن القيم[١] ـ رحمه الله ـ: أن رجلاً قيل له: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب.

قال: وهذا الكلام له قصة، وذلك أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره، وكان بابها يشبه باب هذا الحمام، فمرت به جارية لها منظر، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب، فدخلت الدار ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره، وعلمت أنه قد خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه، فقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا، فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت، وذهبت ولم تخنه في شيء، **فهام الرجل، وأكثر الذكر لها، وجعل يمشي في الطرق والأزقة ويقول:**

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت   كيف الطريق إلى حمام منجاب

فبينما هو يوماً يقول ذلك، وإذا بجارية أجابته من طاق تقول: قرْنان[٢]

هلاَّ جعلت سريعاً إذ ظفرت بها   حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه، ولم يزل على ذلك حتى كان هذا البيت أخر كلامه من الدنيا.

---

(١) «الداء والدواء» (ص:٢٥٧- ٢٥٨) و«معجم البلدان» (٢/ ٢٩٨) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٤٦) مختصر.

(٢) أي: ديوث.

(٥) عشق وفجر فعُوقب بذهاب البصر.

هذا رجل نظر إلى امرأة جميلة، تدعى هند من أهل الحيرة، فتعلق بها قلبه تعلقاً شديداً، فقال فيها هذه الأبيات، وهي قصيدة مشهورة:

شفَّ[1] المُؤمِّلَ[2] يومَ الحيرةِ النَّظَرُ ... ليتَ المؤمِّلَ لم يُخلقْ لهُ بصرُ
حسبُ المُحبِّينَ في الدُّنيا عذابهمُ ... والله لا عذَّبتهُمْ بعدها سقَرُ

فلم يلبث أن عمي[3].

قال في «خزانة الأدب»[4]: والبيت من قصيدة للمؤمل بن أميل المحاربي، قالها في امرأة كان يهواها من أهل الحيرة، يقال لها: (هند)، وهي قصيدة مشهورة ومنها:

شفَّ المُؤمِّلَ يومَ الحيرةِ النَّظَرُ ... ليتَ المؤمِّلَ لم يُخلقْ لهُ بصرُ

(١) شف بمعني: رق، كما في «مختار الصحاح» (ص:٣٤٢) مادة «شف».
(٢) هو المؤمل بن أميل المحاربي الكوفي؛ كان شاعراً محسناً، مدح المهدي، فأجازه عشرة آلاف دينار، وتوفي في حدود التسعين والمائة، وقال الأصبهاني في «الأغاني» (٢٢/ ٢٤٧): المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي، من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته في العباسية أكثر، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم، ومن يخصهم ويخدمهم من أوليائهم وانظر: كذلك «فوات الوفيات» (٤/ ١٧٧).
(٣) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٣٤) في ذكر من اسمه المؤمل، «فوات الوفيات» (٤/ ١٧٧)، «روضة المحبين» (ص:١٨٥)، «خزانة الأدب» (٨/ ٣٣٣-٣٣٤)، «مغني اللبيب» (١/ ٢٧٠)، «معجم الأدباء» (٢/ ١٦٨) في ترجمة إسحاق بن مرار، أبو عمرو الشيباني، «معجم الشعراء» (١/ ٩٣) في باب ذكر من اسمه المؤمل، «معجم المناهي اللفظية» (ص:٥٠١-٥٠٢).
(٤) «خزانة الأدب» (٨/ ٣٣٣-٣٣٤).

ومنها:

قَتَلْتِ شاعِرَ هذا الحي من مُضَرٍ   والله يعلمُ ما ترضى بذا مُضَرُ

قلت: وروى الأصبهاني بسنده في «الأغاني» عن علي بن الحسن الشيباني، قال: رأى المؤمل في نومه قائلاً يقول: أنت المتألي على الله أنَّه لا يعذب المحبين حيث تقول:

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم   والله لا عذبتهم بعدها سقر

فقال: نعم.

فقال: كذبت يا عدو الله!! ثم أدخل إصبعيه في عينيه.

وقال له: أنت القائل: شف المؤمل يوم الحيرة النظر...البيت.

هذا ما تمنيت، فانتبه فزعاً فإذا هو قد عميَ.اهـ.

والمعنى أنه يقول: يكفي العاشقين ما لاقوه في الدنيا من آلام الوجد والغرام، وأيضاً من آلام الفراق والبعد عن المعشوقين، يكفيهم هذا العذاب في الدنيا، والحب عذاب، ومن الحب ما قتل.

ثم يقسم بأن النار لا تمسهم يوم القيامة إلا تحلة القسم.

فانظر أخي ـ هداني الله وإياك ـ: إلى هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى، ممن طمس الله بصيرته وبصره، فأصبح يتألَّى على الله، أنه لا يُعذب من عشق وهام، ووقع في الحرام، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك العلام.

(٦) نسي القرآن بسبب شهوة النظر إلى المردان.

ذكر ابن الجوزي[١] ـ رحمه الله ـ: عن أبي عبد الله بن الجلاء، قال: كنت أنظر إلى غلامٍ نصراني، فمر بي أبو عبد الله البلخي، فقال: أيش وقوفك؟ فقلت: يا عم! أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار، فضرب بيده بين كتفي، وقال: لتجدن غبها، «أي: عقوبتها وأثرها» ولو بعد حين.

قال: فوجدت غبها بعد أربعين سنة، أن أنسيت القرآن.

وقال السيوطي[٢] ـ رحمه الله ـ: قال أبو عبد الله بن الجلاء: كنت واقفاً أنظر إلى غلام نصراني حسن الوجه، كأنما أفرغ في قالب الجمال، فمر بي أبو عبد الله، فقال: أيش وقوفك هنا؟ فقلت: يا عم ترى هذه الصورة تعذب في النار مع ما أعطيت من الحسن والجمال؟ فضرب بيده على كتفي، **وقال: لتجدن غبَّها ولو بعد حين.**

قال: فوجدت غبها بعد أربعين سنة، أنسيت القرآن.

وعن أبي الأديان قال: كنت مع أستاذي أبي بكر الدقاق، فمر بي حدث، فنظرت إليه، فرآني أنظر إليه، فقال: لتجدن غب هذه النظرة ولو بعد حين. فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي ذلك فما أجد ذلك الغب، فنمت ليلة وأنا مفكر فيها قال لي الأستاذ، فأصبحت وأنا قد أنسيت القرآن.

هذه عقوبة للمتهاونين بذلك في الدنيا، والآخرة أدهى وأمر.

قلت: فاعتبروا يا أولي الأبصار، والسعيد من اتعظ بغيره، فهذا رجل منَّ الله عليه وأكرمه بحفظ كتابه الكريم فأضاعه بنظرة إلى الحرام، عقوبة على ما اقترفت يداه.

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص: ٣٣٩) باب: فائدة العلم وكل من فاته العلم تخبط.

(٢) في كتابه: «الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع»، فصل: معاشرة الأحداث والنظر إلى الغلمان (ص:٧) وذكر القصة ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص:١٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٨٤)، ومحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (ص:٧٠).

ولذلك فإن أكثر ما نزاوله ونجده في الحياة، من غم أو هم، أو حزن، أو مصائب، أو رسوب، أو فشل، أو انهزام، أو تقهقر، أو فقر، أو مرض، هو بسبب ما فعلناه من الذنوب والخطايا، قال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠] والله يعفو عن الأكثر، ولو يؤاخذنا بما نفعل لما ترك على ظهرها من دابة، فرحماك يا رب، وعفوك يا رب، ورضاك يا رب!!

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**إِنِّي لَأَحْسِبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ لِلْخَطِيئَةِ يَعْمِلُهَا**»[1].

وقال وكيع[2] -رحمه الله-: «استعينوا على الحفظ بترك المعصية».

وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ **للشافعي** ـ رحمه الله ـ **أول ما لقيه**[3]: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الإمام الشافعي[4] ـ رحمه الله ـ: من أحب أن يفتح الله له قلبه أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، وترك الذنوب واجتناب المعاصي، ويكون له فيما بينه وبين الله خبية من عمل، فإنه إذا فعل ذلك فتح الله عليه من العلم ما يشغله عن غيره، وإن في الموت لأكثر الشغل.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[5] ـ رحمه الله ـ: والله سبحانه وتعالى جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى والعلم النافع، كقوله ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النساء:١٥٥].

(١) رواه وكيع في «الزهد» رقم (٣٢٩).
(٢) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص:٢٩).
(٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٩٩).
(٤) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/ ١٧١).
(٥) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٥٢).

وقال ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة:٨٨] .

وقال ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١٠].

وقال ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠].

وقال ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥].اهـ.

وقال العلامة ابن القيم[١] ـ رحمه الله ـ: وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك، وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه.

فقال إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لايؤتاه عاصي[٢]

(١) «الداء والدواء» (ص:٨٥-٨٦).

(٢) تنبيه: وكيع بن الجراح هو أحد الأئمة الثقات الحفاظ، شيخ أحمد وغيره، وقد قال بعض العلماء: لم يثبت أنه كان شيخ الشافعي، ولم يثبت له لقاء به، بل الإمام الشافعي كان من طبقة وكيع ، فكيف يمكن أن يتتلمذ عليه أو أن يكون شيخاً له، إلا إن كان من باب رواية الأقران عن بعضهم، ولم يثبت هذا أيضاً، إنما هو شيخ للإمام أحمد، والإمام إسحاق بن راهويه. وعليه فلا تصح نسبة هذه الأبيات للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ، والله أعلم.

(٧) عشق الغلام فعاقبه الله بسوء الختام.

قال ابن القيم[١] ـ رحمه الله ـ: ويروى أن رجلاً عشق شخصاً فاشتد كلفه به، وتمكن حبه من قلبه، حتى وقع ألماً به، ولزم الفراش بسببه، وتمنَّع ذلك الشخص عليه، واشتد نفاره عنه، فلم تزل الوسائط يمشون بينهما، حتى وعده بأن يعوده، فأخبر بذلك البائس ففرح واشتد فرحه، وانجلى غمه، وجعل ينتظره للميعاد الذي ضرب له، فبينما هو كذلك إذ جاءه الساعي بينهما، فقال له: إنه وصل معي إلى بعض الطريق ورجع، ورغبت إليه وكلمته، فقال: إنه ذكرني وفرح بي، ولا أدخل مداخل الريب، ولا أعرض نفسي لمواقع التهم، فعاودته فأبى وانصرف، فلما سمع البائس أسقط في يده، وعاد إلى أشد مما كان به، وبدت عليه علائم الموت، فجعل يقول في تلك الحال:

يا سلّم يا راحة العليل ... ويا شفاء المدنف النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: يا فلان اتق الله، قال: قد كان، فقمت فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت.

فعياذاً بالله من سوء العاقبة، وشؤم الخاتمة.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ معقباً على هذه القصة: وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول، أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد.

---

(١) «الداء والدواء» (ص:٢٥٩-٢٦٠)، «البداية والنهاية» (١٥/ ٦٥٤-٦٥٥)، «المنتظم» لابن الجوزي (٨/ ٨٦)، «ذم الهوى» (ص:٥٦٠).

قلت: وقد ذكر القصة مفصلة الإمام ابن حزم[(١)] ـ رحمه الله ـ **حيث قال**: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة وأسلم بن عبدالعزيز، صاحب المزني والربيع، قال محمد ابن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب، أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستراً بذلك إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم: «من المتقارب».

أسلمني في هواه ... أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى
ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها، قال: فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم سائراً، ومقبلاً نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحاً وجلس داره نهاراً،

---

(١) «رسائل ابن حزم الأندلسي» (١/ ٣١٨).

فإذا صلى صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة من جباب أهل البادية، واعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً، وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يده، وقال يأمر مولاي بأخذ هذا، فقال له أسلم: ومن أنت فقال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام وتأمله فعرفه، فقال له: يا أخي! وهنا بلغت بنفسك، وإلى هاهنا تبعتني، أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على بابي نهاراً، حتى قطعت علي جميع ما لي فيه راحة، فقد صرت من سجنك. والله، لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا قعدت ليلاً ولا نهاراً على بابي. ثم قام وانصرف أحمد بن كليب كئيباً حزيناً.

قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد بن كليب، وخسرت دجاجك وبيضك.

فقال: هات كل ليلة قبلة يده وأخسر أضعاف ذلك.

قال: فلما يئس من رؤيته ألبته نهكته العلة، وأضجعه المرض.

قال محمد بن الحسن: فأخبرني أبو عبد الله محمد بن خطاب شيخنا، قال: فعدته فوجدته بأسوأ حال.

فقلت له: ولم لا تتداوى.

فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم في ألبته.

فقلت له:وما دواؤك.

فقال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك بذلك، وكان هو والله أيضاً يؤجر.

قال: فرحمته وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى أسلم فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة.

قال: وما هي؟

قلت: قد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندي. فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برح بي، وشهر اسمي وآذاني.

فقلت له: كل ذلك يغتفر في مثل الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا، فقلت له: لابد، فليس عليك في ذلك شيء، وإنما هي عيادة مريض، قال: ولم أزل به حتى أجاب، ولا خلف، قال: نعم، فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بموعده بعد تأبيه، فسُر بذلك وارتاحت نفسه. قال: فلما كان الغد بكرت إلى أسلم وقلت له: الوعد، قال: فوجم، وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة علي، وما أدري كيف أطيق ذلك. قال: فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، وتوسط الدرب، وقف واحمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض هذا على نفسي، فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل تنصرف، قال: لا سبيل والله إلى ذلك ألبته، قال: ورجع مسرعاً فاتبعته، وأخذت بردائه فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي لسرعته وإمساكي له، ومضى ولم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل عليه إذ رآنا من أول الدرب مبشراً، فلما رآني تغير، وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الترجع، فاستشنعت الحال، وجعلت أترجع وقمت، فثاب إليه ذهنه،

وقال لي: أبا عبد الله! قلت: نعم. قال: اسمع مني واحفظ عني، ثم أنشأ يقول:
(مخلع البسيط)

أسلم يا راحة العليل رفقاً على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

قال: فقلت له: اتق الله! ما هذا العظيمة، فقال لي: قد كان.

قال: فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب، حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا.

قلت: انظروا إخواني الكرام إلى سوء الختام، وإلى الذل والهوان لمن ابتلي بعشق المردان، ولم يراقب الملك العلام، فمات ذليلاً حقيراً مهاناً، فحسبنا الله وعليه التكلان.

ولله در ابن القيم ـ رحمه الله ـ **حيث قال**[١]: وكم من عاشق أتلف في معشوقه، ماله، وعرضه، ونفسه، وضيع أهله، ومصالح دينه ودنياه، وكم أكبت فتنة العشق رؤوساً في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين، وكم أزالت من نعمة، وأحلت من نقمة، وكم أنزلت من معقل عزة عزيز، فإذا هو من الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب، فإذا هو أسفل سافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلت من ندم .اهـ.

وقال–رحمه الله– في كلامه على أقسام العشق[٢]: وعشقٌ هو مقتٌ من الله، وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه، وهو عشق المردان، فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله، فطرد عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحُجب

---

(١) «روضة المحبين» (ص:٢٢٧، ٢٣٢،٢٣٣).
(٢) «الداء والدواء» (ص:٣٧٠).

القاطعة عن الله، كما **قال بعض السلف**: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان.

وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، فما أُتوا إلا من هذا العشق، قال تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢].

ودواء هذا الداء: الاستغاثة بمقلب القلوب، وصدق اللجؤ إليه، والاشتغال بذكره، والتعوُّض بحبه وقربه، والتفكر في الألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه، فإذا أقدمت نفسه على هذا وآثرته، فليكبر عليها تكبير الجنازة، وليعلم أن البلاء قد أحاط بها.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(١) ـ رحمه الله ـ: **عندما سئل عن أقوامٍ يعاشرون المردان.**

وقد يقع من أحدهم قبلة ومضاجعة للصبي، ويدّعون أنهم يصحبون لله، ولا يعدُّون ذلك ذنباً ولا عاراً.

ويقولون: نحن نصحبهم لغير خنا، ويعلم أبو الصبي بذلك وعمه وأخوه فلا ينكرون، فما حكم الله تعالى في هؤلاء؟

وماذا ينبغي للمرء المسلم أن يعاملهم به والحالة هذه ؟

فأجاب: الحمد لله، الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، ولا يجوز تقبيله على وجه اللذة، بل لا يقبِّله إلا من يؤمن عليه، كالأب، والإخوة، ولا يجوز النظر إليه على هذا الوجه باتفاق الناس، بل يحرم عند

---

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» (٣٢/ ٢٤٧-٢٤٩) .

جمهورهم النظر إليه عند خوف ذلك، وإنما ينظر إليه لحاجة بلا ريبة مثل معاملته، والشهادة عليه، ونحو ذلك كما ينظر إلى المرأة للحاجة.

وأما مضاجعته فهذا أفحش من أن يسأل عنه، فإن النبي ﷺ قال: «**مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١)، إذا بلغوا عشر سنين ولم يحتلموا بعد، فكيف بما هو فوق ذلك؟!

وإذا كان النبي ﷺ قد قال: «**لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(٢).

وقال: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، قَالُوا يَا رسول الله: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ** فإذا كانت الخلوة محرمة لما يخاف منها فكيف بالمضاجعة؟

وأما قول القائل: إنه يفعل ذلك لله، فهذا أكثره كذب، وقد يكون لله مع هوى النفس، كما يدَّعي من يدَّعي مثل ذلك في صحبة النساء الأجانب، فيبقى كما قال تعالى في الخمر ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:٢١٩].

وقد روي عن المشايخ من التحذير من صحبة الأحداث ما يطول وصفه. وليس لأحد من الناس أن يفعل ما يفضي إلى هذه المفاسد المحرمة، وإن ضم إلى ذلك مصلحة من تعليم أوتأديب، فإن المردان يمكن تعليمهم وتأديبهم بدون هذه المفاسد التي فيها مضرة عليهم، وعلى من يصحبهم، وعلى المسلمين بسوء الظن تارة، وبالشبهة أخرى، بل روي أن رجلاً كان يجلس إليه المردان فنهى عمر رضي الله عنه عن مجالسته.

ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاباً فقطع شعره لميل بعض النساء إليه، مع ما في ذلك من إخراجه من وطنه، والتفريق بينه وبين أهله.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦٦٨٩) وأبو داود (٤٩١) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٩).

(٢) قطعة من حديث رواه أحمد في «المسند» (١١٤) والترمذي (٢٢٥٤) والحاكم (٣٨٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١١١٦) و«صحيح الجامع» (٢٥٤٦).

ومن أقر صبياً يتولاه مثل: ابنه، أو أخيه، أو مملوكه، أو يتيم عند من يعاشره على هذا الوجه، فهو ديوثٌ ملعون، «**ولا يدخل الجنة ديوث**»(١)، فإن الفاحشة الباطنة ما يقوم عليها بينة في العادة، وإنما تقوم على الظاهرة، وهذه العشرة القبيحة من الظاهرة ، وقد قال الله تعالى﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١].

فلو ذكرنا ما حصل في مثل هذا من الضرر والمفاسد، وما ذكره العلماء لطال، سواء كان الرجل تقياً أو فاجراً، فإن التقي يعالج مرارة في مجاهدة هواه وخلاف نفسه، وكثير ما يغلبه شيطانه ونفسه، بمنزلة من يحمل حملاً لا يطيقه فيعذبه أو يقتله، والفاجر يكمل فجوره بذلك والله أعلم.

وقفــة:

اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ: أن أمر الخاتمة، وما يُحذر من سوئها، أمر إذا ذكرته حق ذكره ازداد قلبك خوفاً وخشيةً من الله عز وجل، وابتعدت عن معصيته، وسارعت إلى طاعته، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حدد الآجال فقال ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، لزهقت الأنفس عند أول ذكره، كيف لا، والخوف من سوء الخاتمة هو الذي طيَّش قلوب الصديقين، وأرهب أفئدتهم في كل حين، لماذا لا يخافون من سوء الخاتمة؟ والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٣٧) وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٦٤٢) عن رجل من قريش رفعه. قال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٤/ ٧٠) رقم (٣١٨٩) و (٥/ ٤٣١) رقم (٤٩٧٩):هذا إسناد ضعيف، لجهالة بعض رواته، لكن المتن له شاهد في «مسند أحمد» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة قد حرم الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث» وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٢) .

يشاء، ومن منا لا يخاف على نفسه سوء الخاتمة؟ وما الذي أمَّنه منها؟ والخاتمة مغيبة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد جاء في الخبر الصحيح الذي رواه مسلم[١] عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**» رواه البخاري[٢].

فكم سمعنا يا إخوتاه عمن آمن ثم كفر في هذا الزمن، بل وفي زمن خير البشر، وكم رأينا من استقام ثم انحرف وانتكس، وكم من داعية للخير والسنة أصبح داعية للشر والبدعة، وكم من طالب علم أصبح طالب دنيا، وكم وكم...

فيا إخوتاه: كيف تقر عين عاقل في هذه الدار؟ وكيف يستقر له فيها قرار، مع هذا الحال؟

فتزودوا إخواني من دنياكم قبل الممات، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات، وبادروا بالأعمال الصالحات، واستكثروا في أعماركم القصيرة، وأيامكم القليلة من الحسنات، قبل أن ينادي بكم منادي الشتات، قبل أن يفجأكم هادم اللذات، قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات، قبل أن تتقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات، قبل أن يغشاكم من غم الموت والغمرات، وقبل مفارقة القصور إلى بطون الخلوات، وقبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون، ولذلك إخواني في الله كان

---

(١) «مسلم» (٢٦٥١).
(٢) «البخاري» (٦٦٠٧).

صلوات ربي وسلامه عليه كثيراً ما يردد : «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِيَ عَلَى دِينِكَ**» أخرجه الترمذي[١].

(١) «سنن الترمذي» (٢٢٢٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٩٢)، و«صحيح الجامع» (٧٩٨٧) عن أنس ﷺ.

الفصل السابع عشر

الفصل السابع عشر

خطر الفتوى بغير علم

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ [الحج: ٨-٩].

وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحج: ٣-٤].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعَاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمَاً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسَاً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه[1].

(١) «البخاري» (١٠٠)، «مسلم» (٢٦٧٣).

قال العلامة ابن القيم[(١)] ـ رحمه الله ـ: وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣].

فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه، وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه.

وقال تعالى ﴿ **وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾** ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام، ولما لم يحله هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال، وهذا حرام، إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه.اهـ.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين[(٢)] ـ رحمه الله ـ: الإفتاء منصب عظيم، به يتصدى صاحبه لبيان ما يشكل على العامة من أمور دينهم، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، لذلك كان هذا المنصب العظيم لا يتصدر له إلا من كان أهلاً له، لذلك يجب على العباد أن يتقوا الله تعالى، وأن لا يتكلموا إلا عن علم

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٣١).

(٢) «كتاب العلم» (ص:٧٥-٧٧).

وبصيرة، وأن يعلموا أن الله وحده له الخلق والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر للخلق إلا الله، ولا شريعة للخلق سوى شريعة الله، فهو الذي يوجب الشيء، وهو يحرمه، وهو الذي يندب إليه ويحلله، ولذا أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم فقال تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [يونس:٥٩-٦٠].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وإن من أكبر الجنايات: أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال، وهو لا يدري ما حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه حرام، وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه واجب، وهو لا يدري أن الله أوجبه، ويقول عن الشيء إنه غير واجب، وهو لا يدري أن الله لم يوجبه، إن هذه جناية وسوء أدب مع الله عز وجل.كيف تعلم أيها العبد أن الحكم لله، ثم تتقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم؟ لقد قرن الله القول عليه بلا علم بالشرك به، فقال سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:٣٣].

وإن كثيراً من العامة يفتي بعضهم بعضاً بما لا يعلمون، فتجدهم يقولون هذا حلال، أو حرام، أو واجب، أو غير واجب، وهم لا يدرون عن ذلك شيئاً، أفلا يعلم هؤلاء أن الله تعالى سائلهم عما قالوا يوم القيامة؟ أفلا يعلم هؤلاء أنهم إذا أضلوا شخصاً فأحلوا له ما حرم الله، أو حرَّموا ما أحل الله له فقد باءوا بإثمه، وكان عليهم مثل وزر ما عمل، وذلك بسبب ما أفتوه به.

إن بعض العامة يجني جناية أخرى، فإذا رأى شخصاً يريد أن يستفتي عالماً، يقول له هذا العامي: لا حاجة أن تستفتي، هذا أمر واضح، هذا حرام، مع أنه في الواقع حلال، فيُحْرِمُه ما أحل الله له، أو يقول له: هذا واجب، فيلزمه بما لم يلزمه الله به، أو يقول: هذا غير واجب في شريعة الله فيسقط عنه ما أوجب الله عليه، أو يقول: هذا حلال، وهو في الواقع حرام، وهذه جناية منه على شريعة الله، وخيانة لأخيه المسلم، حيث أفتاه بدون علم، أرأيتم لو أن شخصاً سأل عن طريق بلد من البلدان، فقلت: الطريق من هنا وأنت لا تعلم، أفلا يعد الناس ذلك خيانة منك؟ فكيف تتكلم عن طريق الجنة، وهو الشريعة التي أنزل الله، وأنت لا تعلم عنها شيئاً؟!

وإن بعض المتعلمين أنصاف العلماء، يقعون فيما يقع فيه العامة، من الجرأة على الشريعة، في التحليل والتحريم والإيجاب، فيتكلمون فيما لا يعلمون، ويجملون في الشريعة ويفصلون، وهم من أجهل الناس في أحكام الله، إذا سمعت الواحد منهم يتكلم فكأنما ينزل عليه الوحي فيما يقول من جزمه وعدم تورعه، لا يمكن أن ينطق ويقول: لا أدري مع أن عدم العلم هو صفة الحق الثابت، ومع ذلك يصر بناء على جهله على أنه عالم فيضر العامة، لأن الناس ربما يثقون بقوله ويغترون به، وليت هؤلاء القوم يقتصرون على نسبة الأمر إليهم، لا بل تراهم ينسبون ذلك للإسلام، فيقولون: الإسلام يقول كذا، الإسلام يرى كذا، وهذا لا يجوز إلا فيما علم القائل أنه من دين الإسلام، ولا طريق إلى ذلك إلا بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله، أو إجماع المسلمين عليه.

إن بعض الناس لجرأته، وعدم ورعه، وعدم حيائه من الله، وعدم خوفه منه، يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه ما أظن هذا حراماً، أو عن الشيء

الواجب والواضح وجوبه يقول ما أظن هذا واجباً، إما جهلاً منه، أو عناداً ومكابرة، أو تشكيكاً لعباد الله في دين الله.اهـ.

(١) الجهل يقتل صاحبه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسَاً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسَاً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسَاً يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبَاً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى الله، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرَاً قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» متفق عليه(١).

قلت: انظر ـ وفقني الله وإياك ـ إلى هذا الراهب الذي أفتى بغير علم، فكان مخالفاً لقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

ولقوله تعالى ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

فعاقبه الله، بأن سلط عليه ذلك الرجل الذي أفتاه فقتله.

وصدق من قال: الجاهل عدو نفسه.

رام نفعاً فضر من غير قصدٍ ... ومن البر ما يكون عقوقاً

---

(١) «البخاري» (٣٤٧٠)، «مسلم» (٢٧٦٦).

وفي هذا الحديث بيان فضل العلم على كثرة العبادة مع الجهل، لأن العابد الجاهل ربما أساء من حيث أراد أن يحسن صنعاً، فهلك وأهلك وضل وأضل، كما فعل هذا الراهب.

وفيه أيضاً: بيان أن من يتصدى لهداية الناس ودعوتهم للإسلام والحق ينبغي أن يطلب العلم الشرعي، وإلا فيكون ضرره أكثر من نفعه.

قال تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[محمد:١٩].

وفيه أيضاً: أن الجاهل قليل الفطنة.

فقلة فطنة الراهب صرعته، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار ديدنه بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه.

قال في «**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**»[1]: وفيه عدم فطنة الراهب، حيث لم يصب وجه الفتيا، ولا سلك طريق التحرز على نفسه، ممن صار القتل له عادة معتادة، فقد صار هذا الرجل مثل الأسد الذي لا يبالي بمن يفترسه، فكان حقه ألا يشافهه بمنع التوبة، مداراة لدفع القتل عن نفسه، كما يُدارى الأسد الضاري، لكنه أعان على نفسه، فإنَّه لما آيسه من رحمة الله وتوبته قتله، بحكم سبعيته ويأسه من رحمة الله، وعدم توبته عليه، ولما لطف الله به بقي في نفسه الرغبة في السؤال عن حاله.

فما زال يبحث إلى أن ساقه الله تعالى إلى هذا الرجل العالم الفاضل، فلما سأله نطق بالحق والصواب، فقال له: ومن يحول بينك وبينها؟ مفتياً ومنكراً على من ينفيها عنه، ثم إنه أحاله على ما ينفعه، وهو مفارقته لأرضه التي كانت غلبت عليه بحكم عادة أهلها الفاسدة، ولقومه الذين كانوا يعينونه على ذلك، ويحملونه عليه.

---

(١) أحمد بن عمر القرطبي (٧/ ٨٩-٩٠).

وبهذا يُعلم فضل العلم على العبادة، فإنَّ الأول غلبت عليه الرهبانية، واغتر بوصف الناس له بالعلم، فأفتى بغير علم، فهلك في نفسه وأهلك غيره.

والثاني كان مشتغلاً بالعلم ومعتنياً به، فوُفِق للحق، فأحياه الله في نفسه، وأحيا به الناس.

قال القاضي: ومذهب أهل السنة والجماعة، أن التوبة تكفر القتل كسائر الذنوب، وهو قول كافة العلماء، وما روي عن بعضهم من تشديد في الزجر وتورية في القول، فإنما ذلك لئلا يجترئ الناس على الدماء.

(٢) عقوبة الراهب لتقديمه النافلة على الواجب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا» رواه البخاري ومسلم وأحمد[١].

قلت: قلة علم جريج جعلته يفتي نفسه بتقديم صلاة النافلة على طاعة أمه الواجبة، وإلا فإن الصواب كان في حقه إجابة أمه، لأنه كان في صلاة نفل،

(١) «البخاري» (٣٤٣٦)، «مسلم» (٢٥٥٠)، «أحمد» (٨٠٧١، ٨٠٧٢).

والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته.

وقد بوب الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في «شرح صحيح مسلم» «**باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها**»، فقال: فيه قصة جريج، وأنه آثر الصلاة على إجابتها، فدعت عليه فاستجاب الله لها.

وقال **الحافظ** ـ رحمه الله ـ **في** «الفتح»[(١)]: وفي الحديث عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذوراً، لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد.

وفيه: الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضي التأديب، لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل.

وفيه: أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن.

وفيه: قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه.

وفيه: أن الأمرين إذا تعارضا بدأ بأهمهما، وأن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارجاً، وعندما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادة لهم في الثواب.

وفيه:إثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم.اهـ.

وقال **الشيخ العلامة ابن عثيمين**[(٢)] ـ رحمه الله ـ: يقص لنا النبي ﷺ قصة هذا الرجل العابد، وهو جريج، وأنَّه انعزل عن الناس وبنى له صومعة، ـ يعني: مكاناً

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٥٦-٥٥٧).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٣-٥٦) بتصرف يسير.

يتعبد فيه لله عز وجل ـ فجاءته أمه ذات يوم وهو يصلي فنادته، فقال في نفسه: أي ربي، أمي وصلاتي، هل أجيب أمي وأقطع الصلاة، أم أستمر في صلاتي؟ فمضى في صلاته، وجاءته مرة ثانية، وقالت له مثل الأولى، فقال مثل ما قال، ثم استمر في صلاته، فجاءته مرة ثالثة فدعته، فقال مثل ما قال، ثم استمر في صلاته، فأدركها الغضب، وقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات، أي: الزواني، حتى ينظر في وجوه الزواني والعياذ بالله؛ والإنسان إذا نظر في وجوه الزواني افتتن، لأن نظر الرجل إلى المرأة فتنة، فكيف إذا كانت والعياذ بالله، زانية بغية؟!

فأشد فتنة لأنه ينظر إليها على أنها تمكنه من نفسها فيفتتن، فدعت عليه بذلك.

يستفاد من هذه الجملة في هذا الحديث: أن الوالدين إذا ناداك وأنت تصلي، فإن الواجب إجابتهما، لكن بشرط ألا تكون الصلاة فريضة، فإن كانت فريضة فلا يجوز أن تجيبهما، لكن إذا كانت نافلة فأجبهما، إلا إذا كانا ممن يقدرون للأمور قدرها، وأنهما إذا علما أنك في صلاة عذراك، فهنا أشر إليهما أنك في صلاة، إما بالنحنحة، أو بقول سبحان الله، أو برفع صوتك في آية تقرأها، أو دعاء تدعو به، حتى يشعر المنادي أنك في صلاة، فإذا علمت أن هذين الأبوين الأم والأب عندهما مرونة، يعذرونك إذا كنت تصلي ألا تجيب، فنبههم على أنك تصلي، فمثلاً إذا جاءك أبوك وأنت تصلي سنة الفجر، قال: يا فلان وأنت تصلي، فإن كان أبوك رجلاً مرناً يعذرك فتنحنح له، أو قل سبحان الله، أو ارفع صوتك بالقراءة، أو بالدعاء، أو بالذكر الذي أنت فيه حتى يعذرك، وإن كان من الآخرين الذين لا يعذرون، ويريدون أن يكون قولهم هو الأعلى فاقطع صلاتك وكلمهم، وكذلك يقال في الأم، أما الفريضة فلا تقطعها لأحد إلا عند الضرورة، كما لو رأيت

شخصاً تخشى أن يقع في هلكة، في بئر، أو في بحر، أو في نار، فهنا تقطع صلاتك للضرورة، وأما لغير ذلك فلا يجوز قطع الفريضة.

ويستفاد من هذه القطعة: أن دعاء الوالد إذا كان بحق فإنه حري بالإجابة، فدعاء الوالد ولو كان على ولده إذ كان بحق فهو حري أن يجيبه الله، ولهذا ينبغي لك أن تحترس غاية الاحتراس من دعاء الوالدين، حتى لا تُعرض نفسك لقبول الله دعاءهما فتخسر.

وفي الحديث أيضاً: دليل على أن الشفقة التي أودعها الله في الوالدين قد يوجد ما يرفع هذه الشفقة، لأن هذه الدعوة من هذه المرأة عظيمة، أن تدعو على ولدها أن لا يموت حتى ينظر في وجوه المومسات، لكن شدة الغضب والعياذ بالله، أوجب لها أن تدعو بهذا الدعاء.

وذكرنا أن أمه لما نادته ثالثاً وهو يصلي فيقبل على صلاته فتنصرف دعت عليه في الثالثة، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتكلم فيه بنو إسرائيل وفي عبادته، فقالت امرأة منهم: أنا أكفيكم وأفتنه إن شئتم.

وفي القصة من الفوائد غير ما سبق: أن الإنسان إذا تعرف إلى الله تعالى في الرخاء عرفه في الشدة، فإن هذا الرجل كان عابداً يتعبد لله عز وجل، فلما وقع في الشدة العظيمة أنجاه الله منها، لما جاء إليه هؤلاء الذين كادوا له هذا الكيد العظيم، ذهبت هذه المرأة إلى جريج لتفتنه لكنه لم يلتفت إليها، فإذا راعي غنم يرعاها ثم يأوي إلى صومعة هذا الرجل، فذهبت إلى الراعي فزنى بها والعياذ بالله، فحملت منه، ثم قالوا إن هذا الولد ولد زنى من جريج، رموه بهذه الفاحشة العظيمة، فأقبلوا عليه يضربونه وأخرجوه من صومعته وهدموها، فطلب منهم أن يأتوا بالغلام الذي من الراعي، فلما أتوا به، ضرب في بطنه، وقال: من أبوك ؟

وهو في المهد، فقال: أبي فلان يعني ذلك الراعي، فأقبلوا إلى جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا له: تريد أن نبني لك صومعتك من ذهب لأنهم هدموها ظلماً، قال: لا، ردوها على ما كانت عليه من الطين فبنوها له.

وفي هذا الحديث: دليل على صبر هذا الرجل - جريج ـ حيث أنه لم ينتقم لنفسه، ولم يكلفهم شططاً ويبنوا له صومعته من ذهب، وإنما رضي بما كان رضي به أولاً من القناعة، وأن تبنى من الطين.

قلت:مكر أهل الباطل بالصالحين، من علماء وطلاب علم ودعاة، ومصلحين، وعباد، قديم، فبنو إسرائيل ذكروا العابد جريجاً وتآمروا عليه، وحرَّضوا عليه البغي، فلما ظنوا أنهم أصابوا منه مقتلاً زعموا أنهم يؤدبونه، لأنهم يريدون الإصلاح وهم المفسدون، قال الله ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ** ﴾ [البقرة:١١] ولو كانوا مصلحين لأقاموا الحد على هذه البغي المعروفة لديهم.

(٣) قتلوه قتلهم الله.

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ(١) السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ» حسن، رواه أبو داود وغيره(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٣) ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث: فإن هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد إذ لم يكونوا من أهل العلم.اهـ.

قلت: انظر ـ وفقني الله وإياك ـ إلى هؤلاء النفر من الصحابة رضي الله عنهم، الذين اجتهدوا في هذه المسألة الحادثة، ولم يرجعوا إلى النبي ﷺ في ذلك، فكان اجتهادهم هذا الذي أخطأوا فيه، سبباً في قتل هذا الصحابي ﷺ، والله يقول ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

فلما رجع هؤلاء الصحابة إلى النبي ﷺ، وأخبروه بالقصة، قال: «...**إنما كان يكفيه أن يتيمم**».

وقد أجمع العلماء على أن من خاف على نفسه الضرر من الماء فله أن يتيمم.

---

(١) العِيّ: بكسر العين وتشديد الياء، هو التحير في الكلام وعدم الضبط كذا في «الصحاح». وفي «النهاية ولسان العرب»، العي: بكسر العين، الجهل. والمعنى:أن الجهل داء وشفاؤه السؤال والتعلم.

(٢) «سنن أبي داود» (٣٣٢) وحسنه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٣٦، ٣٣٧) و«تمام المنة» (ص:١٣١ – ١٣٢) و «صحيح الجامع» رقم (٤٣٦٢) و«الإرواء» (١٠٥) .

(٣) «الفتاوى» (٢٠/ ٢٥٤) و«إرسال الشواظ على من تتبع الشواذ» (ص:٧٥).

وأما مسألة المسح على الجبائر[١] **والعصائب**: فالأظهر في هذه المسألة، والأقرب إلى القواعد بغض النظر عن الأحاديث الواردة في الباب، أنه يمسح على الجبائر والعصائب، وما في بابها، وهو قول الجمهور من الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية، واختاره ابن المنذر، وحكاه عن ابن عمر، وعطاء، وعبيد بن عمير، وإبراهيم، والحسن، وجماعة آخرين، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد ثبت عن عمرو بن العاص ﵁: أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل، قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له، فقال: «**يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟**»، فقلت: ذكرت قول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فتيممت ثم صليت، «**فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً**» صحيح، رواه أحمد وأبو داود والداقطني[٢].

---

(١) مسألة المسح على الجبيرة:

- من أهل العلم من قال: إن الشخص يتوضأ ويمسح على الجبيرة، أي: الجزء الذي جُبّس، فيتوضأ ويغسل كل الأعضاء، ويأتي إلى الجزء المجبس فيمسح عليه، واستدل بعموم قوله تعالى﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦].
- ومن أهل العلم من قال: يتيمم عن الجميع، فيضرب بيديه في الأرض ويمسح بهما وجهه وكفيه. فهذان قولان مشهوران للعلماء: **أحدهما**: أنك تتيمم، وهذا التيمم يجزئ عن الوضوء كله، **والآخر**: أنك تتوضأ وتمسح على الجبيرة.
- ومنهم من قال: تتوضأ وتتيمم للجبيرة، فأصبحت ثلاثة أقوال.

(٢) «المسند» (١٧٨١٢) «سنن أبي داود» (٣٣٠، ٣٣١) «سنن الداقطني» (١/ ١٧٨-١٧٩) وصححه العلامة الألباني ـ رحمة الله ـ في «إرواء الغليل» (١٥٤).

تنبـــيه:

انظر أخي الكريم إلى دعاء النبي الرحيم ﷺ: «**قتلوه قتلهم الله**»، على أولئك النفر من أصحابه ﵃، حين أفتوا بفتوى خالفوا فيها الصواب، فكان ضحية هذه الفتوى موت رجل واحد، وإنما قال ذلك ﷺ حتى لا يتجرأ الناس على الفتوى بغير علم فيكونوا سبباً لهلاك العباد والبلاد، وهذا من تمام رأفته ورحمته ﷺ.

ثم تأمل ـ رحمك الله ـ: ما يفتي به بعض من ينتسب للعلم في هذه الأيام من فتاوى فيها إثارة الفتن والقلاقل، وتهيج الناس، للقيام بالثورات، والمظاهرات، والإعتصامات، ثم تأمل أخرى ثمرة هذه الفتاوى المرة، من القتل، والتشريد، والخوف، والجوع، وانتهاك الأعراض، وأخذ الأموال، والذل، والهوان، وتسلط الأعداء، وتعطيل المصالح، والتشبه بالكفار، والإحداث في دين الله، واختلاط الرجال والنساء، وخروج المسلم، واليهودي، والنصراني، والعلماني، والرافضي، والشيوعي، في صف واحد يعضد بعضهم بعضاً، إلى غير ذلك من المفاسد الكثيرة الناتجة عن تلك الفتاوى الخطيرة، قولوا لي بربكم أين هؤلاء من هذا الحديث «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»؟!

الفصل الثامن عشر

الفصل الثامن عشر

عقوبة من لم يعمل بعلمه

«هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»

قال تعالى﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١) [البقرة:٤٤].

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف:٣].

وقال تعالى مخبراً عن شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود:٨٨].

وقال تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَقْتَابُ بَطْنِهِ ـ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا**

---

(١) قال السعدي ـ رحمه الله ـ في «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٤٢): وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» متفق عليه[١].

وعن جندب بن جنادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**» صحيح، رواه الطبراني[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى نَاسٍ، تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**» صحيح، رواه أحمد وابن حبان[٣] وغيرهما.

وقال ﷺ في حديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار: «**...وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**» رواه مسلم[٤] عن أبي هريرة ﷺ.

قال الناظم:

---

(١) «البخاري» والسياق له (٣٢٦٧)، «مسلم» (٢٩٨٩).

(٢) «المعجم الكبير» (١٦٨٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٣١)، وحسنه شيخنا الوادعي في تعليقه على «تفسير ابن كثير (١/ ١٦٤).

(٣) «المسند» (١٣٥١٥)، «صحيح ابن حبان» (٥٣)، صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٣٥)، «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٥)، «الصحيحة» (٢٩١).

(٤) «مسلم» (١٩٠٥).

وعــالم بعلمــه لم يعمــلن معـذب من قبـل عباد الوثن

(١) انسلخ من العلم و الإيمان فأتبعه الشيطان.

قال تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[١][الأعراف:١٧٥-١٧٦].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٢]ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: علمناه كتاب الله فصار العالم الكبير، والحبر النحرير ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإنَّ العلم بذلك يُصيِّر صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع

(١) ذكرت بعض كتب التفسير أن هذا الرجل هو بلعام بن باعوراء، كما في «أسباب النزول» للواحدي، و«تفسير ابن كثير»، و«البداية والنهاية».

وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٨٧): إن هذا الرجل هو بلعام بن باعوراء وهذا مذهب الجمهور. وذكرت بعض كتب التفسير أنه «أمية بن أبي الصلت»، ولكن قال الإمام ابن جرير الطبري في «تفسيره»: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه أمر نبيه أن يتلو على قومه خبر رجل كان صالحاً آتاه الله حججه وأدلته، وهي الآيات...وجائز أن يكون «أمية» ولا خبر بأيِّ الرجلين المعنيِّ يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أي ذلك المعنيِّ به من أيٍّ، فالصواب: أن يقال فيه ما قال الله، ونقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٣٣٩).

اللباس، فلما انسلخ ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزَّه إلى المعاصي أزّاً ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ بعد أن كان من الراشدين المرشدين، وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة فيتحصن من أعدائه ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ﴾ فعل ما يقتضي الخذلان إذ ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إلى الشهوات السفلية والمقاصد الدنيوية ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وترك طاعة مولاه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾أي: لا يزال لاهثاً في كل حال، وهذا لا يزال حريصاً، حرصاً قاطعاً قلبه لا يسد فاقته شيء من الدنيا ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بعد أن ساقها الله إليهم فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله واتباعهم لأهوائهم بغير هدى من الله.

وقال العلامة ابن القيم[1]ـ رحمه الله ـ تحت هذه الآية: وهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه، وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه وذلك من وجوه.

- **أحدها**: أنَّه ضل بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً.
- **ثانيها**: أنَّه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً فإنَّه انسلخ من الآيات بالجملة، كما تنسلخ الحية من قشرها ولو بقي معه شيء لم ينسلخ منها.

(١) «الضوء المنير على التفسير» (٣/ ٢٢٤-٢٢٦).

- **ثالثها**: أنَّ الشيطان أدركه ولحقه، بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ولم يقل تبعه، فإنَّ معنى أتبعه: أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.
- **رابعها**: أنَّه غوى بعد الرشد. والغي: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أنَّ الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.
- **خامسها**: أنَّه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، لأنه لم يرفع به، فصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.
- **سادسها**: أنَّه سبحانه أخبر عن خسة همته، وأنَّه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى .
- **سابعها**: أنَّ اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكن كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك. وأصل الإخلاد: اللزوم على الدوام، كأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض، ومن هذا يقال: أخلد فلان بالمكان إذا لزم الإقامة به. قال مالك بن نويرة:

بأبناء حي من قبـائل مـالك وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض، لأن الدنيا هي الأرض وما فيها، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع.

- **ثامنها**: أنَّه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إماماً يقتدي به ويتبعه.
- **تاسعها**: أنَّه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة، وأسقطها نفساً، وأبخلها وأشدها كَلَبَاً، ولهذه سمي كَلباً.
- **عاشرها**: أنَّه شبه لهثه على الدنيا، وعدم صبره عنها، وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد

وهكذا، هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا، وإن وعظ وزجر فهو كذلك، فاللهث لا يفارقه في كل حال، كلهث الكلب.

قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث، فإنما يلهث من إعياء، أوعطش، إلا الكلب فإنِّه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال الري، وحال العطش، فضرب به الله مثلاً لهذا الكافر، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث، وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب، وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أخس ما يكون وأشنعه، فهذا حال العالم المؤثِر الدنيا على الآخرة.

وأما العابد الجاهل: فآفته من إعراضه عن العلم وأحكامه، وغلبة خياله وذوقه، ووجده وما تهواه نفسه.

ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره: احذروا فتنة العالم الفاجر، وفتنة العابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا بجهله يصد عن العلم وموجبه، وذاك بغيه يدعو إلى الفجور.

قلت: ذكر الله تعالى قصة هذا الرجل العالم من بني إسرائيل، وأنَّه كان مؤمناً علَّمه الله علماً عظيماً، ولكنه فُتن بالدنيا وزخرفتها، وفُتن بالمال فترك العلم والإيمان، وران على قلبه حب الدنيا، فلم ينتفع بالعلم الذي تعلمه، وسواء جاءته الحكمة، وسمع الموعظة والنصيحة أو لم يسمع، فإنه لا يرعوي، ولا ينزجر، ولا يفكر، ولا يعتبر، ولا ينظر، ولا يستبصر ولا ينتفع بما يسمع، بل أصبح كالكلب يلهث دائماً، سواء تركته أو حملت عليه، فهو على الحالتين سواء، وهذا المثل ضربه الله لكل من ترك عبادة الله ودين الله، فأصبح لا ينتفع بالنصيحة، ولا بالموعظة، ولا بالتوجيه ولا بالمحاضرة، ولا بالخطبة ولا بالشريط النافع، فقد أشرب حب

الدنيا في قلبه، وهذا كله بعد ما عرف الحق وآمن به وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**» رواه مسلم(١) وغيره عن عمر رضي الله عنه.

فكان هذا العالم ممن لم يرفعه الله بعلمه، بسبب إخلاده إلى الدنيا وزينتها واتباعه لهواه قال تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف:١٧٦] وهذا حال كل من اغتر بالحياة الدنيا وزينتها وزخارفها، ولم يعمل بعلمه، ولم ينتفع بتوجيهات ربه حيث قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥].

ولا بتوجيهات نبيه ﷺ القائل: «**...فَوَاللهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوا فِيهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**» متفق عليه عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه(١).

والقائل ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**» **صحيح**، رواه أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان(٢) عن كعب بن عياض.

فكم من عالم قد فُتن بهذه الدنيا، وكم من خطيب وواعظ مؤثر كان يهز المنابر فصاحة وبلاغةً، فأصبح اليوم يلهث وراء الدنيا، وترك المنابر والمحابر والدفاتر، وكم من طالب علم عُرف بالرحلة والطلب ومتابعة حِلق العلم والدروس من بلد إلى بلد، فأصبح اليوم يرحل من أجل الدينار والدرهم ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[النمل:٢٤] فآثروا العاجل على الآجل، فكانوا والله يفرحون بتحصيل الفوائد والفرائد فأصبحوا اليوم يفرحون بتحصيل

---

(١) «مسلم» (٨١٧)، و«أحمد» (٢٣٢)، و«ابن ماجه» (٢١٨).

(١) «البخاري» (٣١٥٨)، «مسلم» (٢٩٦١).

(٢) «المسند» (١٧٤٧١)، «سنن الترمذي» (٢٤٣٩)، «المستدرك» (٧٩٧٧)، «صحيح ابن حبان» (٣٢١٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٠٥).

الموائد والترف الزائد، كان حديثهم إذا جلسوا في العلم والمذاكرة، فأصبح حديثهم اليوم في الدنيا والمهاترة، وغفلوا عن الموت والآخرة، قال الله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

وقال سبحانه ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١].

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

(٢) الأرض تلفظ كاتب الوحي الذي تنصر.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: «كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَانْطَلَقَ هَارِباً حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذًا» رواه مسلم[١].

وروى الإمام أحمد[٢] بسند صحيح عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ قَرَأَ: الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ: الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا ـ يَعْنِي عَظُمَ ـ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يُمْلِي عَلَيْهِ «غَفُوراً رَحِيماً»، فَيَكْتُبُ «عَلِيماً حَكِيماً»، وَيُمْلِي عَلَيْهِ «عَلِيماً حَكِيماً»، فَيَكْتُبُ «سَمِيعاً بَصِيراً»، فَيَقُولُ: «اكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ» فَارْتَدَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِمُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتُ لَأَكْتُبُ مَا شِئْتُ، فَمَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ» قَالَ أَنَسٌ: فَحَدَّثَنِي أَبُو طَلْحَةَ: «أَنَّهُ أَتَى الْأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَوَجَدَهُ مَنْبُوذًا، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: مَا شَأْنُ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالُوا: قَدْ دَفَنَّاهُ مِرَارًا فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْأَرْضُ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على القصة[٣]: فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما

---

(١) «مسلم» (٢٧٨١).

(٢) «المسند» (١٢٢١٥).

(٢) «الصارم المسلول» (٢/ ٢٣٣).

قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ﷺ ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه، ولكذب الكاذب إذا لم يمكن للناس أن يقيموا عليه الحد.ا.هـ.

(٣) نبأ عظيم بإلحاد علامة القصيم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

لعل من أشهر المنتكسين في هذا العصر، عبد الله القصيمي(١)، الذي نال من العلم كثيراً وبرع فيه، وخاصة علم العقيدة، وأثنى عليه معاصروه، وجرد قلمه في الرد على مخالفي أهل السنة والجماعة، وعلى القادحين في الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ رد على الدجوي في كتابه: «البيارق النجدية»، وألف كتابه: «الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم»، وله كتاب على الوثنية يقال: إنه من أروع ما كتب في هذا المجال.

قال عنه معاصروه: إننا لم نره قط إلا وقد تأبط كتاباً، و كان مولعاً بقراءة صحيح البخاري، ومن المعلوم أن انتكاس العابد غير مستغرب، ولكن العجب هو انتكاس العلماء، الذين وصفهم الله بأنهم أشد الناس خشية لله تعالى، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] ولكن هذا الرجل كان به آفة، كانت تنخر به ولم يوقف جماحها، ولم يبادر في معالجتها، ولم يحرص على استئصالها من شأفتها، فقضت عليه قضاءً مبرماً، وأردته خارج دائرة الإيمان، مرتداً عن الإسلام، كافراً بالرحمن، وهذه الآفة ألخصها بنقاط:

- تحقير الآخرين.
- الثناء على النفس وتزكيتها.

(١) عبد الله بن القصيمي، ولد سنة (١٣٢٣هـ) في منطقة القصيم، وتلقى تعليمه الابتدائي في القصيم، ثم التحق بالأزهر، وتوفى سنة (١٤١٧هـ) في القاهرة ودفن بها، وأقام في القاهرة مدة أربعين سنة.

- الحسد لمن قبله، من أنداده من أهل العلم، وقرنائه كما يزعم﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف:٣٢].

وجميع هذه النقاط يجمعها الغرور والإعجاب بالنفس، وقد شهد لهذه الآفة أشعاره التي يبدأ بها في كتبه، ومن ذلك قوله:

لو أنصفوا كنت المقدم في الأمر ... ولم يطلبوا غيري لدى الحادث النكر
ولم يرغبوا إلا إليَّ إذا ابتغوا ... رشاداً وحزماً يعذبان عن الفكر
ولم يذكروا غيري متى ذكروا الذكا ... ولم يبصروا غيري لدى غيبة البدر
فما أنا إلا الشمس في غير برجها ... وما أنا إلا الدر في لجج البحر
بلغت بقولي ما يرام من العـــلا ... فما ضرني نقد الصوارم والسمر
أسفت على علمي المضاع ومنطقي ... وقد أدركا لو أدركا غاية الفجر
أرى كل قوم يحفظون أديبهم ... ويحزونه بالعز والمال والشكر
خلا معشري ما عندهم لأديبهم ... سوى الحسد الممقوت والبغض والهجر
إذا قام فيهم ناشئ ذو مخيل ... تدل على العلياء والحسب الحر
أطاحوه غضاً قبل أن يبلغ المدى ... وقاموا على أعواده الخضر بالكسر
ومما شجاني أن أراهم إذا رأوا ... غبياً دعي العلم والدين والشعر
تولوه بالألطاف والعطف والرضا ... وذلوا له ذل الحوادث للدهر
فكم عز فيهم من جهول مبلد ... وكم ذل منهم من عليم ومن حبر
لقد ضقت ذرعاً بالبيان فإنني ... رأيت بياني ناقصاً عندهم قدري
ورغبني في الجهل أني رأيتنا ... يسود لدينا كل من لم يكن يدري
نوائب دهـــــر تترك الحر حائراً ... وليس بمظلوم لديه سوى الحر

وقال أيضاً:

حاشا لهم أن يعدلوا بي واحداً — من بعد ما وضحت لهم أنبائي
وأعيذهم من أن يعيل أديبهم — وأديب كل الناس في النعماء
عابوا عليَّ تحدثي وتمدحي — بأصالتي وشجاعتي وذكائي
إن لم يبح مدح الفتى أخلاقه — بيضاً فأي تمدح وثناء

أقوال عبد الله القصيمي بعد إلحاده:

- إن الإسلام هو الذي أخر متبعيه.
- وإنهم لا يسيرون مع ركب الأمم المتقدمة إلا بترك هذا الدين.
- تسميته لأوامر الدين ونواهيه أغلالاً، وله كتاب بعنوان: «**الأغلال**»[1].

---

(١) انظر كتاب من «أخبار المنتكسين» (ص:٣٢٤-٣٣٦)، وكتاب «عبد الله القصيمي وجهة نظر أخرى، ترجمته سبب إلحاده، كتبه الإسلاميه، ردود العلماء والكتاب عليه» وهو مجلد ضخم لسليمان بن صالح الخراشي.

وقد رد على عبد الله القصيمي مجموعة من العلماء منهم:

- إمام الحرم المكي، أبو السمح محمد بن عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه المصري، المتوفى سنة (١٣٧٠) في كتابه «حياة القلوب» وهو مطبوع متداول.
- العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المتوفى سنة (١٣٧٦)، في كتابه «تنزية الدين وحملته عما افتراه القصيمي في أغلاله».
- الشيخ العلامة إبراهيم السويح، المتوفى سنة (١٣٦٩) في كتابه «بيان الهدى والضلال في الرد على صاحب الأغلال».
- الشيخ العلامة محمد بن عبد الرزاق المصري المكي، المتوفى سنة (١٣٩٢) في كتابه «الشواهد والنصوص من الأغلال على ما فيه من زيغ وضلال».
- عبد الله بن يابس النجدي المتوفى سنة (١٣٨٩) في كتابه «الرد على ملحد القصيم»، قال عنه العلامة ربيع بن هادي المدخلي في كتابه «جماعة واحد لا جماعات» : رد فيه على عبدالله القصيمي المرتد الملحد وهو كتاب عظيم، أعتقد أنه لا نظير له في تدمير الإلحاد بأصنافه، يقع في ثلاثة وأربعين وأربعمائة صفحة.
- العلامة مقبل بن هادي الوادعي، قال في «السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة» (ص:٢٨٢-٢٨٣): فهذا عبد الله القصيمي معاصر ما له منذ توفي إلا مدة قصيرة، رد على الرافضة فأحسن، ثم

قلت: انظر ـ عافانا الله وإياك ـ: إلى هذا البائس كيف انسلخ من إيمانه وارتد بعد إسلامه، فمسخ ظاهره وباطنه، فبُدِل بلباس الإيمان، لباس الكفر والفسوق والعصيان، وبدل بموالاة المؤمنين، موالاة الكافرين، وبدل بزجل العلم والتسبيح والتقديس والتهليل، زجل الشرك والكفر والكذب والزور والفحش، وبدل بمحاربة الكافرين، محاربة المؤمنين، وبمحاربة الشرك، محاربة التوحيد، وبمحاربة البدعة، محاربة السنة، وبمحاربة المعصية، محاربة الطاعة، وبسماع القرآن، سماع اللهو والمجون، وبصحيح البخاري، كتب أهل الضلال والانحراف، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من مرتبة العلم والإيمان إلى أسفل سافلين، والعياذ بالله رب العالمين من سوء العاقبة والخاتمة.

لذلك ـ إخواني في الله ـ ينبغي للعالم ولطالب العلم أن يصحح نيته وقصده، إذ فقدان الإخلاص يمنع قبول الأعمال، فمن أراد الله به خيراً رزقه حسن القصد في طلب العلم، فهو يحصله لينتفع به، ويقرب من خالقه، ويزداد خشية لربه، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]، هذه هي ثمرة العلم، الخشية لله والقرب منه، والتذلل له والانكسار بين يديه.

ولذلك يقول ابن الجوزي(١)ـ رحمه الله ـ: لما رأيت نفسي في العلم حسناً، فهي تقدمه على كل شيء، وتعتقد الدليل، و تفضل ساعة التشاغل به على ساعات

تصارع مع يوسف الدجوي وغيره من الأزهريين فغلبهم، وبعده أراد أن يرد على الفلاسفة.. وقطع شوطاً في الرد عليهم، ثم تشكك، ثم ارتد والعياذ بالله، وصار يهاجم الإسلام بالمقالات والكتب حتى مات. أخبرنا شيخنا عبد العزيز السبيل أن رجلاً نجدياً التقى به بلبنان فصار النجدي يؤبد النظر إليه، فقال : ما لك تنظر إلي؟ فقال: آسفُ عليك وعلى علمك! فبكى عبد الله القصيمي، وقال: أحذركم من الكتب الزائغة. وبقي على ردته حتى توفي، فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، ومن الارتداد على الأعقاب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) «صيد الخاطر» (ص:١١٨-١١٩).

النوافل، و تقول: أقوى دليل لي على فضله على النوافل، أني رأيت كثيراً ممن شغلتهم نوافل الصلاة والصوم عن نوافل العلم، عاد ذلك عليهم بالقدح في الأصول، فرأيتها في هذا الاتجاه على الجادة السهلة و الرأي الصحيح،إلا أني رأيتها واقفة مع صورة التشاغل بالعلم، فصحت بها: فما الذي أفادك العلم؟ أين الخوف؟ أين القلق؟ أين الحذر؟

أو ما سمعت بأخبار أخيار الأحبار في تعبدهم و اجتهادهم؟

أما كان الرسول ﷺ سيد الكل، ثم إنه قام حتى ورمت قدماه؟

أما كان أبو بكر رضي الله عنه شجي النشيج، كثير البكاء؟

أما كان في خد عمر رضي الله عنه خطان من آثار الدموع؟

أما كان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة؟

أما كان علي رضي الله عنه يبكي بالليل في محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع؟ و يقول: «**يا دنيا غُرِّي غيري**».

أما كان الحسن البصري يحيا على قوة القلق؟

أما كان سعيد بن المسيب ملازماً للمسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

أما صام الأسود بن يزيد حتى اخضر و اصفر؟

أما قالت بنت الربيع بن خيثم له: «**مالي أرى الناس ينامون و أنت لا تنام؟**» فقال: «**إن أباك يخاف عذاب البيات**».

أما كان أبو مسلم الخولاني يعلق سوطاً في المسجد يؤدب به نفسه إذا فتر؟

أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة؟ و كان يقول: «**والهفاه سبقني العابدون، و قُطع بي**».

أما صام منصور بن المعتمر أربعين سنة؟

أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف؟

أما كان إبراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف؟

أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة، في زهدهم، و تعبدهم، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؟

فاحذري من الإخلاد إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى الزمنى.اهـ.

(٤) من خطيب جمعة مكين إلى حارس أحذية المصلين ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾

ذكر العلامة المحدث أحمد محمد شاكر[١] ـ رحمه الله ـ: عن أحد خطباء مصر وهو محمد المهدي خطيب مسجد عزبان، وكان فصيحاً متكلماً مقتدراً، وأراد ذلك الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر، عندما أكرم «طه حسين» الأديب الأعمى بإرساله للدراسة في فرنسا.

فقال هذا الخطيب في خطبته: «**ما عبس وما تولى لما جاءه الأعمى**».

أي: أن الملك فؤاد الأول أفضل من الرسول ﷺ، لأن الرسول ﷺ عبس وتولى عندما جاءه الأعمى «ابن أم مكتوم» **لكن هذا**: ما عبس ولا تولى، بل بعثه إلى فرنسا، فأخذ الدكتوراة وأتى.

وكان الشيخ محمد شاكر، والد الشيخ أحمد محمد شاكر حاضراً لخطبة الجمعة، فلما سمع هذه الكلمة ما تحملها، فما كان منه إلا أن قام بعد صلاة الجمعة، وقال: أيها الناس أعيدوا الصلاة فإن صلاتكم باطلة، والخطيب كفر بما شتم الرسولﷺ، أي: تعريضاً لا تصريحاً، وأمرهم أن يعيدوا الصلاة فأعادوها ظهراً.

يقول العلامة أحمد محمد شاكر: لكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الآخرة، فأُقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين، وبعد أن كان عالياً منتفخاً مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، **رأيته ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار**، حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه فما

---

(١) مقالات وأبحاث أحمد محمد شاكر «كلمة الحق» (ص: ١٤٩-١٥٠) ملخص بتصرف.

كان موضعاً للشفقة ولا شماتة فيه، فالرجل يسمو على الشماتة ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.

الفصل التاسع عشر

الفصل التاسع عشر

خطر الإعراض عن مجالس العلم والذكر بغير عذر

قال تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [المدثر:٤٩-٥١].

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[طه:١٢٤].

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢] .

(١) أما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِباً، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ، عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ» متفق عليه(١).

قال المباركفوري(٢) ـ رحمه الله ـ: قال العلماء: معنى «**أوى إلى الله**» أي: لجأ إليه.

قال القاضي ـ رحمه الله ـ: وعندي أن معناه هنا دخل مجلس ذكر الله تعالى، أو دخل مجلس رسول الله ﷺ، ومجمع أوليائه، وانضم إليه.

ومعنى: «**آواه الله**» أي: قبله وقربه.

وقيل: معناه رحمه، أو آواه إلى جنته، أو كتبها له.

«**وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه**»:

قال النووي(٣) ـ رحمه الله ـ: أي ترك المزاحمة والتخطي حياء من الله تعالى، ومن النبي ﷺ والحاضرين، أو استحيا منهم أن يعرض ذاهباً كما فعل الثالث، فاستحيى الله منه، أي: رحمه ولم يعذبه، بل غفر ذنوبه.

وقيل: جازاه بالثواب. قالوا: ولم يلحقه بدرجة صاحبه الأول في الفضيلة، الذي آواه وبسط له اللطف وقربه.

---

(١) «البخاري» (٦٦)، «مسلم» (٢١٧٦).
(٢) «تحفة الأحوذي» (٧/ ٥١٠-٥١١).
(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٤٠٩).

«وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» أي: لم يرحمه.

وقيل: سخط عليه. وهذا محمول على أنه ذهب معرضاً لا لعذر وضرورة.اهـ.

وقال الحافظ[١] ـ رحمه الله ـ: أي سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضاً لا لعذر، هذا إن كان مسلماً، ويحتمل أن يكون منافقاً، واطلع النبي ﷺ على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ: «**فأعرض الله عنه**» إخباراً، أو دعاء، ووقع في حديث أنس رضي الله عنه فاستغنى، فاستغنى الله عنه.

وهذا يرشح كونه خبراً، وإطلاق الإعراض وغيره في حق الله تعالى على سبيل المقابلة والمشاكلة، فيحمل كل لفظ منها على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وقال القاضي عياض[٢] ـ رحمه الله ـ: «**وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**» أي: لم يرحمه وسخط عليه، وهو معنى الإعراض من الله تعالى؛ لأن من أعرض عن نبيه ﷺ، وزهد فيه فليس بمؤمن، فيكون إعراض الله تعالى عنه، ترك رحمته وعفوه، وتقريبه وقبوله الذي أعطاها صاحبيه، فلم يثبت له حسنة ولا نفى عنه سيئة، إذ لم يكن منه ما يثاب بذلك.

وقال القرطبي[٣] ـ رحمه الله ـ: « **وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**»: إن كان هذا المعرض منافقاً، فإعراض الله تعالى عنه تعذيبه في نار جهنم، وتخليده فيها في الدرك الأسفل منها.

وإن كان مسلماً، وإنما انصرف عن الحلقة لعارض عرض له فآثره، فإعراض الله تعالى عنه منع ثوابه عنه، وحرمانه مجالسة النبي ﷺ، والاستفادة منه، والخير الذي حصل لصاحبيه.

(١) «الفتح» (١/ ١٨٩-١٩٠).
(٢) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» (٧/ ٦٧) رقم (٢١٧٦) «باب من أتى مجلساً فوجد فرجة».
(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/ ٥٠٩) رقم (٢٨٦) «باب: من رأى فُرْجَة في الحلقة جلس فيها».

قلت: وقد ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في كتابه الماتع «أضواء البيان»(٤) **عشر عقوبات لمن أعرض عن مجالس العلم والإيمان**، فقال:

من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكرة:

- **أن صاحبه من أعظم الناس ظلماً**، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف:٥٧].
- **جعل الأكنة على القلوب، حتى لا تفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً**، قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧].
- **انتقام الله عز وجل ممن أعرض عن التذكرة**، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].
- **المعرض كالحمار**، قال تعالى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر:٤٩-٥١].
- **الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود**، قال تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣].
- **المعيشة الضنك والعمى**، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].
- **سلكه العذاب الصعد**، قال تعالى ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].
- **تقيُّض القرناء من الشياطين**، قال تعالى ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

---
(٤) «أضواء البيان» (٤/ ١٤٢-١٤٣).

- **الإعراض عن المتولي عن ذكر الله، القاصر نظره على الحياة الدنيا،** قال تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠].
- **النهي عن طاعة المتولي عن الذكر والغافل عنه،** قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨].

الفصل العشرون

الفصل العشرون

المعصية وأثرها على العالم والمتعلم

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ..» **صحيح**، رواه أحمد والطبراني والبيهقي[(١)].

قال ابن القيم[(٢)] ـ رحمه الله ـ: فمما ينبغي أن يُعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولا بد، وأنّ ضررها في القلوب كضرر السموم على الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟

---

(١) أحمد (٣٨١٨) والطبراني في «الكبير» (١٠٥٠٠) و«الأوسط» (٢٥٥٠) والبيهقي في «الشعب» (٢٨٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٠٢) و«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٧٠).

(٢) «الداء والدواء» (ص:٦٥-٨٥).

(١) قبل هدية السلطان فسُلِبَ فهم القرآن.

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: لأصحاب الحديث أعلمتم أني كنت قد أوتيت فهم القرآن فلما قبلت الصُّرَّة من أبي جعفر يعني يحيى بن خالد البرمكي سلبته، فنسأل الله تعالى المسامحة

وكان ابن عيينة يقول: اللهم إنه كفاني أمر دنياي، فاكفه أمر آخرته، فرؤي البرمكي في النوم بعد موته، فقال: ما نفعني شيء ما نفعتني دعوة سفيان، أو نحو ذلك[١].

قال العلامة ابن عثيمين[٢] ـ رحمه الله ـ: الصرة، يعني من السلطان، لما أعطاه سلب فهم القرآن، وهؤلاء هم الذين يدركون الأمور ولهذا يتحرَّز السلف من عطايا السلطان، ويقولون: إنهم لا يعطوننا إلا ليشتروا ديننا بدنياهم، وتجدهم لا يقبلونها، ثم إنَّ السلاطين فيما سبق قد تكون أموالهم مأخوذة من غير حلها، فيتورعون عنها أيضاً من هذه الناحية، ومن المعلوم أنَّه لا يجوز للعالم أن يقبل هدية السلطان، إذا كان السلطان يريد أن تكون هذه العطية مطية له، يركبها متى شاء بالنسبة لهذا العالم، أمَّا إذا كانت أموال السلطان نزيهة، ولم يكن يقبل الهدية منه ليبيع دينه بها، فقد قال النبي ﷺ لعمر: «**مَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ، وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**»[٣].

وغرض سفيان ـ رحمه الله ـ من ذلك التحذير من هذا، وتبكيت نفسه على ما صنع.

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة» (ص:١٢)، «الآداب الشرعية لابن مفلح» (٣/ ٢٨٤)، «حلية طالب العلم» (ص:٧).

(٢) «شرح حلية طالب العلم» (ص: ٢٤).

(٣) رواه «البخاري» (١٤٧٣) و«مسلم» (١٠٤٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) مَن أتَى أبوابَ السلاطين افتتن.

قال ابن الجوزي[١] ـ رحمه الله ـ: كنت في بداية الصبوة، قد أُلهمت سلوك طريق الزهاد، بإدامة الصوم والصلاة وحُببت إليَّ الخلوة، فكنت أجد قلباً طيباً، وكانت عين بصيرتي قوية الحدة، تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات، ولي نوع أنس وحلاوة مناجاة، فانتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسنُ كلامي، فأمالني إليه فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة، ثم استمالني آخر، فكنت أتقي مخالطته ومطاعمه، لخوف الشبهات، وكانت حالتي قريبة، ثم جاء التأويل، فانبسطت فيما يباح، فانعدم ما كنت أجد من استنارة وسكينة، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب إلى أن عدم النور كله.

قلت: وهذا مصداق لقوله ﷺ: «**مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْباً، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْداً**» **صحيح**، رواه أحمد عن أبي هريرة وابن عباس والبراء رضي الله عنهم[٢].

ومعنى: «**من أتى أبواب السلاطين افتتن**» أي: من أتاهم من غير ضرورة وحاجة لمجيئه افتتن في دينه.

وفي «مختار الصحاح»: افتتن الرجل وفتن فهو مفتون، إذا أصابته فتنة، فذهب ماله وعقله، والمراد هاهنا ذهاب دينه، قاله في مرقاة الصعود.

وقال العزيزي: لأنه إن وافقه في مراده خاطر بدينه، وإن خالفه خاطر بروحه[١].اهـ.

(١) «صيد الخاطر» (ص: ١٢٧ - ١٢٨).

(٢) «المسند» (٨٨٣٦) وصححه العلامة الألباني في «الصحيح» (١٢٧٢) و«صحيح الجامع» (٦١٢٤).

وقال المناوي(١) ـ رحمه الله ـ: «**ومن أتى أبواب السلطان افتتن**» وذلك لأن الداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تنعمهم فيزدري نعمة الله عليه.

أو يهمل الإنكار عليهم مع وجوبه فيفسق، فتضيق صدورهم بإظهار ظلمهم وبقبيح فعلهم.

وإما أن يطمع في دنياهم وذلك هو السحت.اهـ.

قال ابن الجوزي(٢) ـ رحمه الله ـ: ومن تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه

الأول: الأمير يقول: لولا أني على صواب لأنكر علي الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي

والثاني: العامي يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده.

والثالث: الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك، وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان، فيقول إنما ندخل لنشفع في مسلم، وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك، وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان.

ومن تلبيس إبليس عليه في أخذ أموالهم، فيقول لك فيها حق، ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء، وإن كانت من شبهة فتركها أولى، وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين، لا على وجه اتفاقه في إقامة

---

(١) «عون المعبود» (٨/ ٤٣) و«مختار الصحاح» مادة «فتن» (ص:٤٩٠).

(١) «فيض القدير» (٦/ ١٢٢).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص:١١٨-١١٩).

الرعونة، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح، وقد لبس إبليس على قوم من العلماء، ينقطعون على السلطان إقبالاً على التعبد والدين، فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء، فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس، وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم، لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم، وإنعامهم، أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم.اهـ.

قلت: الأصل في دخول العلماء على الأمراء الجواز، فإذا اقترن بالدخول أمرٌ يحمد شرعاً، كان الدخول مستحباً أو واجباً، وإذا اقترن بالدخول أمر مذموم شرعاً، كان الدخول منهياً عنه، لا لذاته، بل لما اقترن به من الأمر المذموم شرعاً، وقد دل على ذلك أدلة خاصة، ثبتت عن النبي ﷺ، وعن صحابته الكرام[1].

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ **في** «جامعه»[2]: وأمّا النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم، ورشدهم، وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل.

إلى أن قال: ومعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأخيار على ذلك.اهـ.

---

(١) وقد تكلم عن هذه المسألة بكلام نفيس الشيخ عبد السلام بن برجس ـ رحمه الله ـ في كتابه «قطع المراء في حكم الدخول على الأمراء».

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص:٧٩).

(٣) حُرِم القيام بسبب إثمٍ من الآثام .

قال سفيان الثوري[١]ـ رحمه الله ـ: **حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أصبته.**

قال أبو سليمان الداراني[٢] ـ رحمه الله ـ: قلّت ذنوبهم فعلموا من أين أوتوا، ونحن كثرت ذنوبنا فلم ندرِ من أين أوتينا.

وقال[٣] ـ رحمه الله ـ: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة حرمت قراءة سورة.

وقال ـ رحمه الله ـ: لا يُفوِّت أحدٌ صلاة جماعة إلا بذنب.

وقال بعضهم[٤]: دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي.

فقلت: أتاك نعي بعض أهلك؟

فقال: أشد.

فقلت: وجع يؤلمك؟

قال: أشد.

قلت: فما ذاك؟

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٧/ ١٨) و«مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة (ص:٨٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٥٤٦) و (٥٣/ ٢٢٦) و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٠٧) رقم (٢٣٣٦) و«صفة الصفوة» (٣/ ١٦٤).

(٣) «الإحياء» (١/ ٣٥٦).

(٤) «الإحياء» (١/ ٤٨٤).

قال: بابي مغلق، وستري مسبل، ولم أقرأ حزبي البارحة، وما ذاك إلا بذنب أحدثته.

وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير.

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات .

قال رجل لإبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواءً؟

فقال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل لمن أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.

قال ﷺ: «...**وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ**[1]...».

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل كبَّلتك خطيئتك.

وقال أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: من أحسن في ليله كُفي في نهاره، ومن أحسن في نهاره كُفي في ليله، ومن صدق في ترك شهوة، كُفي مؤنتها، وكان الله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٩٠) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٨٣١)، و«صحيح الجامع» (٧٣).

وقال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان، لم أوتر البارحة، ولم أصلِ ركعتي الفجر، ولم أصلِ الصبح في جماعة، قال: بما كسبت يداك، والله ليس بظلام للعبيد، شهوة أصبتها[٢].

(٢) انظر هذه الآثار في «الإحياء» (١/ ٤٨٢-٤٨٤).

(٤) ابن سيرين يجد أثر ذنبه بعد سنين.

قال ابن القيم(١) ـ رحمه الله ـ: ذكر عبد الله بن أحمد في كتاب «الزهد» لأبيه، عن محمد بن سيرين: أنَّه لما ركبه الدين اغتم لذلك، فقال: **إني لأعرف هذا الغم بذنب أصبته منذ أربعين سنة.**

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ معلقاً على كلام ابن سيرين: وهاهنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في أمر الذنب، وهي أنهم لا يرون تأثير الذنب في الحال، وقد يتأخر تأثيره فينسى، فيظن العبد أنه لا يُغَبِّرْ بعد ذلك، وأن الأمر كما قال القائل:

إذا لم يُغَبِّر حائطٌ في وقوعه ... فليس له بعد الوقوع غبارُ

(١) «الداء والدواء» (ص:٨٤)، «حلية الأولياء» (٢/٣٠٧)، «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص:٢١٢)، «تاريخ دمشق» (٥٣/٢٢٦).

الفصل الحادي و العشرون

الفصل الحادي والعشرون

التحصن بالأذكار حرز من كل مؤذٍ ضار

الذكر حصن للعبد من شر المخلوقات، وسائر المؤذيات، ومنه الهوى والشهوات، فيتحصن العبد المسلم بالله، ويمضي في حياته على اسمه، بسم الله، يحتمي به العبد من كل سوء ومكروه، ومن كل عين، أو دابة، أو جني، أو شيطان، لأنه السميع لأحواله، العليم بها في سائر أزمنتها، فلا يقع شيء إلا بإذنه.

(١) رجل لم يقل أعوذ بكلمات الله التامات فلدغته عقرب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ» رواه مسلم وغيره[1].

قال القرطبي[2]ـ رحمه الله ـ: هذا خبر صحيح، وقول صادق، علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء، إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات.اهـ.

وقد أورد الترمذي[3] عقب الحديث، عن سهيل بن أبي صالح ـ أحد رواته ـ أنه قال: كان أهلنا تعلموها، فكانوا يقولونها كل ليلة، فلدغت جارية منهم، فلم تجد لها وجعاً.

قلت: والحديث فيه دلالةٌ على فضلِ هذا الدعاء، وأنَّ مَن قاله حين يُمسي يكون محفوظاً بإذن الله مِن أن يَضرَّه لَدْغُ حيَّةٍ، أو عقرَبٍ، أو نحوِ ذلك.

وقوله في الحديث: «أعوذ» أي: ألتجئ.

فالاستعاذة الالتجاء والاعتصام، وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ويحميك من شره، فالعائذ بالله، قد هرب مما يؤذيه، أو يهلكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه.

---

(١) «مسلم» (٢٧٠٩).

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧/ ٣٦) رقم (٢٦٣٥).

(٣) الترمذي في «الدعوات» (٩/ ٤٢٠) مع التحفة، وقد سقط من بعض طبعات «السنن»، ورواه أحمد في «المسند» (٧٨٩٨).

والمراد «**بكلمات الله**»:

قيل: هي القرآن الكريم.

وقيل: هي كلماته الكونية القدرية.

والمراد «**بالتامات**» أي: الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب، كما يلحق كلام البشر.

وقوله: «**من شر ما خلق**»، أي: من كل شر، في أي مخلوق قام به الشر، من حيوان أو غيره، إنسياً كان أو جنياً، أو هامة، أو دابة، أو ريحاً، أو صاعقة، أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة[1].

وقال العلامة ابن القيم[2]ـ رحمه الله ـ: واعلم أن الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً، وإن كان مؤذياً.

والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها، بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه.اهـ.

(١) «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ١٤-١٥).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٦٧).

(٢) نسي أن يقول: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء...فأصيب بالفالج (الشلل).

عَنْ أَبَانِ بن عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ، ـ يَعْنِي ابْنَ عَفَّانَ ﷺ ـ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهَّ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»، قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللهَّ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا» صحيح، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم[1].

قلت: هذا الحديث فيه، أن أبان بن عثمان سمع من عثمان بن عفان رضي الله عنه حديثاً، يرويه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهَّ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ».

وكان أبان بن عثمان قد أصابه الفالج، وهو استرخاء لأحد شقي البدن، لانصباب خلط بلغمي، تنسد منه مسالك الروح، وهو ما يسمى «بالشلل النصفي».

---

(١) «سنن أبي داود» (٥٠٧٧)، «سنن الترمذي» (٣٤٤٨) «سنن ابن ماجه»، (٣٨٦٩) «صحيح ابن حبان» (٢٣٥٢)، «المستدرك» (١٩٤٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٨٨)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢٦٩٨)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٣١٣٤).

فجعل الرجل ينظر إليه، أي: تعجباً وإنكاراً، كأنه يقول له: إنَّك كنت تقول هذه الكلمة، في كل صباح ومساء، فكيف أصابك الفالج، إن كان الحديث صحيحاً؟

فقال له أبان رافعاً لتعجبه: «**فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على النبي ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني، بسبب أني غضبت في هذا اليوم فنسيت أن أقولها**».

قوله في هذا الحديث «**بسم الله**» أي: بسم الله أستعيذ، فكل فاعل يقدر فعلاً مناسباً لحاله عندما يبسمل، فالآكل: يقدر آكل، أي: بسم الله آكل. والذابح: يقدر أذبح، والكاتب: يقدر أكتب، وهكذا.

وقوله: «**الذي لا يضر مع اسمه شيء، في الأرض ولا في السماء**» أي: من تعوذ باسم الله، فإنه لا تضره مصيبة من جهة الأرض، ولا من جهة السماء.

وقوله: «**وهو السميع العليم**» أي: السميع لأقوال العباد، والعليم بأفعالهم، الذي لا تخفى عليه خافية، في الأرض ولا في السماء.

وفي هذا الحديث عبر وفوائد منها:

- أن الغضب آفة تحول بين المرء وعقله.
- إذا أراد الله إنفاذ قدره، صرف العبد عما يحول بينه وبين ذلك.
- الدعاء يرد القضاء.
- قوة يقين السلف الأول بالله، وتصديقهم الجازم بما أخبر به رسول الله ﷺ.

(٣) رجل قتل حيةً بلا إنذار فمات قبل أن يخرج من الدار.

عَنْ أَبِي السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمَاً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» رواه مسلم[١].

قال القرطبي[٢]ـ رحمه الله ـ: قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ: لا يفهم من هذا الحديث أن هذا الجان الذي قتله هذا الفتى كان مسلماً، وأن الجن قتلته به قصاصاً،

---

(١) «مسلم» (٢٢٣٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٩٨).

لأنه لو سلم أن القصاص مشروع بيننا وبين الجن لكان إنما يكون في العمد المحض، وهذا الفتى لم يقصد، ولم يتعمد قتل نفس مسلمة، إذ لم يكن عنده علم من ذلك، وإنما قصد إلى قتل ما سوغ قتل نوعه شرعاً، فهذا قتل خطأ ولا قصاص فيه. فالأولى أن يقال: إن كفار الجن، أو فسقتهم، قتلوا الفتى بصاحبهم عدواً وانتقاماً.اهـ.

قلت: لقد أعطى الله سبحانه وتعالى الجن قدرة على التشكل في صور مختلفة، كصور الحيوان، مثل: الجمل، أو الحمار، أو البقر، أو الكلب، أو القط، أو الغنم، أو الخيل، أو البغال، أو الطيور، أو على صور بني آدم، وقد قال الرسول ﷺ: «**الْجِنُّ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَّاتٌ وَكِلابٌ، وَصِنْفٌ يَحِلُّونَ وَيَظْعَنُونَ**» صحيح، رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في الأسماء والصفات[١].

وأكثر ما تتشكل بالأسود من الكلاب والقطط.

وقد أخبر الرسول ﷺ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة، وعلل ذلك بأن: «**الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**» رواه مسلم[٢].

يقول ابن تيمية[٣] ـ رحمه الله ـ: الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذلك بصورة القط الأسود، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٥٧٣) والحاكم (٣٧٥٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢٧) عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١١٤) و«المشكاة» (٤١٤٨).

(٢) «مسلم» (٥١٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٥٢).

تنبيهات مهمة حول قتل حيات البيوت:

- حكم الإنذار خاص بالحيات دون غيرها.
- ليس كل الحيات، بل الحيات التي نراها في البيوت دون غيرها.

أمّا التي نشاهدها خارج البيوت، فنحن مأمورون بقتلها، لأنها من الفواسق التي تقتل في الحل والحرم.

- إذا رأينا حيات البيوت فنؤذنها، أي نأمرها بالخروج، كأن نقول: «**أقسم عليك بالله أن تخرجي**[1] **من هذا المنزل، وأن تبعدي عنا شرك وإلا قتلناك**».

فإن رؤيت بعد ثلاثة أيام قتلت، وهو مذهب الجمهور، وهذا عام في بيوت المدينة وغيرها على الصحيح، لوجود مسلمي الجن في المدينة وغيرها.

- السبب في قتلها بعد ثلاثة أيام، أننا تأكدنا أنها ليست جنّاً مسلماً، لأنها لو كانت كذلك، لغادرت المنزل.

فإن كانت أفعى حقيقية فهي تستحق القتل، وإن كانت جنّاً كافراً متمرداً فهو يستحق القتل، لأذاه وإخافته لأهل المنزل، ولن يجعل الله له سبيلاً للانتصار عليكم بثأره، بخلاف العوامر ومن أسلم.

يستثنى من جنان البيوت نوع يقتل بدون استئذان، ففي «صحيح البخاري»[2]، عن أبي لبابة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «**لاَ تَقْتُلُوا الجِنَّانَ، إِلَّا كُلَّ أَبْتَرَ ذِي طُفْيَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الوَلَدَ، وَيُذْهِبُ البَصَرَ فَاقْتُلُوهُ**».

---

(١) قال شيخنا العلامة مقبل الوادعي ـ رحمه الله ـ في «إجابة السائل» (ص:٣٥١) و«غارة الأشرطة» (١/ ٣٨٠): وإذا وجد أحد في بيته حية فلينذرها ثلاثاً، يقول: «أسألك بالله أن تخرجي من بيتي». وأما حديث: «أسألك بالعهد الذي أخذه عليكِ سليمان» ففيه ضعف.

(٢) «البخاري» (٣٣١١).

الفصل الثاني و العشرون

الفصل الثاني والعشرون

الزجر بالهجر

هجر أهل البدع والمعاصي مشروع بالكتاب والسنة والإجماع:

أولاً: أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[هود:١١٣].

قال العلامة القرطبي[١]- رحمه الله - في معنى الآية: الصحيح أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي، من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم إما كفر أو معصية، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة.اهـ.

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٠].

قال العلامة القرطبي[٢]- رحمه الله -: فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي، إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا

---

* قال السيوطي: وقد ألَّفت مؤلفاً سميته «الزجر بالهجر» لأني كثير الملازمة لهذه السنة.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٩٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٣٥٧).

بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم، حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

وقال: وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي كما بينا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى.اهـ.

وقال تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

قال القرطبي(١) ـ رحمه الله ـ: استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية، وترك مجالستهم.

قال أشهب عن مالك ـ رحمه الله ـ: لا تجالس القدرية وعادهم في الله، لقوله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

قال القرطبي: وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان.

ثانياً: الأدلة من السنة على مشروعية هجر أهل البدع والمعاصي:

فقد ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث متكاثرة أنه هجر أهل المعاصي حتى تابوا، ثبت ذلك في وقائع متعددة، رواها عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم كعب بن مالك، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وأنس، وعمار، وعلي، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم رضي الله عنهم.

ثالثاً: الإجماع: فقد نقله غير واحد من أهل العلم، منهم ابن عبد البر، والقاضي أبو يعلى، والبغوي، وغيرهم.

قال القاضي أبو يعلى(٢) ـ رحمه الله ـ: بعد أن تكلم عن هجر أهل المعاصي والبدع، قال: **هو إجماع الصحابة والتابعين.**

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٧٦).

وقال ابن عبد البر[١]ـ رحمه الله ـ: أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يولد به على نفسه مضرة في دينه، أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده، وربَّ صرم جميل خير من مخالطة مؤذية.

وقال أيضًا[٢] **في حديث كعب بن مالك، وهجر النبي ﷺ له، هو والمسلمون:** وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهُجرته وقطع الكلام معه، وقد حلف ابن مسعود ﷺ أن لا يكلم رجلًا رآه يضحك في جنازة .

وقال البغوي[٣]ـ رحمه الله ـ: بعد حديث كعب بن مالك ﷺ، وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق، حين تخلفوا عن الخروج معه، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، **وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين** على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم.اهـ.

---

(٢) في كتابه «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص:١٨٩-٢٠٠).

(١) «التمهيد» (١٥/ ٧٩).

(٢) «التمهيد» (١٢/ ١٣٨-١٣٩).

(٣) «شرح السنة» (١/ ٢٢٦) رقم (١٠٨).

(١) هجر الرسول ﷺ للثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ، مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبَرِي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَالله مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ ـ يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ ـ قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى

أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلاً مُبَيِّضاً يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِماً، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَداً، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِماً، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي، وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ

عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله، وَالله مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَالله مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ» فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَالله مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ، اسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ، قَالَ: فَوَالله مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْراً، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، قَالَ وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَالله مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِالله هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ،

فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِباً، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا، فَلَا تَقْرَبَنَّهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ» فَقَالَتْ: إِنَّهُ، وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ؟ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا، قَالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِداً وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ

فَرَجٌ، قَالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى الْجَبَلَ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ: لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» قَالَ فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللهُ بِهِ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حتى بلغ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي، مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ، شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ. وَقَالَ اللهُ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ **وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا، تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.** متفق عليه[1].

قال الحافظ ابن حجر[2] ـ رحمه الله ـ: قال الطبري: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي.

وقال الحسن البصري[3] ـ رحمه الله ـ معلقاً على قصة كعب: يا سبحان الله، ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض،

---

(١) «البخاري» (٤٤١٨)، «مسلم» (٢٧٦٩).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥١٣).

أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر.اهـ.

قلت وقد اشتملت قصة الثلاثة الذين خلفوا كما ساقها كعب بن مالك ﷺ على فوائد جمة، ودلالات ثَرَّة «غزيرة»، وحوت حِكَماً عظيمة، وعبراً بليغة، ففي كل فقرة منها فكرة، وفيها كلها صور عميقة تبرز صلابة المجتمع الإسلامي، ومتانة بنائه، وصفاء عناصره، وفي ظلالها نصاعة لفهم تكاليف الدعوة ولقيمة الأمر والنهي، ولضرورة السمع والطاعة(١).

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٧٢٩-٧٣٠).

(١) «بهجة الناظرين» (١/ ٧٠-٧١) وقد أفرد المؤلف هذا الحديث في كتاب مستقل وجمع فيه ما يزيد على مائتي فائدة.

(٢) هجر النبي ﷺ نساءه شهراً.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْراً، فَلَمَّا مَضَى تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْماً، غَدَا أَوْ رَاحَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ شَهْرًا، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمَاً» رواه البخاري(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: أَصْبَحْنَا يَوْمَاً وَنِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِينَ، عِنْدَ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ أَهْلُهَا، فَخَرَجْتُ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا هُوَ مَلآنُ مِنَ النَّاسِ، فَجَاءَ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ، فَصَعِدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ، فَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَنَادَاهُ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَقَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ آلَيْتُ مِنْهُنَّ شَهْرَاً» فَمَكَثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ. رواه البخاري(٢).

قال ابن بطال(٣)ـ رحمه الله ـ: قال المهلب: معنى هذا الباب، أن الله تعالى أباح هجران الأزواج عند نشوزهن، ورخص في ذلك عند ذنب، أو معصية تكون منهن.

وقال أهل التفسير في قوله تعالى ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء:٣٤]، يعنى: معصيتهن لأزواجهن، وأصل النشوز الارتفاع، فنشوز المرأة ارتفاعها عن حق زوجها، ففسر النبي ﷺ مقدار ذلك الهجران، بإيلائه شهراً، حين أسرَّ النبي ﷺ إلى حفصة سراً، فأفشته إلى عائشة، وتظاهرتا عليه.اهـ.

(١) «البخاري» (١٩١٠).

(٢) «البخاري» (٥٢٠٣).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٣٢٢).

وقال القرطبي(١) ـ رحمه الله ـ: آلى النبي ﷺ من نسائه شهراً تأديباً لهن.اهـ.

قلت: وهل يكون الهجر في البيت أو خارج البيت؟

هذه المسألة اختلف فيها العلماء:

وقد بوب الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه»: باب هجر النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهن.

أي: هذا باب في بيان هجر النبي ﷺ، أي: إعراضه عنهن، وتركهن شهراً، وسكناه في غير بيوتهن، وهذا مذهب جمهور العلماء.

---

(١) «أحكام القرآن» (٢/ ١٠٢).

(٣) رجع صَبِيغ إلى الصواب بسبب عراجين(١) وهجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الآجري ـ رحمه الله ـ: أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار: «**أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ بن عسل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر: من أنت؟**

فقال: أنا عبد الله صبيغ.

فقال عمر: وأنا عبد الله عمر، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه.

فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي».

وقال الآجري أيضاً: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال: حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد، قال: «**أتي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللهم أمكني منه.**

قال: فبينا عمر ذات يوم يُغَدِّي الناس، إذ جاءه رجل عليه ثياب وعمامة يتغدى، حتى إذا فرغ.

---

(١) العرجون: ما يحمل التمر، والعذق، وهو من النخل كالعنقود من العنب، وجمعه: عراجين، كما في «المعجم الوسيط».

قال: يا أمير المؤمنين والذاريات ذرواً، فالحاملات وقراً.

فقال عمر: أنت هو؟

فقام إليه فحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته.

فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قتب، ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيباً، ثم ليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه.

فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه»[1].

وأخرج ابن الأنباري[2] وغيره بسند صحيح، عن السائب بن يزيد، قال: «جاء صبيغ التميمي إلى عمر، فسأله عن الذاريات... »الحديث.

وفيه: «فأمر عمر فضرب مائة سوط، فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى، حرم على الناس مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له أنه لا يجد في نفسه شيئاً، فكتب إلى عمر أنه صلح حاله، فكتب إليه خل بينه وبين الناس، فلم يزل صبيغ وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم».

قال الآجري[3] معلقاً على هذه القصة: قال محمد بن الحسين: فإن قال قائل: فمن سأل عن تفسير ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾[الذاريات:١ - ٢]

---

(١) القصة رويت بأسانيد صحيحة ثابتة: فقد رواها الآجري في «الشريعة» (ص:٧٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٤١٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٠١-٧٠٣) رقم (١١٣٦، ١١٣٨، ١١٤٠)، وأورد القصة كذلك الدارمي في «سننه» رقم (١٤٦) و (١٥٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٤٠٩)، وغيرهم كثير، وقد ذكر القصة ابن حجر بعدة ألفاظ مع ذكر مصادرها في «الإصابة» (٣/ ٣٧٠-٣٧٢) رقم (٤١٤٣).

(٢) نقلاً عن «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» (٣/ ٣٠).

استحق الضرب، والتنكيل به والهجر؟

قيل له: لم يكن ضرب عمر ﷺ له بسبب هذه المسألة، ولكن لما بلغ عمر ﷺ، ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه، علم أنه مفتون، قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتطلُّب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به، فلما علم أنه مقبل على ما لا ينفعه، سأل عمر الله تعالى أن يمكنه منه، حتى ينكل به، وحتى: يحذر غيره، لأنه راع يجب عليه تفقد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله تعالى منه، وقد قال عمر ﷺ سيكون أقوام يجادلونكم بمتشابه القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى.

قلت: قصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب ﷺ، أنه كان يتتبع المتشابه في القرآن، والأشياء التي ظاهرها في ذهنه التعارض، ويثير الشبهات بين الناس، فضربه عمر ﷺ بعراجين النخل حتى سالت دماؤه على جسده، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تقتلني، فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برئت، وذهب الذي كنت أجد في رأسي.

ثم بعد ضربه وتأديبه، نفاه إلى البصرة، وأمر الناس بعدم التكلم معه، حتى صار في حالٍ مزرية جداً، فكتب والي البصرة استرحاماً لعمر بشأن هذا الرجل، لأنه تاب ولم يعد يتكلم بشيء ولا يثير الشبه، والناس نبذوه، وحالته النفسية أصبحت سيئة جداً، فأصبح كالجمل الأجرب، لا يكلمه أحد من الناس استجابة لأمر أمير المؤمنين بهجره، حتى قال بعضهم: رأيت صبيغاً بالبصرة كأنه

(٣) «الشريعة» (ص:٧٥).

بعير أجرب، يجئ إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه، فيناديهم أهل الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه.

ثم لما حسنت توبته عفا عنه عمر رضي الله عنه، فلما كان يوم النهروان، وخرج الخوارج دعوه إلى الخروج، وقالوا له اليوم يومك يا صَبِيغ، فقال: هيهات، لقد نفعني الله بموعظة العبد الصالح، يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يخرج معهم.

هكذا كان الفاروق شديداً في الحق، وشديداً على أهل البدع، فلا مكان للبدع والمحدثات في عهده رضي الله عنه.

تنبـيه:

من قواعد المنهج القويم والصراط المستقيم، ترك تتبع الغرائب والشواذ[1]، ونشرها بين العامة.

وقد سُئل الإمام أحمد -رحمه الله- عن حديث (غريب).

فقال أبو عبد الله: الله المستعان! تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب، ما أقل الفقه فيهم!.

وقال الحسن بن محمد: سمعت أحمد بن حنبل، سُئل عن أحاديث غرائب؟ فقال: شيء غريب! أي شيء يرجى به؟! يطلب الرجل ما يزيد في أمر دينه.

وقال: شر الحديث الغرائب التي لا يُعمل بها، ولا يُعتمد عليها.

وقال النخعي : كانوا يكرهون غريب الحديث.

وقال علي بن الحسين : العلم ما تواطأت عليه الألسن.

---

(١) وهناك رسالة طيبة بعنوان: «إرسال الشواظ على من تتبع الشواذ» لصالح الشمراني.

أي: ما اشتهر بين العلماء، هذا هو العلم، أما أن تأتي بالغرائب والشواذ، فهذا خطأ في منهج طلب العلم.

(٤) هجر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لابنه.

روى مسلم في «صحيحه»(١)، عن سالم بن عبد الله، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا» قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ الله: وَالله لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الله: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: «أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَتَقُولُ: وَالله لَنَمْنَعُهُنَّ».

وروى الإمام أحمد بسند صحيح(٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلٌ أَهْلَهُ أَنْ يَأْتُوا الْمَسَاجِدَ»، فَقَالَ ابْنٌ لِعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ: فَإِنَّا نَمْنَعُهُنَّ، فَقَالَ عَبْدُ الله: «أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَتَقُولُ هَذَا»، قَالَ: فَمَا كَلَّمَهُ عَبْدُ الله حَتَّى مَاتَ.

قال الطيبي(٣) ـ رحمه الله ـ: عجبت ممن سُمِي بالسني، إذا سمع من سنة رسول الله ﷺ وله رأي، رجَّح رأيه عليها، وأي فرق بينه وبين المبتدع؟

أما سمع: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»(٤)؟

وها هو ابن عمر، وهو من أكابر الصحابة وفقهائها، كيف غضب لله ورسوله، وهجر فلذة كبده لتلك الهنة، عبرة لأولي الألباب.اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر(٥) ـ رحمه الله ـ: وكأنه قال ذلك لما رأى من فساد بعض النساء في ذلك الوقت، وحملته على ذلك الغيرة، وإنما أنكر عليه ابن عمر رضي الله

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٤٤٢).

(٢) «المسند» (٤٩٣٣) وصححه العلامة الألباني في «الثمر المستطاب» (٢/ ٧٢٩) و«المشكاة» رقم (١٠٨٤)، و«غاية المرام» (٤١١).

(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٦٦).

(٤) ضعيف، وقد بينته في كتابي «إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار والقصص والأشعار» (٢/ ٢١٠) رقم (٢٠٦).

عنهما لتصريحه بمخالفة الحديث، وإلا فلو قال مثلاً: إن الزمان قد تغير، وإن بعضهن ربما ظهر منها قصد المسجد وإضمار غيره، لكان يظهر أن لا ينكر عليه.

وإلى ذلك أشارت عائشة رضي الله عنها بقولها: «**لو أن رسول الله ﷺ رأى من النساء ما رأينا، لمنعهن من المسجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها**»[1].

وأخذ من إنكار عبد الله على ولده، تأديب المعترض على السنن برأيه، وعلى العالم بهواه، وتأديب الرجل ولده، وإن كان كبيراً إذا تكلم بما لا ينبغي له، وجواز التأديب بالهجران.

فقد وقع في رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد عند أحمد: «**فما كلمه عبد الله حتى مات**».

وهذا إن كان محفوظاً، يحتمل أن يكون أحدهما مات عقب هذه القصة بيسير.اهـ.

وقال النووي[2]ـ رحمه الله ـ: فيه تعزير المعترض على السنة والمعارض لها برأيه، وفيه تعزير الوالد ولده وإن كان كبيراً.اهـ.

(٥) «الفتح» (٢/ ٤٠٥-٤٠٦).

(١) رواه «البخاري» (٨٦٩) و«مسلم» (٤٤٥).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٤٠٦).

(٥) هجر عبد الله بن مغفل ﷺ لرجل خذف إلى الأبد.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَخْذِفُ[١]، فَقَالَ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَانَ يَنْهَى عَنِ الْخَذْفِ، وَكَانَ يَكْرَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُنْكَأُ بِهَا عَدُوٌّ، وَلَا يُصَادُ بِهَا صَيْدٌ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَتَكْسِرُ السِّنَّ»، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْهَى عَنِ الْخَذْفِ؟! وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا. رواه البخاري ومسلم[٢].

وفي رواية لمسلم: «...لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا».

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث[٣]:
قال العلماء: معناه أن يضع الإنسان حصاة بين السبابة والإبهام، فيضع على الإبهام حصاة ويدفعها بالسبابة، أو يضع على السبابة ويدفعها بالإبهام. وقد نهى عنه النبي ﷺ، وعلل ذلك بأنه يفقأ العين، ويكسر السن إذا أصابه، ولا يصيد الصيد، لأنه ليس له نفوذ، ولا ينكأ العدو، يعني: لا يدفع العدو، لأن العدو إنما ينكأ بالسهام، لا بهذه الحصاة الصغيرة، ثم إن قريباً له خرج يخذف، فنهاه عن الخذف، وأخبره بنهي النبي ﷺ عنه، ثم إنه رآه مرة ثانية يخذف، فقال له: أخبرتك أن النبي ﷺ نهى عن الخذف فجعلت تخذف، لا أكلمك أبداً، فهجره لأنه خالف نهي النبي ﷺ.

وهذا كما فعل عبد الله بن عمر في أحد أبنائه، حين حدث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماءكم المساجد**»، فقال أحد أبنائه وهو بلال بن عبد الله بن عمر:

---

(١) الخذف: بالخاء، الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع، يقال: خذفه بالحصى خذفاً.فهو الرمي بحصى أو نوى بين السبابتين، أو بين السبابة والإبهام .

(٢) «البخاري» (٥٤٧٩، ٦٢٢٠)، و«مسلم» (١٩٥٤).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٢٤-٦٢٦) رقم (١٦٦).

والله لنمنعهن، لأن النساء تغيرت بعد عهد النبي ﷺ، والناس تغيروا، فقال بلال: والله لنمنعن، فأقبل عليه أبوه عبد الله بن عمر، وجعل يسبه سباً عظيماً، ما سبه مثله قط، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنعهن، ثم هجره حتى مات لم يكلمه، فدل هذا على عظم تعظيم السلف الصالح لاتباع السنة.

فهذا عبد الله بن مغفل أقسم أن لا يكلم قريبه لأنه حذف، وقد نهى النبي ﷺ عن الخذف.

وهذا ابن عمر هجر ابنه حتى مات، لأنه قال: والله لنمنعهن، مع أن الرسول ﷺ أذن لهن.

وهكذا يجب على كل مؤمن أن يعظم سنة النبي ﷺ، ولكن إذا قال قائل: هل مثل هذا الأمر يوجب الهجر، وقد نهي النبي ﷺ عن هجر المؤمن فوق ثلاث؟

فالجواب عن هذا: أن هذين الصحابيين وأمثالهما ممن فعل مثل فعليهما فعلا ذلك من باب التعزير، ورأيا في هذا تعزيراً لهذين الرجلين، وإلا فالأصل أن المؤمن إذا فعل ذنباً وتاب منه فإنه يغفر له ما سلف، حتى الكفار إذا تابوا غفر الله لهم ما سبق، قال الله تعالى ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ولكن نظراً لأن هذين الصحابيين رضي الله عنهما أرادا أن يعزرا من خالف أمر النبي ﷺ إما بقوله وإما بفعله، ولو عن اجتهاد، لأن بلال بن عبد الله بن عمر إنما قال ذلك عن اجتهاد، لكن لا ينبغي للإنسان أن يعارض قول الرسول ﷺ هذه المعارضة الظاهرة، ولو أنه قال مثلاً: لعل النبي ﷺ أذن لهن في زمن كانت النيات فيه سليمة، والأعمال مستقيمة، وتغيرت الأحوال بعد ذلك، وأتى بالكلام على هذا الوجه لكان أهون، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «**لو رأى النبي ﷺ ما صنع النساء من بعده لمنعهن يعني من المساجد، كما منعت بنو**

إسرائيل نساءها». ولكن على كل حال، ما فعله عبد الله بن المغفل، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يدل على تعظيم السنة، وأن الإنسان يجب أن يقول لحكم الله ورسوله سمعنا وأطعنا.اهـ.

قال النووي[١]- رحمه الله -: فيه جواز هجران أهل البدع والفسوق، وأنه يجوز هجرانهم دائماً، فالنهي عنه فوق ثلاثة أيام إنما هي في هجر لحظ نفسه، ومعايش الدنيا، وأما هجر أهل البدع فيجوز على الدوام، كما يدل عليه هذا مع نظائر له، كحديث كعب بن مالك وغيره.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١١٢-١١٣).

تنبـيه:

ظهر في هذا العصر ظاهرة التوسع المفرط في الهجر بدون رَوِيَّة، أو ضوابط وقواعد شرعية، أو النظر في كلام أئمة الدعوة السلفية، فإن من نظر في القواعد والضوابط الشرعية في مسألة الهجر، يجد أن هذه المسألة مبنية على تقدير المصالح والمفاسد، فإن كان في الهجر مصلحة شرعية راجحة هجر وإلا فلا.

وإليك أخي الكريم بعض أقوال أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر في مسألة الهجر، أبتغي من الله المثوبة والأجر.

قال شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد الله بن باز(١) ـ رحمه الله ـ: **جواباً على سؤال وجه إليه عن طريقة النصيحة لمن يجاهر بالمعاصي.**

فقال ـ رحمه الله ـ:...فأنت أيها السائل، ما دمت نصحته ووجهته إلى الخير، ولكنه ما زاده ذلك إلا إظهاراً للمعصية، فينبغي لك هجره وعدم اتخاذه صاحباً، وينبغي لك أن تشجع غيرك من الذين قد يؤثرون عليه وقد يحترمهم أكثر على نصيحته، ودعوته إلى الله، لعل الله أن ينفع بذلك، وإن رأيت أن الهجر يزيده شراً، وأن اتصالك به أنفع له في دينه، وأقل لشره فلا تهجره، **لأن الهجر يقصد منه العلاج فهو دواء، فإذا كان لا ينفع بل يزيد الداء داءً، فأنت تعمل ما هو الأصلح** من الاتصال به، وتكرار النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من غير اتخاذه صاحباً ولا خليلاً، لعل الله أن ينفع بذلك، وهذا هو أحسن ما قيل في هذا من كلام أهل العلم رحمهم الله.

وقال العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني(٢) ـ رحمه الله ـ: ...كثيراً ما نسأل فلان صاحب لنا وصديق لنا لكنه لا يصلي ويدخن، وهكذا، هل نقاطعه؟

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٣٤٣-٣٤٤).

أقول له: لا تقاطعه، لأن مقاطعتك له لا تغيره، ويظل في ضلاله، وأذكر بالمناسبة مثلاً شامياً خلاصته: أنه كان هناك رجل فاسق تارك للصلاة، ثم تاب وذهب ليصلي أول صلاة في المسجد بعد التوبة، وإذا به يجد باب المسجد مغلقاً، فقال له: «أنت مُسكِّر وأنا مبطل»!

هذه الصحبة لا أريدها، لأن صحبة الصالح للطالح مبنية على صلاحه، وهذا الطالح لا يريده، فإذا قاطعه الصالح فقد حقق له ما يريده، لذلك فالمقاطعة وسيلة شرعية يراد بها تحقيق مصلحة مشروعة، وهي تأديب المُهَاجَر، أي: المقاطع، **فإذا كانت المقاطعة لا تؤدبه بل تزيده ضلالاً على ضلاله فحينئذ لا تجب المقاطعة.**

ولذلك نحن اليوم لا نتشبث بالوسائل التي كان يتعاطاها السلف، لأنهم كانوا ينطلقون بها من موقف القوة، واليوم المسلمون ضعفاء في كل شيء، ليس فقط الحكومات بل الأفراد، والأمر كما قال ﷺ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[1] [**قَالُوا: مَنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ صَالِحُونَ فِي نَاسٍ كَثِيرِين، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**»[2]].

فلو نحن فتحنا باب المقاطعة والهجر والتبديع لفعلنا ما يخالف المصلحة الشرعية فلذلك نؤثر سياسة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

(٢) شريط من هو الكافر؟وما هي البدعة المكفرة؟وكتاب «مزيل الإلباس في الأحكام على الناس» (ص:٢٤٤).
(١) رواه مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) روى هذه الزيادة أحمد في «المسند» (٦٦٥٠، ٧٠٧٢) وصححها الألباني في «الصحيحة» (١٦١٩).

وقال الشيخ العلامة الفقيه المفسر محمد بن صالح العثيمين[١] ـ رحمه الله ـ: ...فإذا كان في هجر من فعل معصية لترك واجب، أو فعل محرم فائدة يهجر حتى تتحقق الفائدة، **وأما من كان هجره لا يفيد شيئاً بل لا يزيد الأمر إلا شدة وإلا بعداً عن أهل الخير فلا يهجر**، لأن الشرع جاء بالمصالح وليس بالمفاسد، فإذا علمنا أننا لو هجرنا هذا العاصي لم يزدد إلا شراً، وكراهة لنا، وكراهة ما معنا من الخير، فإننا لا نهجره، نسلم عليه، ونرد عليه السلام....

وقال ـ رحمه الله ـ **في موضع آخر**[٢]: فكل مؤمن وإن كان فاسقاً **فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذٍ دواء، أما إذا لم يكن فيه مصلحة أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو، فإن مالا مصلحة فيه تركه هو المصلحة...الخ.**

وقال الشيخ العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي[١] ـ رحمه الله ـ **عندما سئل:**
ما الدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ على هجر المبتدع؟

فأجاب: الواقع أنها دخلت على العصريين فكرة خارجية، فكرة جماعة التكفير، فتوسعوا في مسألة هجر المبتدع، ونحن إذا قرأنا سيرة رسول الله ﷺ نرى أن الهجر مضيق، فالنبي ﷺ هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهجر نساءه شهراً من أجل أن يؤدبهن، وهجر النفر اليسير، **فلا بد من النظر في مصلحة الهجر، إذا كان الهجر سيؤثر ويرجع الشخص إلى الحق فلا بأس أن يهجر، وإذا كان سيزداد عتواً ونفوراً فلا تهجر ولدك، أو أخاك، أو صاحبك، ويتخطفه الحزبيون**، فإذا هو

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٢١٩-٢٢٠) .
(٢) «مجموع فتاوى ورسائل العلامة ابن عثيمين» (٢/ ٢٩٤).
(١) «غارة الأشرطة» (٢/ ٨٧-٨٨) .

قد أصبح بعثياً، أو ناصرياً أو حداثياً، أو اشتراكياً، أو حزباً من هذه الأحزاب المقيتة.

فأقول: لا بد من غض الطرف، ولا تقر صاحبك على محرم ولا على بدعة، ولا على ترك واجب، لكن مسألة الهجر أريدك أن تدرس الكتـاب والسنة وتنظر النفر الذين هجرهم النبي ﷺ، **فأخشى أن يكون الهجر شهوة نفس، ويكون قد أغضبك على أمر فتقول: أنا أهجره لله، وأنت هجرته لأنه أغضبك على أمر**، إما على حزبية أو مصلحة دنيوية.

فينبغي أن نحذر من أفكار جماعة التكفير، ومن أفكار الخوارج، ومن أفكار كثير من الشباب المتحمسين للدين على جهل.

وقال(١) ـ رحمه الله ـ: **عندما سئل: ما هو ضابط الهجر؟**

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد: فالهجر: هجر المسلم يعتبر من الكبائر والرسول ﷺ يقول: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**».

ويقول أيضاً: «**إن الله سبحانه وتعالى يغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن، فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا**». فهجر المسلم يعتبر من الكبائر...، والهجر في هذا الزمن، وفي غير هذا الزمن لابد أن لا يكون شهوة، بينك وبين صاحبك خصام قلت: أنا أهجرك لله، لكن لو فتشت نفسك وأنصفت لكان الهجر لأجل نفسك، فلا يكون لحظ النفس، تهجر لله سبحانه وتعالى...الخ.

(١) «الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة» (ص:١٦٨-١٦٩).

وسئل - رحمه الله -: **علمت أن هجر المبتدع واجب إذا أصر على بدعته، ولكن هل يصح هجر من لم يهجر المبتدع، وهو لا يعمل بعلمه، ولكن يخالطهم ولم يهجرهم**(١)؟

فأجاب: قبل هذا هجر المبتدع كان ضيقاً على عهد النبي ﷺ وتوسع فيه الناس كيف ذلك؟ مثلاً مبتدع وأنت ترى أنك تدعوه إلى الله وربما يرجع، أو ترى أنك تركته وهجرته ربما يتمادى في ضلاله، أو ربما تحتضنه الأحزاب الأخرى وأنت تنظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين ولا تهجره من أجل مصلحة نفسك والرسول ﷺ يقول: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ**»، ومنها «**إذا لقيته فسلم عليه**»، أما إذا كنت ترى أنك إذا هجرته سيرجع إلى الله سبحانه وتعالى ويتوب فلك أن تهجره، والهجر كما سمعت كان مضيقاً على عهد النبي ﷺ، فالنبي ﷺ هجر الثلاثة الذين خلفوا، وهجر نساءه شهراً، وهجر من تضمخ بالخلوق والله المستعان، فما ينبغي أن نتوسع في الهجر حتى ما نكون سبباً لنفور الناس عن السنة وعن الخير.

بقي ماذا ؟ أن تهجر الذي لم يهجر المبتدع. توسعت بارك الله فيك ما عندك دليل، من لم يهجر المبتدع هجرناه، حتى المثال الذي يقال: من لم يكفر الكافر فهو كافر أيضاً ليس بمستقيم، بل من لم يكفر الكافر المتفق عليه مثل أن يقول: اليهودي ما هو كافر، أو النصراني ما هو كافر، مثل هذا يكفر لأنه مُكَذِّب للقرآن، فإن الله قد كفرهم في القرآن، لكن شخص يقول:إن تارك الصلاة ليس بكافر، وآخر يقول: تارك الصلاة كافر، فهي مسألة اختلف فيها علماؤنا رحمهم الله تعالى.اهـ.

---

(١) «الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة» (١/ ١٩٨-١٦٩).

وقال الشيخ العلامة عبد المحسن العباد(١) ـ حفظه الله ـ: إذا كان الهجر بسبب أمر منكر، فقبل الهجران ينبغي النصح، والحرص على التوجيه، والهجران لا يصار إليه إلا إذا ترتبت عليه فائدة، أما إذا لم تترتب عليه فائدة فوجوده مثل عدمه.

وقالت اللجنة الدائمة(٢): لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إذا كان الهجر من أجل الدنيا، لقوله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**»، أما إذا كان من أجل الدين، بأن كان عاصياً معصيةً ظاهرة، أو مبتدعاً ولا تجدي فيه النصيحة، فإنه يهجر إذا كان في ذلك ردع له ورجاء أن يتوب، أما إذا لم يكن في ذلك ردع له، ويخشى أن يزيد شره ، فإنه لا يهجره، ولكن يستمر معه في النصيحة؛ لعل الله أن يهديه . **فالهجر تراعى فيه المصلحة والمفسدة في هذه الحالة .**

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	عضو	نائب	الرئيس
عبد الله بن غديان	**صالح الفوزان**	**بكر أبو زيد**	**عبد العزيز آل الشيخ**	**عبد العزيز بن باز**

---

(١) «شرح سنن أبي داود» ، باب «حكم الصلاة في ثياب تشف البشرة».

(٢) «فتاوى اللجنة» (٢٥/ ٣٢٦) رقم الفتوى (١٥٩٣١).

الفصل الثالث و العشرون

الفصل الثالث والعشرون

أذية الجار سبب لغضب الجبار

عن أبي هريرة ﭬ، قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ[1] «مِنَ الْأَقِطِ»، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» صحيح؛ رواه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان والحاكم وأحمد[2].

وعن أبي هريرة ﭬ قال: إن النبي ﷺ قال: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» متفق عليه واللفظ للبخاري[3].

وفي لفظ مسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

و«البوائق»: الغوائل والشرور.

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين[4]- رحمه الله -: أقسم الرسول ﷺ ثلاث مرات، فقال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: من يا رسول الله؟ قال:**

---

(١) الأثوار: جَمْع ثَور، وهي قِطْعة من الأقِط، وهو لَبَن جامد مُسْتَحْجِر ، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٢٢٢). قال العلامة الألباني: وهو الجبن المجفف الذي يتخذ من مخيض لبن الغنم.

(٢) «الأدب المفرد» (١١٩)، «صحيح ابن حبان» (٥٧٣٤)، «المستدرك» (٧٣٨٤)، «المسند» (٩٦٧٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٨٨) و«الصحيحة» (١٩٠).

(٣) «البخاري» (٦٠١٦) و«مسلم» (٤٦).

(٤) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ١٢٧).

من لا يأمن جاره بوائقه» يعني: غدره وخيانته وظلمه وعدوانه، فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن، وإذا كان يفعل ذلك ويوقعه فعلاً فهو أشد.

وفي هذا دليل على تحريم العدوان على الجار، سواء كان ذلك بالقول أو الفعل.

أما بالقول: فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه، كالذين يفتحون الراديو أو التلفزيون، أو غيرهما مما يسمع ويزعج الجيران، فإن هذا لا يحل له، حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتدٍ عليهم، ولا يحل له أن يفعل ذلك.

وأما بالفعل: فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه، والتضييق عليه عند مداخل بابه، أو بالدق، أو ما أشبه ذلك مما يضره، ومن هذا أيضاً إذا كان له نخلة، أو شجرة حول جدار جاره، فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقي، فإن ذلك من بوائق الجار فلا يحل له.

إذن يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيء، فإن فعل فإنه ليس بمؤمن، والمعنى أنه ليس متصفاً بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق.

(١) لعنُ الصالحين له والأخيار بسبب أذيته للجار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللَّهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ صحيح رواه أبو داود[١].

ورواه البخاري في «الأدب المفرد»[٢] بلفظ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِينِي، فَقَالَ: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ» فانطلقَ فأخرجَ مَتَاعَهُ فَاجْتَمَعَ

---

(١) «سنن أبي داود» (٥١٤٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥١٥٣).

(٢) «الأدب المفرد» (١٢٤)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٢، ٩٣).

تنبيه : هذا الحديث يستدل به بعضهم على جواز الخروج للمظاهرات والاعتصامات.

والجواب على ذلك: **أولاً**: نحن نتمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وليس على فهمنا، ولم يستدل أحد من علماء السلف بهذا الحديث على جواز الاعتصامات والمظاهرات، من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر ، فكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف.

ثانياً: هذا الصحابي الذي أخرج متاعه أمره بذلك ولي الأمر والمشرع، وهو النبي ﷺ، وأما المتظاهر والمعتصم فإنه يخرج ضد ولي الأمر. ومعاملة السلطان غير معاملة العوام، قال ﷺ: «من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية، و ليأخذ بيده فليخل به، فإن قبلها قبلها، و إلا كان قد أدى الذي له والذي عليه» رواه البيهقي والحاكم وابن أبي عاصم وصححه الألباني.

وقد ألف بعض العلماء مؤلفات خاصة في بيان «الأحكام السلطانية».

ثالثاً: سئل شيخنا العلامة العباد عمن يستدل بهذا الحديث على جواز المظاهرات، فقال حفظه الله كما في «شرح سنن أبي داود»: هؤلاء يتشبثون بخيوط العنكبوت كما يقال، ويبحثون عن شيء يبنون عليه باطلهم. المظاهرات من قبيل الفوضى، وهذا الرجل أمره الرسول ﷺ بأن يفعل ذلك حتى إن جاره يتأثر بسبب ذلك.

النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَالُوا مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لِي جَارٌ يُؤْذِينِي فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «انْطَلِقْ فأخرِج مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ» فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ العَنْه اللَّهُمَّ اخْزِه فَبَلَغَهُ فَأَتَاهُ فَقَالَ: ارجع الى منزلك فوالله لا أؤذيك. صحيح.

قلت: انظر أخي الكريم إلى أمر الرسول ﷺ الرفيق، حيث أمر بإخراج متاع من تأذى من جاره إلى الطريق، فأخذ الناس يلعنون، أي: يسبون هذا المؤذي لجاره، حتى أعلن التوبة والندم، وبادر بالاعتذار من جاره، وأعاده إلى منزله وداره، وهذه حكمة بالغة من رسول الله ﷺ، وسياسة شرعية وتأديب نبوي بالغ.

قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ **في شرح سنن أبي داود:** المقصود باللعن في قوله: «**فجعل الناس يلعنونه**» يعني: يسبونه، عَبَّر باللعن عن السب؛ لأن لعن المعين لا يجوز، ولكن **اللعن هنا هو بمعنى السب**، ومثله الحديث الآخر الذي قال فيه: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»[1] معناه السب.

قال العلامة ابن القيم[2] ـ رحمه الله ـ: لا بأس للمظلوم أن يتحيل على مسبة الناس لظالمه، والدعاء عليه، والأخذ من عرضه، وإن لم يفعل ذلك بنفسه، إذ لعل ذلك يردعه ويمنعه من الإقامة على ظلمه، وهذا كما لو أخذ ماله فلبس أرث الثياب بعد أحسنها، وأظهر البكاء والنحيب والتأوه، أو آذاه في جواره، فخرج من داره

ثم أيضاً في هذا الزمان لا يقال: إن كل من يشتكي جاره يكون مصيباً، قد يكون هذا الذي يشتكي جاره هو الأظلم، بخلاف هذا الذي أرشده الرسول ﷺ فإنه مظلوم.

(١) رواه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «أعلام الموقعين» (٤/ ١٣).

وطرح متاعه على الطريق، أو أخذ دابته، فطرح حمله على الطريق، وجلس يبكي ونحو ذلك، فكل هذا مما يدعو الناس إلى لعن الظالم له، وسبه والدعاء عليه.

وقد أرشد النبي ﷺ المظلوم بأذى جاره له إلى نحو ذلك، ففي السنن ومسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ من جاره، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ»**.

الفصل الرابع و العشرون

الفصل الرابع والعشرون

نزول البلاء بمن سأل الله الابتلاء

اعلم أخي المسلم: أن الأصل أن يدعو الإنسان لنفسه بالعافية في الدين والدنيا كما كان ﷺ يدعو، ويعلم أمته أن تدعو، فقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»** صحيح رواه أبو داود وابن ماجه(١).

وقال ﷺ: **«لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»** متفق عليه(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: **«لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»** متفق عليه(٣) عن أنس رضي الله عنه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»** رواه مسلم(٤) وغيره.

---

(١) «سنن أبي داود» (٥٠٦٤)، «سنن ابن ماجه» (٣٨٧١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٧٤)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٨٧١).

(٢) «البخاري» (٣٠٢٦)، «مسلم» (١٧٤١) و (١٧٤٢).

(٣) «البخاري» (٦٣٥١)، «مسلم» (٢٦٨٠).

(٤) «مسلم» (٣٠٠٩).

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**» رواه مسلم[١].

وخلاصة هذه المسألة:

أنه لا ينبغي للإنسان أن يسعى إلى استجلاب البلاء، ولا أن يتمناه فربما صدر منه الضجر، أو الشكوى، أو التسخط على قدر الله عز وجل، فإن للبلاء أهلاً كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: **مَا أَشَدَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:** «**إِنَّا كَذَلِكَ، يَشْتَدُّ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ**»، **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ:** «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، وَقَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلاَّ الْعَبَاءَةَ يَحْوِيهَا فَيَلْبَسُهَا، وَيُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَلأَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ**».

صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والحاكم[٢].

فمن لم يكن من أهل البلاء لم يطقه فربما صدر منه السخط، لكن إذا ازداد يقين العبد وابتلي فإن الله يعينه ويصبره عليه، لذلك كان السلف والصالحون كما جاء في الحديث: «**يفرحون بالبلاء أشد من فرح أحدهم بالعطاء**»، وذلك لقوة يقينهم فيما عند الله عز وجل من الثواب، أو لأنهم أمثل الناس وأشدهم تمسكاً بطريق الأنبياء، فأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل كما قال ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ [وفي رواية: قَدرِ]**

---

(١) «مسلم» (٩٢٠).

(٢) «الأدب المفرد» (٥١٠)، «سنن ابن ماجه» (٤٠٢٤)، «المستدرك» (١١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤)، و«صحيح الأدب المفرد» (٣٩٥).

دِينِهِ،فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» صحيح، رواه الترمذي و ابن ماجه وأحمد وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[1].

فالعبد إذا ابتلي بعد أخذه بالأسباب، فإن الله تعالى سيعينه حينئذٍ، وأما إذا استجلب لنفسه البلاء بتقصير، أو تراخى في الأخذ بالأسباب، أو دعا على نفسه بالبلاء، فإنه يوكل إلى نفسه ولا يعان إلا أن يشاء الله عز وجل، فالذي يستجيب لك في الدعاء بالبلاء، يستجيب لك في الدعاء بالعفو والعافية في الدنيا و الآخرة.

(١) «سنن الترمذي» (٢٣٩٨)، «سنن ابن ماجه» (٤٠٢٣)، «المسند» (١٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٤٣).

(١) رجل قال: (اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا) فنزل به البلاء حتى صار مثل الفرخ.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ[١]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سُبْحَانَ الله لَا تُطِيقُهُ ـ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ. رواه مسلم[٢].

قلت: انظر أخي المسلم الكريم إلى هذا الصحابي ﷺ، حيث كان يدعو على نفسه بدعاء غير مشروع، ويقول في دعائه: «**اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا**» فتمنى أن تعجل له العقوبة في الدنيا، حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شيء يستحق العقوبة من أجله، ويصفو له الثواب بدون كدر، فنفس هذا اللسان، ونفس هذا الفم الذي دعا بهذه الدعوة في وقت الإجابة فاستجيبت له، كان بإمكانه أن يدعو بالعافية والسلامة، لذلك قال له معلم الخير ﷺ: «**سبحان الله لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**».

وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا، أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة الجنة والمغفرة.

فجمع له صلوات الله وسلامه عليه في هذا الدعاء العظيم الذي أرشده إليه بين خيري الدنيا والآخرة، والسلامة فيهما من جميع الشرور.

---

(١) «خفت» بفتح الفاء، أي ضعف من خفت إذا ضعف وسكن، فصار أي بسبب الضعف مثل الفرخ، وهو ولد الطير، أي مثله في كثرة النحافة وقلة القوة.

(٢) «مسلم» (٢٦٨٨).

(٢) رجل سأل الله الابتلاء فابتلاه الله بذهاب أهله وعقله وماله.

ذكر ابن الجوزي[1] ـ رحمه الله ـ: عن أبي العباس بن عطاء، قال: «**قرأتُ القرآن، فلما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً، أو أثنى عليه حتى ابتلاه، فسألت الله تعالى أن يبتليني، فلما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيفٌ وعشرون ميتاً، ما رجع منهم أحد، قال: وذهب ماله، وذهب عقله، وذهب ولده وأهله**».

قال ابن الجوزي معلقاً على هذه القصة: قِلَّةُ علم هذا الرجل أثمر أن سأل البلاء، وفي سؤال البلاء معنى التَّقاوي، وذلك من أقبح القبيح والشطط والجور.

(١) «تلبيس إبليس» (ص:٣٣٥، ٣٣٨)، و«مصارع العشاق» (١/ ١٩٠).

(٣) أبو حمزة السكري دعا على نفسه بالعمى فعمي.

كان أبو حمزة السكري مستجاب الدعوة، يقال: إن الحسين بن واقد كان قاضياً، أتى أبا حمزة السكري فأخبره بقضية قد قضى بها، فقال له أبو حمزة السكري: أخطأت قضيت بالجور، إذ لا تعرف القضاء، فلمَ دخلت فيه، لو لحست الدبر كان خيراً لك من الحكم، فغضب الحسين وبكى، وقال: اللهم ابتل أبا حمزة بما ابتليتني به، قال: فقال أبو حمزة: اللهم إن ابتليتني بما ابتليته به فاعم بصري، قال: فما مضت الأيام والليالي حتى استقضى فذهب بصره، فمكث أياماً لم يخبر رجاء العافية، قال: فكنا نقول: قد استجيب لهما جميعاً[١].

قلت: ولما كان الدعاء المؤمّن عليه حريّاً بالإجابة، فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يدعو على نفسه بشر، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**».

ففي هذه القصة دعا القاضي الحسين بن واقد على أبي حمزة السكري أن يبتليه الله بالقضاء، كما ابتلي به هو فولي القضاء، واستجاب الله دعاء أبي حمزة السكري على نفسه بالعمى؛ فتولى القضاء وأصيب بالعمى.

(١) «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٣٣-٤٣٤) رقم (١٦٢٦).

٤) امرأة دعت على ولدها بالموت فمات في الحال.

قُدم سؤال للجنة الدائمة الموقرة هذا نصه(١): كان لي طفل عمره ثلاث سنوات، وقد كان كغيره من الأطفال، يميل إلى العبث والشغب، وفي أحد الأيام وكان الوقت ظهراً، طلب من أمه الطعام، فأطعمته حتى شبع، وتركت بين يديه بعض الخبز، بناء على رغبته، وذهبت لأعمالها المنزلية، وبعد ساعة تقريباً عادت فوجدت ولدها المذكور قد فتت الخبز على الأرض والفراش، فغضبت منه ودعت عليه قائلة: «**أرجو من الله أن تموت وأن لا تأكل غيره**» فهرب الولد إلى منزل جدته، وهي نظفت المكان وعادت إلى أعمالها المنزلية، وبعد قليل مات الولد فعلاً رحمه الله.

والآن يا سماحة الشيخ عبد العزيز «بن باز»: إن أمه ضميرها تعبان ومريضة، وضميرها يؤنبها على ما حصل، وتريد من فضيلتكم أن تفتوها على ما قالته من كلمات بحق ولدها، والذي حصل فعلاً أفيدونا رحمكم الله؟

الجواب : ينبغي الدعاء للأولاد بالهداية، وسؤال الخير لهم، ولا يجوز الدعاء عليهم، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ**» رواه مسلم وأبو داود.

وعلى هذه المرأة أن تكثر من الاستغفار، ولا تعود لمثل ذلك، وليس عليها دية ولا كفارة.

---

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢٤/ ٢٢٤) فتوى رقم (٧٤٢٠).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

قلت: إن من الأمور المهمة التي ينبغي أن يراعيها المسلم في دعائه: أن يكون متبصراً بما يدعو به ويطلبه من ربه سبحانه وتعالى، غير مستعجل ولا متسرع فيما يطلب ويسأل، بل ينبغي أن يتدبر في أموره حق التدبر؛ ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به، وما هو شر جدير بالاستعاذة منه، وذلك أن كثيراً من الناس عند غضبه وتضجره وحصول الأمور المزعجة له قد يدعو على نفسه، أو ولده، أو ماله بما لا يسره تحققه وحصوله، وهذا ناشئ عن تسرع الإنسان وعجلته، وعدم نظره في العواقب، يقول الله تعالى ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] أي: يسارع إلى طلب ما يخطر بباله، متعامياً عن ضرره وسوء عواقبه، وإنما يحمل الإنسان على ذلك عجلته وقلقه، ولهذا قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ وإن من أبلغ ما يكون خطراً، وأشد ما يكون ضرراً في هذا المقام الدعاء على النفس بالهلاك، أو العذاب، أو دخول النار، أو الحرمان من دخول الجنة، أو نحو ذلك، وهذا لا يفعله إلا من بلغ الغاية في السفه، والنهاية في الغي، كما حكى الله ذلك عن الكفار المعرضين عن دعوة الرسل المعارضين لدعوتهم، كقولهم ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، وقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠]، إلى غير ذلك مما حكى الله عنهم، مما يدل على تمام جهلهم، وعظم غيهم وسفههم، وشدة إعراضهم وصدودهم.

وأخرج ابن أبي حاتم[1] عن الحسن في قوله تعالى ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ قال: ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته، يغضب أحدهم فيدعو عليه، فيسب نفسه ويسب زوجته وماله وولده، فإن أعطاه الله ذلك شق عليه، فيمنعه ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه. ومن رحمة الله بعباده أنه لا يستجيب لهم في دعائهم بالشر حال غضبهم وضجرهم، كاستجابته لهم في دعائهم بالخير؛ رحمة منه وإحساناً، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١].

قال ابن كثير[1] ـ رحمه الله ـ: يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده، أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم، أو أموالهم، أو أولادهم، في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو أموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء، ولهذا قال ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، أي: لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك.اهـ.

قلت: فالواجب على المسلم أن يحذر تمام الحذر، ولا سيما حال غضبه وتضجره، من أن يدعو على نفسه، أو ماله، أو ولده، باللعنة، أو العذاب، أو النار، أو نحو ذلك مما لا يسره تحققه، وذلك أن مقصود الدعاء جلب النفع ودفع الضر، وأما الدعاء على النفس، أو المال، أو الولد، فليس فيه أي منفعة، بل هو ضرر

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ١٤٥)،«الدر المنثور» (٥/ ٢٤٦)،«فقه الأدعية والأذكار» (٢/ ٤٨٥-٤٨٩).
(١) «التفسير» (٢/ ٥٣٧-٥٣٨).

محض ووبال وهلاك. فقد يستجاب له في ذلك فيندم ويتحسر، مع أنه هو الذي دعا بذلك وطلبه، فالواجب عليه أن يعود نفسه الدعاء لنفسه وولده وماله بالخير والنماء والبركة والصلاح ونحو ذلك. وإنا لنرجو الله أن يهدينا جميعاً سواء السبيل، وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه في الدينا والآخرة.

الفصل الخامس و العشرون

الفصل الخامس والعشرون

تحذير أهل الإيمان من عقوبة لعن المعين من الإنسان و الحيوان وسائر مخلوقات الرحمن

قال ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ» صحيح، رواه أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا» حسن، رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه(٢).

قال ﷺ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ» متفق عليه عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه(٣).

وقال ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» رواه البخاري ومسلم(٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم(٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

---

(١) «المسند» (٣٩٤٨)، «سنن الترمذي» (١٩٧)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٨٩٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٢).

(٣) «البخاري» (٦٠٤٧)، «مسلم» (١١٠).

(٤) «البخاري» (٦٠٤٤)، «مسلم» (٦٤).

(٥) «مسلم» (٢٥٩٨).

وقال ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِلصِّدِّيقِ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**» رواه مسلم(١) عن أبي هريرة ﷺ.

وقال ﷺ: «**لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله، وَلاَ بِغَضَبِهِ**» **حسن**، رواه أبو داود والترمذي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه(٢).

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين(٣)ـ رحمه الله ـ: هذه الأحاديث فيها التحذير من اللعن، لعن المعين من آدمي أو دابة، اللعن معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا قلت: اللهم العن فلاناً، فإنك تعني أن الله يبعده ويطرده عن رحمته، والعياذ بالله.

ولهذا كان لعن المعين من كبائر الذنوب، يعني لا يجوز أن تلعن إنساناً بعينه، فتقول: اللهم العن فلاناً، أو تقول: لعنة الله عليك، أو ما أشبه ذلك.

وقال(٤)ـ رحمه الله ـ: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم؛ فالأول «لعن المعين» ممنوع ، والثاني «لعن أهل المعاصي على سبيل العموم» جائز ، فإذا رأيت محدثاً ، فلا تقل لعنك الله ، بل قل : لعنة الله على من آوى محدثاً ، على سبيل العموم ، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ لما صار يلعن أناساً من المشركين من أهل الجاهلية بقوله : «**اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً** » نهي عن ذلك بقوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨]، رواه البخاري(٥) اهـ.

(١) «مسلم» (٢٥٩٧).
(٢) «سنن أبي داود» (٤٨٩٦) «سنن الترمذي» (١٩٧٦).
(٣) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٤١-١٤٢).
(٤) «القول المفيد» (١/ ٢٢٦).
(٥) «البخاري» (٤٠٦٩، ٤٥٥٩).

(١) امرأة لعنت ناقتها فأمرها الرسول ﷺ بمفارقتها.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ. رواه مسلم[١].

قال الذهبي[٢]- رحمه الله -: وقد عاقب النبي ﷺ التي لعنت ناقتها بأن سلبها إياها.

وقال النووي[٣]- رحمه الله -: قوله ﷺ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**» وفي رواية: «**لا تصحبنا ناقة عليها لعنة**»، **إنما قال ذلك زجراً لها ولغيرها، وكان قد سبق نهيها ونهي غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد: النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق.**

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين[٤]- رحمه الله -: حديث عمران بن حصين، أن امرأة كانت على بعير لها فضجرت منها وتعبت وسأمت ولعنتها، قالت: لعنك الله، فسمع ذلك النبي ﷺ، فأمر أن يؤخذ ما عليها من الرحل والمتاع وتعرى، يعني: البعير، ثم تصرف. قال: فلقد رأيتها في الناس لا يتعرض لها أحد، لأن النبي ﷺ أمر أن تصرف، وهذا من باب التعزير لهذه المرأة، أن تلعن دابة لا تستحق اللعن، ولهذا قال: لا تصحبنا دابة ملعونة، لأن هذه المرأة لعنتها والملعون

---

(١) «مسلم» (٢٥٩٥).
(٢) «الكبائر» (ص: ٢١٠).
(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٣٨٤).
(٤) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٥٠).

لا ينبغي أن يستعمل فلذلك نهى النبي ﷺ عنها وتركها، فيكون هذا تعزيراً للمرأة التي لعنت هذه الدابة وهي لا تستحق.

وقال ـ رحمه الله ـ: لا يجوز أن تلعن البهيمة أو البعير، أو الحمار، أو البقرة، أو الشاة، كل ذلك لا يجوز أن تلعنه.

قلت: هذه العقوبة التي حصلت لهذه المرأة بسبب لعنها لبهيمة، فكيف بمن يلعن المؤمن والمسلم، فهذا يعتبر من الفسوق، ومن كبائر الذنوب، والعياذ بالله.

واعلم أن هذا الحديث قد يستشكل معناه، ولا إشكال فيه، بل المراد النهي أن تصاحبهم تلك الناقة فقط، وليس فيه نهي عن بيعها، وذبحها، وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ، بل كل ذلك وما سواه من التصرفات جائز لا منع منه، إلا من مصاحبة النبي ﷺ بها؛ لأن هذه التصرفات كلها كانت جائزة، فمنع بعض منها، فبقي الباقي على ما كان، والله أعلم[1].

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٣٨٤).

(٢) النكير على من لعن البعير.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: **سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْقُبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ»؟ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ، فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»** رواه مسلم[1].

قلت: قوله: «**بطن بواط**» قال القاضي ـ رحمه الله ـ: قال أهل اللغة: هو بالضم، وهي رواية أكثر المحدثين، وهو جبل من جبال جهينة.

قوله: «**الناضح**» هو البعير الذي يستقى عليه الماء.

قوله: «**يعقبه**» أي: يركب هذا نوبة وهذا نوبة، هذا مرة وهذا مرة.

قال صاحب العين: هي ركوب مقدار فرسخين.

قوله: «**فتلدن عليه بعض التلدن**» أي: تلكأ وتوقف.

قوله: «**شأ، لعنك الله**» شأ، يروى بالسين والشين، وهو زجر للبعير بمعنى سر.

إشكال:

إن قيل: اللعنة، البعد وإنما يكون جزاء الذنب، والناقة غير مكلفة فكيف تقع عليها لعنة؟

قال ابن الجوزي[2] فالجواب: من أربعة أوجه:

---

(١) «مسلم» (٣٠٠٩).

(٢) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٣١٢) لابن الجوزي.

أحدها: أن معنى وقوع اللعنة عليها خروجها من البركة واليمن، ودخولها في الشر والشؤم.

وللعنة تأثير في الأرض والمياه، وفي مسند ابن عمر[١]، **أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهَّ ﷺ «أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»**.

وفي حديث أبي برزة أن امرأة لعنت ناقتها، فقال النبي ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ**».

وفي حديث أبي اليسر أن رجلاً لعن بعيره فقال النبي ﷺ: «**انْزِلْ عَنْهُ، فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**».

والثاني: أنه نهى عن ركوبها، لأن لاعن الناقة ظلمها باللعن، فتخوف رجوع اللعنة عليه، قال عمرو بن قيس: إذا لعن الرجل الدابة، قالت له: على أعصانا لله لعنته. ذكره ابن الأنباري.

والثالث: أن دعوة اللاعن للناقة كانت مجابة، ولهذا قال: إنها ملعونة.

والرابع: أنه إنما فعل هذا عقوبة لصاحبها، لئلا يعود إلى مثل ذلك حكاهما الخطابي.

فائـــدة:

تقدم معنا أن لعن المعين لا يجوز على الصحيح من أقوال أهل العلم، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب، لكن اللعن المطلق جائز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٣/ ٦٣٨).

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «الداء والدواء»[٣] جملة من الملعونين في الكتاب والسنة، قال ـ رحمه الله ـ: لعن رسول الله ﷺ: «**الواشمة والمستوشمة**»، و«**الواصلة والمستوصلة**»، و«**النامصة والمتنمصة**»،و«**لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده**»، و«**لعن المحلل والمحلل له**»، و«**لعن السارق**»، و«**لعن شارب الخمر، وساقيها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومشتريها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه**»، و«**لعن من غيَّر منار الأرض**»، وهي أعلامها وحدودها، و«**لعن من لعن والديه**»، و«**لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً يرميه بسهم**»، و«**لعن المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**»، و«**لعن من ذبح لغير الله**»، و«**لعن من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً**»، و«**لعن المصورين**»، و«**لعن من عمل عمل قوم لوط**»، و«**لعن من سب أباه وأمه**»، و«**لعن من كمَّه أعمى عن الطريق**»، و«**لعن من أتى بهيمة**»، و«**لعن من وسم دابة في وجهها**»، و«**لعن من ضار مسلماً، أو مكر به**»، و«**لعن زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، و«**لعن من أفسد امرأة على زوجها، أو مملوكاً على سيده**»، و«**لعن من أتى امرأة في دبرها**»، و«**أخبر أن من باتت مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»، و«**لعن من انتسب إلى غير أبيه**»، و«**أخبر أن من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه**»، و«**لعن من سب الصحابة رضي الله عنهم**».

«وقد لعن الله من أفسد في الأرض وقطع رحمه، وآذاه وآذى رسوله ﷺ»، و«**لعن من كتم ما أنزل الله سبحانه من البينات والهدى**»، و«**لعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة**»، و«**لعن من جعل سبيل الكافر أهدى من سبيل المسلم**»، و«**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**»، و«**لعن الراشي والمرتشي**»، ولعن على أشياء أخرى غير هذه.

---

(٣) «الداء والدواء» (ص:٩٦-٩٨).

الفصل السادس و العشرون

الفصل السادس والعشرون

متفرقات في عقوبات مختلفة

(١) لا يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الجَمَلِ، لَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ فَارِسَاً مَلَّكُوا ابْنَةَ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً» رواه البخاري[١].

قال الحافظ[٢]: ولم يرجع أبو بكرة عن أمر عائشة رضي الله عنها، وإنما تفرس بأنهم يغلبون لما رأى الذين مع عائشة تحت أمرها، لِما سمع من أمر فارس: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً».

قلت: وقد لخص قصة الجمل الحافظ ابن حجر في «الفتح»، واختار الصحيح منها فانظرها إن شئت.

وحاصل هذه الوقعة أن عائشة رضي الله عنها ومن معها طالبوا بدم عثمان بن عفان ﷺ، حتى يقتلوا قتلته، وسارت عائشة رضي الله عنها مع جيشها نحو البصرة، فلما نزلت على بعض مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماءٍ هذا؟

قالوا: الحوأب. قالت: ما أظنني إلا راجعة.

فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمي فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم.

---

(١) «البخاري» (٧٠٩٩).

(٢) «الفتح» (١٣/ ٥٩-٦١).

فقالت: إن النبي ﷺ قال لنا ذات يوم: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ**»(١).

فتقدمت عائشة رضي الله عنها بمن معها من الجيش، والتقى الجيشان في موقف مؤلم، ينفطر له القلب، ويحزن له الفؤاد، ثم دارت بينهم مناوشات كلامية باللسان، ثم تحولت إلى مناوشات قتالية، ثم إلى معركة ضروس، فكم من القتلى والجرحى في خضم هذه الفتنة العظيمة، وكانت الهزيمة لعائشة ومن معها رضي الله عنهم أجمعين.

وعائشة ومن معها لم ينازعوا علياً ﷺ في الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم، وكان علي ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحدٍ بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص، فاختلفوا بسبب ذلك، وخشي من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا على قتلهم فأنشبوا الحرب بينهم إلى أن كان ما كان.

ولعل ما لحق بعائشة ومن معها هو بسبب ما حصل من مخالفتهم لقول النبي ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»، وخروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والله يقول ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣] واستمرارها رضي الله عنها في المسير بعد أن علمت بحديث الحوأب، وكان عليها أن ترجع، والحديث يدل على أنها لم ترجع.

قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في كلامه على حديث الحوأب(٢): ليس كل ما يقع من الكمَّل يكون لائقاً بهم، إذ المعصوم من عصمه الله، والسني لا ينبغي له أن

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٤)، وأبو يعلى (٤٨٦٨)، وابن حبان في «الموارد» (١٨٣١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٥٣٦)، و«الصحيحة» رقم (٤٧٤).
(٢) «الصحيحة» (٤٧٤)، «نظم الفرائد» (٢/ ٥١٠-٥١٢).

يغالي فيمن يحترمه، حتى يرفعه إلى مصاف الأئمة الشيعة المعصومين عندهم، ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأً من أصله، ولذلك همت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺ عند الحوأب، ولكن الزبير رضي الله عنه أقنعها بترك الرجوع بقوله: «**عسى الله أن يصلح بك الناس**».

ولا نشك أنه كان مخطئاً في ذلك أيضاً، والعقل يقطع بأنه لامناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شك أن عائشة رضي الله عنها هي المخطئة، لأسباب كثيرة وأدلة واضحة، ومنها ندمها على خروجها، وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور، بل المأجور.

قال الإمام الزيلعي في «نصب الراية»[1]: وقد أظهرت عائشة الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب»[2] عن ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، قال: قالت عائشة لابن عمر: «**يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري**»؟

قال: رأيت رجلاً غلب عليك ـ يعني ابن الزبير ـ، فقالت: «أما والله لو نهيتني ما خرجت».

وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها، فقالت: «**إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً، ادفنوني مع أزواجه**»، فدفنت في البقيع رضي الله عنها

قلت: تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار رضي الله عن الجميع.

---

(١) (٤/ ٦٩-٧٠).

(٢) (٣/ ٩١٠).

تنبـــيه:

ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات عريضة، من بعض النفوس المريضة، تنادي بتولية المرأة الولاية العامة، فضلاً عن الولاية الخاصة، وذلك تشبهاً منهم بما تفعله بعض الدول الكافرة، ولا يخفى على من له أثارة من علم، أن هذه الدعوات مصادمة للشريعة الإسلامية، فقد دلَّت الأدلة من الكتاب والسنة، وإجماع العلماء سلفاً وخلفاً على أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية على الرجال(١).

---

(١) قال شيخنا العلامة عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ في كتابه «الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال» (ص:٣١-٤٠): دلَّت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع العلماء على أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية على الرجال، ومنها ما يلي:

الدليل الأول: قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[النساء: ٣٤]، وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:٢٢٨]، ففي الآية الأولى: أنَّ رسل الله من الرجال لا من النساء، وفي ذلك تفضيل لهم عليهن، وفي الآية الثانية: بيان أنَّ القوامة إنما هي للرجال على النساء، لما فُضلوا به عليهن، وفي الآية الثالثة: تفضيل الرجال على النساء؛ لأنَّ لهم عليهن درجة، وهذا فيه دلالة على أنَّ الولاية العامة إنما تكون لمن جعل الله الرسالة فيهم، وهم الرجال ومن جعلهم الله قوامين على النساء، وجعل لهم عليهن درجة، وأنَّها لا تكون لمن لم يُرسل منهن أحد، ومن هن مَقُوم عليهن لا قوّامات، ومن هن دون الرجال درجة، وقد جاءت الشريعة بتفضيل الرجال على النساء في الميراث والشهادة والعتق والعقيقة والدية، حيث جُعلت المرأة على النصف من الرجل في هذه الخمس.

الدليل الثاني: قوله ﷺ: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» أخرجه البخاري في «صحيحه» عن أبي بكرة في موضعين (٤٤٢٥) و(٧٠٩٩) بهذا اللفظ، وليس في «صحيحه»: «**أسندوا أمرهم إلى امرأة**» كما ذكر ذلك الشيخ محمد الأشقر، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٤٠٢)، (٢٠٤٧٤)، (٢٠٤٧٧) بلفظ: «**أسندوا أمرهم إلى امرأة**» و(٢٠٤٣٨)، (٢٠٤٧٨)، (٢٠٥١٧) بلفظ: «**تملكهم امرأة**» و(٢٠٥٠٨) بلفظ: «**ما أفلح قوم تلي أمرهم امرأة**»، وأخرجه النسائي في كتاب القضاء من سننه (٥٣٨٨) [باب: النهي عن استعمال النساء في الحكم]، ولفظه: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»، وأخرجه الترمذي (٢٢٦٢) بمثل لفظ البخاري والنسائي، وقال: «هذا حديث صحيح» . وهذا الحديث واضح الدلالة على أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية العامة، بل في ذكر النسائي له في «كتاب القضاء»، دلالة على أنَّها ليست أهلاً لما دون ذلك وهو القضاء.

وتصحيح الحديث والاعتماد عليه في أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية العامة هو الذي عليه العلماء سلفاً وخلفاً، ولا عبرة بمخالفة الشيخ محمد الأشقر وحده لهم في الطعن في الحديث وفي تسويغ تولِّي المرأة الولاية العامة؛ فإنَّ القدح في هذا الحديث والصحابي الذي رواه من محدثات القرن الخامس عشر.
الدليل الثالث: أنَّ الشريعة جاءت باحتجاب النساء عن الرجال، ومنع الاختلاط بين الرجال والنساء، وقد قال ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**» رواه الترمذي (١١٧٣) عن عبد الله بن مسعود، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وانظر «إرواء الغليل» (٢٧٣).
وقال شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عن هذا الحديث في كتابه «أضواء البيان» في تفسير سورة الأحزاب (٦/ ٥٩٦): «**وما جاء فيه من كون المرأة عورة يدل على الحجاب للزوم ستر كل ما يصدق عليه اسم العورة**».
ومن أوضح ما يستدل به من السنة على وجوب تغطية المرأة وجهها عن الرجال الأجانب، ما جاء فيها أنَّ النساء يغطين أقدامهن، فعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، فقالت أم سلمة: فكيف يصنعن النساء بذيولهن؟ قال: «**يرخين شبراً**»، فقالت: إذن تنكشف أقدامهن! قال: «**فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه**» رواه أهل السنن وغيرهم وقال الترمذي (١٧٣١): «هذا حديث حسن صحيح»، فإنَّ مجيء الشريعة بتغطية النساء أقدامهن يدل دلالة واضحة على أنَّ تغطية الوجه واجب؛ لأنَّه موضع الفتنة والجمال من المرأة، وتغطيته أولى من تغطية الرجلين.
وفي «صحيح البخاري» (٨٧٠) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا سلّم قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مُقامه يسيراً قبل أن يقوم، قال: نرى ـ والله أعلم ـ أنَّ ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال**»ورواه النسائي (١٣٣٣) ولفظه: «**أنَّ النساء في عهد رسول الله ﷺ كنَّ إذا سلّمن من الصلاة قمن، وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال**»، وقد جاء في القرآن الكريم أنَّ ترك الاختلاط بين الرجال والنساء كان في الأمم السابقة، قال الله عز وجل عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص:٢٣-٢٤]، ففي هذه القصة أنَّ هاتين المرأتين احتاجتا إلى سقي غنمهما وانتظرتا حتى ينتهي الرجال من سقي أغنامهم، واعتذرتا لموسى عليه الصلاة والسلام بأنَّ أباهما شيخ كبير لا يتمكن من الحضور لسقي الغنم مع الرجال، فسقى لهما موسى عليه الصلاة والسلام، ومعلوم أنَّ ولاية المرأة لا تتأتى إلاّ مع الاختلاط، وقد جاءت الشريعة بمنعه، وفي كون النساء يحتجبن عن الرجال دلالة على أنَّهن لسن أهلاً للولاية العامة، بل ولا ما دونها من الولايات التي يكنَّ فيها مرجعاً للرجال.
قال ابن القيم في «الطرق الحكمية» (ص:٢٨٠): ومن ذلك أنَّ ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفُرَج ومجامع الرجال. =

وقال (ص:٢٨١): ولا ريب أنَّ تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنَّه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة.

الدليل الرابع: أنَّ المرأة ممنوعة من السفر إلاّ ومعها محرم، وممنوعة من خلوة الرجل الأجنبي بها إلاّ ومعها محرم، ففي صحيح البخاري (١٨٦٢) ومسلم (٣٢٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلاّ مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلاّ ومعها محرم**»، فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج؟ فقال: «**اخرج معها**»، فقد أرشد النبي ﷺ الرجل السائل في هذا الحديث إلى ترك الجهاد ليسافر مع امرأته للحج، وقد وردت أحاديث أخرى في تحريم الخلوة بالمرأة إلاّ مع ذي محرم، وتحريم سفرها إلاّ مع ذي محرم، وهي دالة على أنَّ المرأة ليست من أهل الولاية العامة ولا ما دونها من الولايات على الرجال، وكيف تلي الأمر من لا تسافر إلاّ مع ذي محرم؟ ومن لا يخلو بها رجل إلاّ مع ذي محرم؟

الدليل الخامس: أنَّ ولي الأمر إذا كان في جماعة وحضرت الصلاة، أولى بالإمامة من غيره، لقوله ﷺ:«**ولا يؤُمَنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلاّ بإذنه**» رواه مسلم (١٥٣٣) عن أبي مسعود ، ورواه النسائي (٧٨٣) بلفظ: «**لا يُؤَمّ الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تكرمته إلاّ بإذنه**»، أورده في ترجمة (اجتماع القوم وفيهم الوالي)، والمرأة لا يجوز أن تؤم الرجال في الصلاة، فلا تؤمهم في أمور الدنيا، والنساء لا تجب عليهن الجماعة، وصلاتهن في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المساجد، وإذا حضرن إلى المساجد ابتعدن عن الرجال، لقوله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها،وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» رواه مسلم (٩٨٥) عن أبي هريرة .

الدليل السادس: أنَّ من صفات النساء الضعف والجزع، والرجال أشد منهن قوة وأكثر تحملاً، ولهذا جاء الوعيد في النياحة على الميت مضافاً إلى النساء، لأنَّ الجزع وعدم الصبر غالب عليهن، وكان ﷺ يأخذ على النساء عند البيعة ألاّ يَنحن، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: «**أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا نَنوح**» رواه البخاري (١٣٠٦) ومسلم (٢١٦٤). وفي «صحيح مسلم» (٢٨٨) عن أبي موسى أنَّ رسول الله ﷺ: «**بريء من الصالقة والحالقة والشاقة**»، والصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة التي تحلق رأسها، والشاقة التي تشق ثوبها، والولاية في الشرع ثبتت لأهل القوة والصبر، لا لذوات الجزع والضعف، و(**تاتشر**) البريطانية، التي استشهد الشيخ محمد الأشقر بولايتها لبريطانيا، لما وقعت الحرب بين بريطانيا والأرجنتين، على جزر (**فوكلاند**) وضُربت إحدى السفن البريطانية، بكت كما أذيع في حينه؛ لأنَّ الجزع والضعف من صفات النساء.

الدليل السابع: أنَّ تاريخ الإسلام خال من ولاية النساء الولاية العامة، بل وحتى الولايات الخاصة التي تكون فيها النساء مرجعاً للرجال، ولم يثبت عن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين تولية امرأة في قضاء أو إمارة قرية، أو غير ذلك، وقد قال عليه الصلاة والسلام في حديث العرباض بن سارية: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين...**» الحديث. =

(٢) رجل أتى زوجته وهي حائض فحاض كما تحيض النساء

قال ابن الجوزي(١): قال عبد الحميد: ورأيت رجلاً كان يأتي امرأته حائضاً فحاض، فلما كثر الأمر به تاب فانقطع عنه.

قلت: لقد خالف هذا الرجل الكتاب والسنة والإجماع.

فقد حرم سبحانه وتعالى إتيان الحائض، قال تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢].

ونهى ﷺ عن إتيان الحائض، فقال: «من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» **صحيح**، رواه أهل السنن(٢).

=قال ابن قدامة في «المغني» (١٤/ ١٣): ولا تصلح للإمامة العظمى، ولا لتولية البلدان، ولهذا لم يول النبي ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا مَن بعدهم امرأة قضاءً ولا ولاية بلدٍ، فيما بلغنا، ولو جاز ذلك لم يَخلُ منه جميع الزمان غالباً. وكانت وفاة ابن قدامة سنة (٦٢٠هـ).

الدليل الثامن: أنَّ الأمة مجمعة على أنَّ المرأة لا تتولى الولاية العامة، حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم ابن حزم، قال في «كتابه الفصل» (٤/ ١٧٩): وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز إمامة امرأة...

وقال البغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٧٧): اتفقوا على أنَّ المرأة لا تصلح أن تكون إماماً ولا قاضياً؛ لأنَّ الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز .

وقال شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان» (١/ ٥٥): من شروط الإمام الأعظم كونه ذكراً، ولا خلاف في ذلك بين العلماء.

والقول بأنَّ المرأة لا تتولى القضاء ولا غيره من الولايات التي تكون فيها المرأة مرجعاً للرجال، هو الذي دلت عليه الأدلة التي تقدم ذكرها، من أنَّ المرأة تحتجب عن الرجال ولا تخالطهم، وكذا خُلُوّ تاريخ الإسلام من ذلك، كما ذكره صاحب المغني، وتقدم قريباً.

وكما أنَّ المرأة ليست أهلاً للولاية العامة، فهي أيضاً ليست أهلاً لأنَّ تولي غيرها، ولهذا لما بايع الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر لم يُنقل أنَّه كان فيهم امرأة واحدة، لا في سقيفة بني ساعدة، ولا في المسجد بعد ذلك، بل الولاية يتولاها الرجال، والذين يُولونها غيرهم هم الرجال.

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٩٨- ٣٩٩) .

وقد انعقد الإجماع[١] **على تحريم إتيان الحائض**، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

فانظر كيف عاقبه الله وأخزاه، وفضحه وابتلاه، فصار يحيض كما تحيض زوجته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب على المسلمين التمسك بالكتاب والسنة وعدم المخالفة، ونعلم علم اليقين أن الله لم يحرم علينا شيئاً إلا لعلمه سبحانه بضرره علينا، علمنا ذلك أو لم نعلم، والشارع لا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة.

وقد ذكر الدكتور الطبيب محمد علي البار مضار الوطء في الحيض[٢] **فقال:**
إدخال القضيب في الفرج أثناء الحيض، هو إدخال ميكروبات في وقت لا تستطيع الأجهزة التناسلية أن تقاومه فيحدث ما يلي:

- تمتد الالتهابات إلى قناتي الرحم فتسدها، مما يؤدي إلى العقم أو الحمل خارج الرحم.
- يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول فالمثانة فالحالبين فالكلى، مما يسبب أمراض الجهاز البولي .
- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة، وخاصة عند بداية الطمث.
- الصداع النصفي.

---

(٢) «سنن أبي داود» (٣٨٩٨) «سنن الترمذي» (١٣٥)، «سنن ابن ماجه» (٦٣٩)، «مسند أحمد» (٩٢٩٠)، و (١٠١٦٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح السنن» و«الثمر المستطاب» (١/ ٤٢).

(١) نقل الإجماع الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٢/ ٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٥٠)، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٢٢٩) وغيرهم.

(٢) «توضيح الأحكام» (١/ ٤٥٨-٤٥٩) .

- تصاب المرأة بحالة من الكآبة والضيق، فتكون متقلبة المزاج، إلى غير ذلك من المضار الكثيرة، والتي لم يكشف عنها الآن.

(٣) رأى كتابة «صلعم» أخف فقطعت يده من الكف.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد[١] ـ رحمه الله ـ: ذكر **الشيخ الأنصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصلية «ﷺ» بحروف «صلعم» قطعت يده،** والعياذ بالله تعالى، ولا يخفى أن الشيخ زكريا الأنصاري توفي في القرن العاشر من الهجرة.

ثم قال ـ رحمه الله ـ: ولم يكن هذا في حق النبي ﷺ من هدي السلف، وطريق السلامة والمحبة، والأجر والتوقير، والكرامة لنبي هذه الأمة، والصلاة والسلام عليه عند ذكره، امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى القائل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

وامتثالاً لهدي نبيه ﷺ، ولهذا ينهى عن جميع الألفاظ والرموز للصلاة والسلام عليه ﷺ.

واختصاراً، منها: «ص، صعم، صلعم، وصلم، وصليو، صلع».اهـ.

وسئل الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين[٢] ـ رحمه الله ـ: **يكتب بعض الناس حرف «ص» بين قوسين، ويقصدون به رمزاً لجملة ﷺ، فهل يصح استعمال حرف «ص» رمزاً لكلمة ﷺ؟**

فأجاب ـ رحمه الله ـ: من آداب كتابة الحديث كما نصَّ عليه علماء المصطلح، أن لا يُرْمَزَ إلى هذه الجملة بكلمة «ص»، وكذلك لا يُعبَّر عنها بالنحت، مثل «صلعم».

(١) «معجم المناهي اللفظية» (ص:١٨٩).
(٢) «المناهي اللفظية» لشيخنا ابن عثيمين (ص:١٠٤).

ولا ريب أن الرمز، أو النحت، يفوت الإنسان أجر الصلاة على النبي ﷺ، فإنه إذا كتبها، ثم قرأ الكتاب من بعده القارئ هذه الجملة صار للكاتب الأول مثل ثواب من قرأها.

ولا يخفى علينا أن رسول الله ﷺ قال فيما ثبت عنه: «**إن من صلى عليه ﷺ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»[(١)].

فلا ينبغي للمؤمن أن يحرِم نفسه الثواب والأجر لمجرد أن يُسرِع في إنهاء ما كتبه.

قلت: بل إذا سمعت ذكر رسول الله ﷺ فصل عليه[(٢)] بلسانك وجنانك واكتبها ببنانك، إذا كنت في حال الكتابة والدرس، فكم لك من الأجر والخير، وترك الصلاة على رسول الله ﷺ مخالفة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي (٤٨٢، ٤٨٣) عن أنس ﷺ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٤٦).

(٢) ذكر السخاوي في كتاب «القول البديع» (ص:٢٦٤) عن شيخه الحافظ ابن حجر في حكم الصلاة على النبي ﷺ عشرة أقوال:

القول الأول: إنها مستحبة.

الثاني: إنها واجبة في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الأجزاء مرة.

الثالث: أنّها تجب في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد.

الرابع: تجب في القعود مرة آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحليل.

الخامس: تجب في التشهد فقط.

السادس: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل.

السابع: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.

الثامن: تجب كلما ذكر ﷺ.

التاسع: تجب في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مراراً.

العاشر: تجب في كل دعاء.

قال العلامة الألباني[١]- رحمه الله -: **ترك الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره معصية،** واستدل بحديث: «**من ذُكرت عنده فنسي فلم يصلِ عليَّ خطئ به طريق الجنة**»[٢].

وقالت اللجنة الدائمة[٣]: إن الصلاة والسلام على النبي ﷺ فرض، لأمر الله سبحانه بذلك في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، والأصل في الأمر الوجوب، ولما لم يدل الأمر في الآية على التكرار كان وجوب ذلك مرة في العمر، وكان تكرارهما مستحباً، للأحاديث التي وردت في الترغيب في ذلك، إلا في المواضع التي دلت الأحاديث على وجوبها فيها.

قلت: وإليك أخي الكريم بعض ما ذكره ابن القيم[٤]**-رحمه الله- من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ:**

- امتثال أمر الله سبحانه تعالى.
- موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال ، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف .
- موافقة ملائكته فيها.
- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
- أنه يرفع له عشر درجات.
- أنه يكتب له عشر حسنات.
- أنه يمحى عنه عشر سيئات.
- أنها سبب لصلاة الله على المصلي، وصلاة ملائكته عليه.

---

(١) «الصحيحة» رقم (٢٣٣٧).
(٢) رواه ابن ماجه (٩٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٦- ٧).
(٤) « جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام» (ص:٦١٢-٦١٦) .

قلت: وهذا سبب من أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، قال في «الوابل الصيب»: إن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

وهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى ومن وملائكته وأخرجوا من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم؟! وأي شر لم يندفع عنهم؟! فيا حسرة الغافلين عن ربهم، ماذا حرموا من خيره وفضله.

- أنها سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.
- أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة
- أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.
- نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.
- أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.
- أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى ورسوله ﷺ، ويحمد الله ويثنى عليه فيه، ويصلى على رسوله ﷺ .
- أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض، لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ﷺ ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.
- أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه، لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه، وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.
- أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة إما معنى الصلاة -كما قاله طائفة- وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه من رحمة تناله.اهـ.

٤) أكل الربا فأذله الله فلما تاب أعزه الله.

ذكر ابن رجب ـ رحمه الله ـ في كتابه العظيم «جامع العلوم والحكم»[(١)]: **أن أبا جعفر السائح، قال: كان حبيب أبو محمد تاجراً يكري الدراهم، فمر ذات يوم بصبيان فإذا هم يلعبون، فقال بعضهم لبعض: قد جاء آكل الربا، فنكَّس رأسه، وقال: يا رب أفشيت سري إلى الصبيان.**

فرجع فجمع ماله كله، وقال: يا رب إني أسير، وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة، ثم مر ذات يوم بأولئك الصبيان، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: اسكتوا فقد جاء حبيب العابد، فبكى. وقال: يا رب، أنت تذم مرة وتحمد مرة، وكله من عندك.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: فتقوى الله في السر هو علامة كمال الإيمان، وله تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناء في قلوب المؤمنين، قال أبو الدرداء: ليتق أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين.

وقال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته.

وقال غيره: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله، ثم يجيء إلى إخوانه فيرون أثر ذلك عليه، وهذا من أعظم الأدلة على وجود الإله الحق المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار، فالسعيد من أصلح ما بينه وبين الله، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس ذاماً له.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص:١٦٢).

وقال أبو سليمان: إن الخاسر من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.اهـ.

قلت: لا يشك مسلم في أن الربا كبيرة من كبائر الذنوب وأن الله قد أعلن الحرب على آكل الربا وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة:٢٧٥].

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران:١٣٠].

وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**» **صحيح**، رواه أحمد والطبراني(١).

وعن البراء بن عازب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ**» صحيح، رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي في الشعب(٢).

(١) «المسند» (٢١٩٥٧)، الطبراني في «الأوسط» (٢٧٠٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٣٣)، و«المشكاة» (٢٨٢٥).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٢٢٧٤) و (٢٢٧٥)، «المستدرك» (٢٣١٤)، «شعب الإيمان» (٥٥١٤) و (٥٥١٥) و (٥٥١٧) و(٥٥١٩) و(٥٥٢٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٧١)، و«صحيح الجامع» (٣٥٣٧).

وقال ﷺ في حديث الرؤيا الطويل: «...فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رِجَالٌ قِيَامٌ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى شَطِّ النَّهْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَيُقْبِلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ رَمَاهُ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ؛ لِيَخْرُجَ رَمَاهُ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَقُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ آكِلُ الرِّبَا» رواه البخاري[1].

---

(١) «البخاري» (١٣٨٦).

الخاتمة

أخي الحبيب: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، بعد هذه الجولة في طيات هذا الكتاب، وقرأت ما فيه من ترهيب، وتخويف، وزجر شديد، كافٍ والله لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، أن تردعه وتزجره هذه العقوبات، ويتوب إلى رب الأرض والسماوات.

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

أخي المسلم: إن لم تجد لهذه العقوبات القدرية تأثيراً فأحضر قلبك وتذكر العقوبات الشرعية التي شرعها الله ورسوله على الجرائم، لتنظر عظم الذنب والمعصية والمخالفة، كيف أردت بصاحبها في الدنيا قبل الآخرة، قطع اليد في ثلاثة دراهم، وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على معصوم المال والنفس، وشق الجلد بالسوط على كلمةٍ قذف بها المحصن، أو قطرة خمر يدخلها جوفه، وقتل بالحجارة أشنع قتلة في إيلاج الحشفة في فرج حرام، وخفف هذه العقوبة عمن لم تتم عليه نعمة الإحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده إلى بلاد الغربة، وفرق بين رأس العبد وبدنه إذا وقع على ذات رحم محرم منه، أو ترك الصلاة المفروضة، أو تكلم بكلمة كفر، وأمر بقتل من وطأ ذكراً مثله، وقتل المفعول به، وأمر بقتل من أتى بهيمة، وقتل البهيمة معه، وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في الجماعة، وغير ذلك من العقوبات التي رتبها على الجرائم، وجعلها بحكمته على حسب الدواعي إلى تلك الجرائم[1].

وختاماً: نسأل الله تعالى الختم بعفوه وغفرانه، والفوز بفردوس جناته، إنه ولي ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على رسوله الأمين وآله وصحبه الأكرمين ، والحمد الله رب العالمين.

---

(١) الداء والدواء (ص:١٧٠-١٧١).

الفهرس

فهرس المصادر والمراجع

- آداب الزفاف، محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- إجابة السائل، مقبل بن هادي الوادعي، ط: دار الحرمين.
- أحكام من القرآن الكريم (الفاتحة والبقرة)، العثيمين، ط: دار طويق.
- أخبار مكة، الأزرقي، تحقيق، رشدي الصالح، ط: دار الثقافة.
- إرواء الغليل، الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- أسباب هلاك الأمم، سعيد محمد بابا سيلا، ط: سلسلة الحكمة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ط: عالم الكتب .
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق، يحيى إسماعيل، ط: دار الوفاء.
- الإبانة، ابن بطة، تحقيق: رضا نعسان، ط: دار الراية .
- الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة، الوادعي، ط: مكتبة الإدريسي.
- الآداب الشرعية، بن مفلح، ط: مؤسسة قرطبة.
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الفوزان، ط: دار الذخائر.
- الإستيعاب في بيان معرفة الأسباب، الهلالي، محمد موسى، ط: ابن الجوزي.
- الأسماء والصفات، البيهقي، تحقيق عبد الله الحاشدي، ط:مكتبة السوادي.
- الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر، دار الكتب العلمية.
- الإعتصام، الشاطبي، ط: دار الكتب العلمية .
- الأغاني ، لأبي الفرج الصفهاني، كتب حواشيه، سمير جابر، ط: دار الكتب العلمية.
- اللباس والزينة من السنة المطهرة، محمد عبد الحكيم القاضي، ط: دار الحديث.
- بستان العارفين، النووي، ط: مكتبة التراث الإسلامي .
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر، ط: دار الفيحاء.
- بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، سليم الهلالي ، ط: دار ابن الجوزي .
- البداية والنهاية ، ابن كثير ،تحقيق، التركي، ط: دار عالم الكتب.
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار،تحقيق، محفوظ الرحمن،ط: مكتبة العلوم والحكم.

- تاريخ الطبري، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف.
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ط: دار الفكر.
- تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، تحقيق، بشار عواد، ط: دار الغرب.
- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، عبد الوهاب عبد اللطيف،ط: دار الفكر.
- تحفة المودود ، ابن القيم ،تحقيق، سليم، ط: دار ابن عفان، دار ابن القيم .
- تسمية المولود ، بكر أبو زيد .
- تفسير ابن كثير ، تحقيق، الوادعي، دار الراية .
- تفسير ابن كثير، تحقيق، حكمت بشير، ط: دار ابن الجوزي.
- تفسير ابن كثير، ط: دار الفيحاء، دار السلام،.
- تفسير البغوي معالم التنزيل،تحقبق وتخريج،النمر،ضميرية ، الحرش، ط: دار طيبة.
- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان، ط:دار الكتب العلمية.
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ط: دار القلم.
- تيسير العلام، عبد الرحمن البسام، ط: دار الذخائر.
- تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ،اعتناء، الصميل : ط: دار ابن الجوزي.
- تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق، أبي الأشبال، ط: دار العاصمة .
- تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الكتب العلمية.
- تهذيب الكمال ، المزي ، ط: مؤسسة الرسالة.
- تمام المنة ، الألباني ، دار الراية .
- توضيح الأحكام ، البسام ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة .
- التاريخ الكبير ، البخاري ، ط: دار الكتب العلمية .
- الترغيب والترهيب ، المنذري ، دار الفكر .
- التسهيل لتأويل التنزيل ، مصطفى العدوي ، ط: دار ابن كثير .
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، تحقيق: الألباني، ط: دار باوزير.
- التلخيص الحبير ، ابن حجر ،تحقيق، محمد الثاني، ط: دار أضواء السلف.

- التمهيد، ابن عبد البر، ط: الفاروق الحديثة.
- الثقات ، ابن حبان، ط: مؤسسة الكتب الثقافية.
- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ،ط: الكتب الثقافية.
- جلاء الأفهام ، ابن القيم، علق عليه، مشهور سلمان،ط: دار ابن الجوزي.
- جلباب المرأة المسلمة ، الألباني، ط: المكتبة الإسلامية.
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الفكر .
- الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ، الوادعي ،ط: دار الآثار.
- حلية الأولياء لأبي نعيم، تحقيق،مصطفى عبد القادر،ط: دار الكتب العلمية.
- حلية طالب العلم ، بكر أبو زيد .
- خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي ، دار الكتب العلمية .
- خلق أفعال العباد، البخاري، تحقيق، عمرو عبد المنعم، ط: دار ابن القيم، وابن عفان.
- دلائل النبوة ، البيهقي، تحقيق، سيد إبراهيم، ط: دار الحديث.
- الداء والدواء ، ابن القيم ، تحقيق : علي الحلبي ، دار ابن الجوزي.
- الدر المنثور، السيوطي، ط: دار المعرفة.
- الدرر السنية في الفتاوى النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، تحقيق محمد سيد ،ط: أم القرى.
- روح المعاني،الألوسي، تحقيق، محمد أحمد،وعمر عبد السلام، ط: احياء التراث العربي.
- رياض الجنة في الرد على أعداء السنة ، الوادعي ، دار الحرمين .
- زاد المعاد ، ابن القيم ، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة .
- الزهد ، أحمد بن حنبل ، دار الباز .
- الزواجرعن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي،ط: نزار مصطفى الباز.
- سنن الدارقطني، ط: عالم الكتب.
- سنن الدارمي، تحقيق، محمود عبد المحسن، ط: دار المعرفة.
- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة .

- السلسلة الصحيحة ، الألباني ، ط: مكتبة المعارف .
- السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،ط: دار الكتب العلمية.
- السنن والمبتدعات، الشقيرى، تحقيق، ط: دار الآثار.
- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق، الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- السيرة النبوية ، ابن كثير، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، ط: دار المعرفة.
- شذرات الذهب ، ابن العماد ، تحقيق : مصطفى عبد القادر، ط: دار الكتب العلمية .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللآلكائي، تحقيق، الغامدي، ط: دار طيبة.
- شرح حلية طالب العلم ، ابن عثيمين ، تحقيق، محمد بن حامد، ط: دار البصيرة .
- شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ،ط: دار البصيرة.
- شرح سنن ابن ماجة، السندي، ط: المعارف.
- شرح صحيح مسلم ، النووي ، خليل الميس، ط: دار القلم .
- شرح السنة، البغوي، تحقيق، زهير الشاويش وشعيب، ط: المكتب الإسلامي.
- شرح العقيدة الواسطية ، ابن عثيمين، تخريج سعد الصميل، ط: دار ابن الجوزي .
- شرح مشكل الآثار،الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة .
- شرح لمعة الإعتقاد، ابن عثيمين، تحقيق، أشرف عبد المقصود، ط: أضواء السلف.
- شعب الإيمان ، البيهقي، تحقيق: زغلول، ط: دار الكتب العلمية.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع ، ابن عثيمين ، ط: دار ابن الجوزي.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق، الأعظمي،ط: المكتب الإسلامي.
- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، ط: المعارف.
- صحيح جامع بيان العلم وفضله، تحقيق، أبو الأشبال الزهيري، ط: مكتبة ابن تيمية.
- صحيح الجامع، الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- صحيح سنن أبي داود ، الألباني ، ط: مكتبة المعارف .
- صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، ط: مكتبة المعارف .
- صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، ط:مكتبة المعارف.

- صحيح سنن النسائي ، الألباني ، مكتبة المعارف .
- صحيح موارد الظمآن ، الألباني ، دار الصميعي .
- صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، ط: دار الصديق .
- صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، دار اليقين .
- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ، ابن تيمية، تحقيق محمد الحلواني ومحمد كبير،ط: دار ابن حزم، رمادي.
- الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين ، الوادعي، ط: دار ابن حزم .
- الصحيح المسند من أسباب النزول، الوادعي، ط: دار الحرمين.
- الضوء المنيرعلى التفسير ، ابن القيم، جمع، علي الحمد، ط: مؤسسة النور .
- الضياء اللآمع من الخطب الجوامع، ابن عثيمين،ط: الرسالة.
- طبقات ابن سعد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية.
- طبقات الحنابلة ، ابن رجب ،ط: دار المعرفة .
- عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها، الفوزان، ط: دار الصديق.
- علل ابن أبي حاتم، تحقيق، نشأت كمال المصرى، ط: الفاروق الحديثة.
- عمل اليوم والليلة، ابن السني، ط: الكتب الثقافية.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، شمس الحق العظيم أبادي، ط: دار الكتب العلمية .
- غارة الأشرطة، الوادعي ، ط: مؤسسة الحرمين .
- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- فتاوى إسلامية، اشراف قاسم الشماعي، ط: دار القلم.
- فتاوى اللجنة الدائمة ، جمع، محمد الدويش ، ط: دار المؤيد.
- فتح الباري ، ابن حجر ، ط: الريان .
- فتح المجيد ، عبد الرحمن بن حسن، تحقيق، شعيب الأرنؤوط،ط: مكتبة المؤيد، البيان .
- فتح المغيث، السخاوي، تحقيق، علي حسين علي، ط: مكتبة السنة.
- فتح الملهم بشرح صحيح مسلم،شبير أحمد العثماني، ومحمد تقي العثماني،ط: دار القلم.

- فضائل الصحابة ، العدوي ، دار ابن عفان .
- فيض القدير ، المناوي ،تحقيق، أحمد عبد السلام ، ط: دار الكتب العلمية.
- قال ابن رجب .
- القواعد والأصول الجامعة، السعدي، ط: مطابع ابن تيمية.
- القول المبين في أخطاء المصلين ، مشهور سلمان ، ط: دار ابن القيم .
- كتاب السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- كتاب العلم، ابن عثيمين، ط: دار الثريا.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، الهيثمي، تحقيق، الأعظمي، ط: مؤسسة الرسالة.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي، تحقيق، فريد عبد العزيز، ط: دار الحديث.
- الكامل في الضعفاء ، ابن عدي، تحقيق، علي معوض، ط: الكتب العلمية.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق، عامر أحمد،ط: الكتب العلمية.
- اللباس والزينة من السنة المطهرة، جمع القاضي ، دار الحديث .
- مجلة الأصالة، ط: جمعية النور والإيمان.
- مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي .
- مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن عثيمين، ط: دار الثريا.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، ابن باز، جمع، الشويعر، ط:دار المعارف، دار القاسم.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي ، ط: دار الريان، دار الكتاب العربي .
- مختار الصحاح ، الرازي ، ط: دار الدعوة.
- روضة المحبين،ابن القيم، تحقيق، محمد محي الدين مستو، ط: دار الكلم الطيب .
- مختصر العلو للعلي الغفار، الذهبي، تحقيق، الألباني، ط: المكتب الإسلامي.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ط: الفيصلية.
- مستدرك الحاكم ، تعليق : الوادعي ، ط: دار الحرمين .
- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: الرسالة.

- مسند أبي يعلى، تحقيق : حسين أسد ، ط: دار المأمون .
- معالم السنن ضمن سنن أبي داود، الخطابي، تعليق، الدعاس والسيد، ط: دار الحديث.
- مشكاة المصابيح ، التبريزي، تحقيق ، الألباني ، ط: المكتب الإسلامي .
- مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
- مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : اللحام ،ط: دار الفكر .
- معجم البلدان ، الحموي، قدم له،المرعشلي، ط: إحياء التراث.
- معجم المناهي اللفظية ، بكر أبو زيد ، دار العاصمة .
- مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، تحقيق:علي الحلبي ، دار ابن عفان .
- موسوعة نظرة النعيم، ط: دار الوسيلة.
- ميزان الاعتدال، الذهبي، ط: دار المعرفة.
- المحلى، ابن حزم، ط: دار الآفاق الجديدة.
- المحيط في اللغة، ابن عباد، تحقيق، محمد حسن آل ياسين، ط: عالم الكتب.
- المجالسة وجواهر العلم ، الدينوري، تحقيق، مشهور بن حسن، ط: دار ابن حزم.
- المراسيل، لأبي داود السجستاني، تحقيق، الزهراني، ط: دار الصميعي.
- المعجم الأوسط ، الطبراني ، تحقيق ، الطحان ، ط: مكتبة المعارف.
- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق، حمدي السلفي، ط: إحياء التراث العربي.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق، مجموعة من المحققين، ط: دار ابن كثير.
- المنتقى من فتاوى الفوزان، جمع، عادل الفريدان، ط: مكتبة الغرباء الأثرية.
- المنتقى النفيس من تلبيس إبليس ، علي الحلبي ، ط: مكتبة المعارف.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
- الميزان ، الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط: دار المعرفة .
- نيل الأوطار، الشوكاني، تعليق، عصام الدين الصبابطي،ط: دار الحديث.
- النكت والعيون، تفسير الماوردي، علق عليه، السيد عبد المقصود، ط: الكتب العلمية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر،ابن الأثير،تحقيق، صلاح عويضة،ط:الكتب العلمية.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تقديم، المرعشلي، ط: احياء التراث العربي.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله